سلسلة
القصص القرآنى

دكتور
حمزة النشرتى
عبد الحفيظ فرغلى د. عبد الحميد مصطفى د. محمد شعلان

المجلد الثانى عشر

سلسلة القصص القرآنى

دكتور
حمزة النشرتى

عبد الحفيظ فرغلى   د. عبد الحميد مصطفى

المجلد الثانى عشر



غزوة أحد

- فضل أحد .
- تاريخ الغزوة .
- كيف استعدت قريش ؟
- الموقف فى جبهة المسلمين .
- الرسول يستشير أصحابه .
- النبى يستعرض الجيش .
- ميدان المعركة .
- أبو عامر الفاسق يحاول إثارة الفتنة .
- دور الفرسان .
- كيف تغير وجه المعركة ؟
- مصرع مصعب بن عمير .
- إشاعة قتل الرسول - صلى الله عليه وسلم .
- النبى يقتل أبى بن خلف .

غـــزوة أحـــد

أحد اسمه وفضله

أحد - بضم الهمزة والحاء - جبل مشهور بالمدينة المنورة ، على مسافة فرسخ منها تقريبا . وقد سمى بذلك - كما يقول بعض الرواة - لتوحده وانقطعه عن جبال أخرى هناك .

وقال ياقوت فى معجم البلدان : هو اسم مرتجل لهذا الجبل ، ولونه أحمر ، ويقال له : ذوعينين - بكسر العين المهملة وفتحها - لمجاورته لجبل يسمى : عينين - جاء فى القاموس : وعينين - بكسر العين ، وفتحها مثنى - جبل بأحد وقف عليه إبليس اللعين فنادى : إن محمدا قد قتل .

وجاء فى البخارى ومسلم : عينين : جبل بجوار أحد بينه وبينه واد . . وهو الجبل الذى نزلت بجواره قريش حين جاءوا من مكة . .
وقد ورد فى فضل أحد قوله - ﷺ - : « أحد جبل يحبنا ونحبه »[1]
وخاطبه النبى - ﷺ - لما اضطرب قائلا له : « أثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان »[2]

والصديق هو أبوبكر ، والشهيدان هما عمر وعثمان - رضى الله عنهم - لقد خاطبه النبى - ﷺ - خطاب من يعقل - حين قال : « أحد جبل يحبنا ونحبه »

---

(١) أخرجه الشيخان عن أنس ، والبخارى عن سهل بن سعد
(٢) أخرجه أبو نعيم ، وذكره ابن الاثير فى أسد الغابة جـ ٣ صـ ٥٨٨

وفى رواية أخرى - أنه قال : « إن أحدا هذا جبل يحبنا ونحبه إذا مررتم به فكلوا من شجره ولو من عضاهه »[٣]

وفى هذا حث على الأكل من شجره تبركا به . والعضاه شجر عظيم له شوك تأكل منه الإبل والدواب .

وقد تكون محبة الجبل للنبى - ﷺ - وصحبه على حقيقتها ، وضع الله الحب فيه كما وضع التسبيح للجبال قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ ﴾[٤]

وكما وضعت الخشية فى الحجارة - قال عز وجل

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٧٤ ﴾[٥]

وقد تكون على تقدير محذوف ويكون المقصود بحب أحد حب أهله وهم الأنصار القريبون منه ونظيره قوله تعالى

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٨٢ ﴾[٦]

---

(٣) رواه الطبرانى
(٤) سبأ ١٠
(٥) البقرة ٧٤
(٦) يوسف ٨٢

ومن هذه الآثار أخذ العلماء أفضلية أحد على غيره من الجبال ، وقيل أفضلها عرفة ، وقيل : أبوقبيس ، وقيل : الطور الذى كلم الله فيه موسى ، وقيل : غير ذلك .

ولا صحة لما ورد فى بعض الأخبار من أن أحدا قد دفن فيه هارون . . عليه السلام ، حين جاء مع أخيه موسى حاجين الى بيت الله الحرام . والصحيح أنه ـ كما أسلفنا فى قصته ـ قد مات بالشام بجبل مشرف قريب من بيت المقدس .

وقد مات كل من موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ وهما فى التيه .

تاريخ الغزوة

كانت غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث من الهجرة باتفاق الرواة ، وذكر أنها كانت يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال . وقيل كانت فى السابع من شوال . .

وسبب الغزوة كما هو معلوم أن قريشا أرادت أن تثأر لقتلى المشركين فى بدر . .

لقد هزم المشركون فى بدر هزيمة منكرة ، وقتل منهم سبعون وأسر سبعون من خيرة شيوخهم وشبابهم وقادتهم . . وما من بيت من بيوت قريش إلا وقد علا فيه النحيب والصراخ لأنه فقد عزيزا لديه فى هذه المعركة ، وأصبح لاهم لقريش إلا الأخذ بثأر هؤلاء الذين اغتالتهم سيوف المسلمين . .

وقد رصدت قريش لهذه الغزوة إمكانات هائلة ، كانت قد ربحت فى تجارتها ـ التى أراد المسلمون اغتنامها ـ وكانت سببا فى موقعة بدر ـ أموالا طائلة . . . روى أن قيمة الربح بلغت خمسين ألف دينار . وهو مساو لرأس المال . لأن الدينار ربح دينارا .

وبعد أن أصاب قريشا ما أصابها من هزيمة فى بدر ، مشى رجال من أشراف قريش ، فيهم عبدالله بن أبى ربيعة ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية وغيرهم إلى أبى سفيان ، وإلى من كانت له تجارة فى تلك العير التى قادها أبوسفيان ، وتحدثوا معه فى أمر الثأر لقتلى قريش .

وكانت تلك العير موقوفة فى دار الندوة لم تعط لأصحابها بعد ، فقالوا : إن محمدا قد وتركم فى رجالكم ، ولم تدركوا دماءهم ، وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأرا لمن أصيبوا منا . . وتشاوروا على أن يجعلوا ربح هذه العير فى تجهيز جيش الثأر .

فقال أبوسفيان : أنا أول من يجيبكم إلى ذلك وبنوا عبدمناف معى . ثم اتفق الجميع على ذلك . . فسلم أبوسفيان للناس رءوس أموالهم ، واحتفظ بالربح لتجهيز الحملة التى سيصبح هو قائدها . وقد أنزل الله فى ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٧)

---

(٧) الأنفال ٣٦

لقد أنفقوا هذه الأموال فى حرب الله ورسوله فأعقبت الندامة والحسرة عليهم ..

وهكذا شأن كل مال ينفق فى وجه غير مشروع ، ويرصد للصد عن اتباع طريق الحق ..

لقد أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمة الباطل على كلمة الحق ، والله متم نوره ولو كره الكافرون . وهو ناصر دينه ومعلن كلمته . وهذا هو الخزى للكفار فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب النار . فمن عاش منهم رأى بعينيه وسمع بأذنيه ما يسوؤه ، ومن قتل منهم أو مات فإلى الخزى الأبدى والعذاب السرمدى »[8]

تجهيز الحملة

وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة . وأعدوا عدتهم تحت سيطرة الغيظ الشديد والحقد الدفين والنار المتأججة فى قلوبهم .

كان أبوسفيان قائد الحملة المرتقبة قد عقد مؤتمرا ضم جميع زعماء قريش ، ولم يكن أحد بين المجتمعين لم يفقد شخصا عزيزا فى وقعة بدر ، فبعضهم فقد الآباء ، وبعضهم فقد الأبناء ، والبعض الآخر فقد الأشقاء .

---

(٨) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٥٩٤ ط دار الشعب

وكان أكثر الحاضرين هياجا صفوان بن أمية الذى فقد أباه أمية بن خلف ، وعكرمة بن أبي جهل الذى فقد آباه رأس الكفر والشقاق ـ أبا جهل بن هشام .

وكان من الصعب كبح جماح عكرمة ، فأبوه كان له شرف قيادة جيش قريش فى غزوة بدر وقد قتل فى المعركة . ووجد الابن بعض السلوى والعزاء لأن أباه قتل رجلا قبل أن يقتل ، ولكن ذلك لم يكفِ لأطفاء غليله ، فأصر على أن تتحفز قريش للانتقام .

وقال له أبوسفيان : لئن كنت قد فقدت أباك فإنى قد فقدت ابنى حنظلة .

وتعطشى للثأر لا يقل عن تعطشك . .

وهكذا تناوبوا عبارات التحريض وإثارة الحمية ، والعصبية الجاهلية فوق ذلك كفيلة بتأجيج هذه النار فى داخل نفوسهم .

لن يتقاعس أحد عن القتال هذه المرة ، وسوف تجهز حملة لم يجهز مثلها قط قبل ذلك . . وهذا هو الذى دعا قريشا إلى استنفار القبائل الموالية لها من كنانة وتهامة وغيرهما .

وسوف تستعين قريش بما تقدر عليه من وسائل التعبئة والقتال ، ولن تغفل عن توهين الجبهة الداخلية للمسلمين بما تستطيعه من تدبير المؤامرات وخلق الفتن وبث الاختلافات ، مع الاستعانة فى ذلك بمن يوالونها من أهل الشقاق والنفاق . .

قال صفوان بن أمية لأبى عزة الشاعر ـ وكان قد أسر فى بدر ـ ومَنَّ النبى ـ ﷺ ـ عليه بدون فداء ، وتعهد هو فى نظير ذلك أن يكف عن المسلمين لسانه قال صفوان له : يا أبا عزة ، إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ، ولك علىَّ إن رجعت سالما أن أغنيك . وإن أصبت أجعل بناتك مع بناتى ، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر .

فقال أبو عزة : إن محمدا قد مَنَّ علىَّ ، وأخذ على أن لا أظاهر عليه أحدا حين أطلقنى وأنا أسير فى أسارى بدر ، فلا أريد أن أظاهر عليه .

قال صفوان : فأعنا بلسانك . فوافق أبو عزة ، وبذلك يكون قد نقض عهده .

وكان هناك شاعر آخر اسمه مسافع بن عياض ، اتفق معه صفوان أيضا على أن يثير الناس ضد المسلمين . وذكر بعضهم أنه أسلم بعد ذلك .

ولكن بعد أن قام بالدور الذى كلفه إياه صفوان . وهجا المسلمين ، وهجا حسان بن ثابت شاعر الرسول ـ ﷺ ـ وقد رد عليه حسان بن ثابت بقوله :

يا آل تيم ألا تنهون جاهلكم ... قبل القذاف بصم كالجلاميد[٩]

فنهنهوه فإنى غير تارككم ... إن عاد ، ما اهتز ماء فى ثرى عود[١٠]

---

(٩) الجلاميد : الصخور مفردها جلمود

(١٠) نهنهوه : كفوه

لو كنت من هاشم أو من بنى أسد أو عبدشمس أو أصحاب اللوا الصيد[١١]
أو من بنى نوفل أو ولد مطلب لله درك لم تهمم بتهديدى
أو من بنى زهرة الأبطال قد عرفوا أو من بنى جمح الخضر الجلا عيد[١٢]
أو فى الذؤابة من تيم إذا انتسبوا أو من بنى الحارث البيض الأماجيد
لولا الرسول وإنى لست عاصيه حتى يغيبنى فى الرمس ملحودى[١٣]
وصاحب الغار إنى سوف أحفظه وطلحة بن عبيدالله ذوالجود[١٤]

وهكذا خرج أبوعزة ومسافع يحرضان الناس بشعرهما ، ويثيران حميتهم ضدالمسلمين . .

الإغراء المالى

ولم يكتف المشركون بذلك بل أقبلوا على من يعرفون عنه دقة التصويب وإصابة الهدف ، يعدونه بالعطاء الجزيل إن استطاع أن يؤدى دورا فعالا فى قتل من يعرفون أنه ذو بأس فى جيش المسلمين .

فقد دعا جبير بن مطعم بن عدى غلاما له حبشيا يقال له وحشى ، وكانت له دراية قوية على الرمى بحربته ، وقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد ثأرا بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق . .

---

(١١) الصيد : جمع أصيد وهو السيد وأصحاب اللواء : بنو عبد الدار
(١٢) الجلاعيد : الشداد الصلاب
(١٣) ملحودى : قبرى
(١٤) أسد الغابة جـ ٥ صـ ١٥٢

وربما كان الإغراء أكثر من ذلك فقد جاء فى القرطبى :

قال جبير بن معطم لوحشى : إن قتلت محمدا جعلنا لك أعنة الخيل ، وإن أنت قتلت على بن أبى طالب جعلنا لك مائة ناقة كلها سود الحدق ، وإن أنت قتلت حمزة فأنت حر .

فقال وحشى : أما محمد فعليه حافظ من الله لا يخلص إليه أحد وأما علىٌ فما برز إليه أحد إلا قتله .

وأما حمزة فرجل شجاع وعسى أن أصادف منه فأقتله »[١٥]

وكذلك قالت له هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان : ياوحشى لك القلادة التى فى عنقى ، والأساور التى فى معصمى ، والخواتم التى فى أصابعى ، والخلاخيل التى فى رجلى إن أنت قتلت حمزة الذى قتل أبى عتبة ، ونظر وحشى إلى الذهب يبرق فى نحرها ويديها وأذنيها فسال لعابه واشتد نهمه . ووعدها بذلك

محاولة تفتيت الجبهة الداخلية للمسلمين

وفى هذه الأثناء جاء أبو عامر الراهب ، وهو من الأوس إلى أبى سفيان يعرض عليه خدماته . وقد سمى النبى - ﷺ - أبا عامر هذا بالفاسق . .

---

(١٥) تفسير القرطبى جـ ٤ صـ ١٨٧ طـ دار الكتب عند تفسير قوله تعالى « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » آية ١٢٢ آل عمران

قال أبوعامر لأبي سفيان . . . . يا أبا سفيان ، يوجد معى خمسون رجلا من عشيرتى (الأوس) ، ولى نفوذ كبير بين قومى ، وأنا أقترح عليك أن أخاطبهم قبل أن تبدأ المعركة ، وإنى على يقين أنهم سوف يهجرون محمدا وينضمون إلى جانبى .

وقد قبل أبوسفيان هذا الاقتراح ورحب به . . ووجد المشركون فى هذا العرض فرصة سانحة يوهنون بها صفوف المسلمين ، ويتمكنون بذلك من تحقيق النصر عليهم . .

وكانت مساعى أبى سفيان وغيره من رجال قريش قد أثمرت فى تجميع حلفائهم من مختلف القبائل لحرب المسلمين فانضم إليهم الأحابيش وهم بنو المصطلق وبنوالهون بن خزيمة ، وسموا بذلك لأنهم اجتمعوا عند جبل بأسفل مكة اسمه « حبشى » وتحالفوا على أنهم مع قريش يدا واحدة على غيرهم ما سجى ليل ووضح نهار ومارسا حبشى فى مكانه .

وتمت تعبئة الجيش القرشى ، وكانت عدته ألفين وتسعمائة من قريش ومواليها وأحابيشها .

ومائة من بنى ثقيف فجملتهم ثلاثة آلاف[١٦]

كان بين هؤلاء سبعمائة دارع ، ومع القوة مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وقد اصطحب أكثر زعماء قريش نساءهم ، وقد بلغ عدد النساء خمس عشرة

---

(١٦) الرسول القائد اللواء الركن محمود شيت خطاب صـ ١٦١

امرأة ، وكانت مهمة هؤلاء النسوة تشجيع الرجال ، وحثهم على الثبات ، ودفعهم إلى القتال .

فهذه هند بنت عتبة تنادى قائلة :

ويهـــابنى عبد الــــدار ويهـــا حمــاة الأدبـــار

ضـــربا بكـــل بتـــار

وتقول :

نحـــن بنـــات طـــارق إن تقبلـــوا نعـــانق

ونبســـط النمــــارق أو تدبــــروا نفـــارق

فـــراقٌ غير وامـــق[17]

الموقف فى جبهة المسلمين

هذه نظرة عامة إلى جبهة المشركين وموقفهم ، وقد زحفوا بقوتهم هذه وحالتهم التى وصفناها إلى المدينة ، حيث عسكروا فى موضع قريب من المدينة اسمه « الصمغة » وهو غرب أحد ، وقد أطلقوا إبلهم وخيلهم ترعى زرع الأنصار وتابعوا سيرهم حتى بلغوا العقيق ، ثم نزلوا عند بعض السفوح من جبل أحد على بعد خمسة أميال من المدينة .

وكان العباس ـ رضى الله عنه ـ قد أرسل رسالة إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبره فيها بعزم قريش على قتاله ، وبعدد قواتها . .

---

(١٧) خالد بن الوليد صـ ٤٥

وأسرع حامل الرسالة فى مهمته حتى بلغ المدينة فى ثلاثة أيام ، وهو زمن قياسي ، ووجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مسجد قباء ، فدفع إليه الرسالة .

وقرأ أبي بن كعب الرسالة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم فطلب منه النبى ألا يبوح بمضمونها لأحد ، وعاد حامل الرسالة الى مكة .

وبدأ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأخذ أهبته لمجابهة الموقف ، فبعث برجلين من أصحابه هما أنس ومؤنس ابنا فضالة الظفريين لمعرفة الموضع الذى وصلته جيوش قريش ، وعادا إليه فأخبراه بأنها قاربت المدينة وأطلقت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها .

وخشى المسلمون عاقبة هذه الغزوة ، لأنهم رأوا قريشا قد أكملت استعدادها بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخ حروبها ، حتى لقد بات المسلمون من أهل المدينة وعليهم السلاح بالمسجد ، كما بات الحراس فى مداخل المدينة لحراستها .

الرسول يستشير أصحابه

وجمع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه من أهل الرأى والمشورة وكان ذلك فى صباح الجمعة الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة ، ليأخذ رأيهم فى كيفية لقاء العدو .

وكان رأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو ما قاله : « إن رأيتم أن تقيموا

بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلنا وظهورنا محمية ..

وكان هذا الرأى نفسه لأكابر المهاجرين والأنصار ،

وقال بعض الأنصار : يا رسول الله ، أقم بالمدينة ، ولا تخرج ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم الصبيان بالحجارة من ورائهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

إن المدينة يعرفها المسلمون ولا يعرفها القرشيون ، فإن دخلها المشركون قاتلهم المسلمون فيها قتال الشوارع في منطقة لاتعرفها قريش ، وذلك يساعد المسلمين على إيقاع الخسائر الفادحة بالعدو ..

ولكن كثيرا من الشباب وبخاصة الذين لم يشهدوا بدرا تحمسوا للخروج ، وأيدهم في ذلك بعض من شهدوا بدرا ، حتى لايعيرهم المشركون بالجبن ، ويقولوا : ذهبنا اليهم فلم يجرءوا على الخروج لنا ، وكان أصحاب هذا الرأى أكثرية . وحذرهم النبى - صلى الله عليه وسلم - قائلا : أخاف عليكم الهزيمة . فأبوا مع ذلك إلا الخروج ..

ونزل الرسول - صلى الله عليه وسلم - على رأى الأغلبية ..

رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - قد رأى رؤيا - يرويها لنا الرواة - عن

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « رأيت البارحة فى منامى خيرا ، رأيت بقرا تذبح ، ورأيت فى ذبابة سيفى ثلما ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة ، وأنى ذابح كبشا »

فقيل له : وما تأويلك لها يا رسول الله .

قال : فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون .

وأما الثَّلْم فهو رجل من أهل بيتى .

وأما الدرع الحصينة فهى المدينة ، وأما الكبش فإنى أقتل كبش القوم أى حاميهم »[18]

ودخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيته ليلبس ملابس الحرب .

فقال المسلمون بعضهم لبعض : لقد استكرهتم النبى على الخروج ، فرُدُّوا الأمر اليه ، ولكنه خرج وقد لبس ملابس الحرب واستعد للقتال . . . .

لبس لأمته[19] ، وظاهَرَ بين درعين وتقلد سيفا ، وحمل ترسه وتقلد قوسا وأخذ قناته بيده ، وركب فرسه وكان يسمى « السكب »

فقالوا له : يا رسول الله ، ما كان لنا أن نخالفك ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ما شئت .

---

(١٨) السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٤٩٠

(١٩) اللأمة : الدرع ، وقد يسمى السلاح كله لأمة

فقال : قد دعوتكم إلى البقاء فى المدينة فأبيتم ، وما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه .

ثم خطب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحث قومه على الجهاد ورغبهم فى الطاعة وأمرهم بالتهيؤ والاستعداد ، وأخبرهم بأن لهم النصر ما صبروا . .

النبى يستعرض أصحابه

وتقدم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ألف من أصحابه حتى نزل « الشيخين[20] » ، ولم يكن مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الخيل سوى فرسه ، وفرس أبى برده بن دينار الحارثى .

واستعرض النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه فى هذا المكان فوجد بينهم مفرزة ـ جماعة ـ لايعرف أهلها . فلما سأل عنهم عرف أنهم من اليهود حلفاء عبد الله بن أبى بن سلول . فرفض معاونتهم إلا أن يسلموا وقال لأصحابه : « لاتستنصروا على أهل الشرك بمن هم على غير دينكم . . وأمر أن يعود هؤلاء أدراجهم الى المدينة . فعادوا . .

وهنا ظهر النفاق واضحا ، فقد انسحب عبد الله بن أبى مع ثلاثمائة من أنصاره وهم المنافقون ، بحجة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يطع

---

(٢٠) الشيخين : مكان بالمدينة ، وهو تل صغير اسود يقع الى الشمال من المدينة على بعد ميل ونصف تقريبا

رأيه ، واستمع إلى رأى الأحداث من الناس . .

وبقى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سبعمائة من أصحابه . .

ورد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفراداً وجدهم دون الخامسة عشرة من عمرهم . . ذكر أنه كان من هؤلاء المردودين عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، وزيد بن أرقم ، والبراء بن عازب ، وأسيد بن ظهير ، وعرابة بن أوس ، الذى مدحه الشماخ فى شعره بقوله :

رأيت عرابة الأوسى يسمو   إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمن

وكان عرابة على نقيض والده أوس الذى اشتهر بالنفاق ، وقد ذكر أنه هو الذى قال يوم الأحزاب « إن بيوتنا عورة »

ومن الذين رُدُّوا أيضا لصغر سنهم أبو سعيد الخدرى ، وسعد بن خيثمة وزيد بن حارثة الأنصارى ـ وهو غير زيد بن حارثة مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورافع بن خديج ، وسمرة بن جندب .

وقيل للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن رافعا رامٍ مُسَدَّد فأجازه ، ولما رأى ذلك سمرة بن جندب قال : أنا أقوى من رافع وأستطيع أن أفعل كما يفعل رافع وأكثر ، فأجازه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا . .

ورد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا سعد بن بجير ، وهو المعروف بسعد بن حَبْتَة

وقد نظر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك بسنين إلى سعد بن حبتة يوم الخندق وهو يقاتل قتالا شديدا ، فقال له : من أنت يا فتى ؟ فقال : سعد بن حبتة .

فقال له : أسعد الله جَدَّك ، اقترب منى .

فاقترب سعد منه ، فمسح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأسه بيده ـ ودعا له بالبركة فى ولده ونسله . فعاش حتى أصبح عمًّا لأربعين وخالا لأربعين وأبا لعشرين . ومن ذريته أبو يوسف القاضى تلميذ أبى حنيفة . وما أن انتهى العرض حتى غربت الشمس فأذن بلال ، وصلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأصحابه ـ ثم قال : من يحرسنا الليلة حتى السحر ؟

فقام ذكوان بن عبد قيس ملبيا . فبات يحرس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

واستيقظ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لبعض أصحابه : لقد رأيت حمزة تغسله الملائكة . .

ثم أدلج بأصحابه فى السحر ، وحانت صلاة الصبح فى موضع اسمه « الشوط » وهو حائط بين المدينة وأُحُد فصلوها .

وذكر أن هذا المكان هو الذى رجع منه عبد الله بن أبى سلول بأصحابه .

عبد الله بن حرام يلوم عبد الله بن أبيً بن سلول

وحين رجع عبد الله بن أبي سلول تبعه عبد الله بن عمرو بن حرام فى محاولة لإثنائه عن عزمه ، قائلا له ولأصحابه : أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم .

ولكن ابن أُبَىِّ انصرف غاضبا شامخا بأنفه ، وهو يقول : عصانى واتبع الولدان ومن لا رأى له . لاندرى علام نقتل أنفسنا ؟

وقال : لو نعلم قتالا لاتبعناكم . وهذا هو ما حكاه القرآن الكريم عنهم قائلا : -

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (٢١)

واختلف المسلمون حول موقف هؤلاء المنافقين .

فقال قوم : هؤلاء كفار يجب أن نقتلهم

وقال قوم : لانقتلهم .

واشتد الخلاف بين المسلمين فى هذا الأمر حتى أوشك أن يتحول إلى خصام وفرقة . .

---

(٢١) آل عمران ١٦٧

كان الذين يرون قتال عبد اله بن أبى ومن عاد معه قوم من الأوس ، والذين لايرون قتالهم قوم من الخزرج . فأنزل الله فى ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (٢٢)

هذا قول بعض المفسرين وقد رواه مسلم عن زيد بن ثابت ، ورواه أيضا الترمذى(٢٣)

وان كان بعض الرواة يرى أن هذه الآية نزلت فى شأن قوم بمكة آمنوا وتركوا الهجرة ، وقالوا : إن ظهر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد عرفنا ، وإن ظهر قومنا فهو أحب الينا .

وذكر بعضهم أنها نزلت فى قوم جاءوا الى المدينة وأظهروا الاسلام نفاقا فأصابهم وباء الحمى فأركسوا فيها ، فخرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا لهم : مالكم رجعتم ؟

فقالوا : أصابتنا الحمى فى المدينة فكرهنا المقام فيها ـ

فقالوا لهم : أما لكم فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة ؟ فسكتوا ولم يردوا . . .

وربما يعضد هذين القولين ماجاء بعد الآية السابقة من قوله تعالى :

---

(٢٢) النساء ٨٨

(٢٣) تفسير القرطبى جـ ٥ صـ ٣٠٦ طـ دار الكتب .

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾ (٢٤)

وأيا ماكان فإن الآية الكريمة تعاتب المسلمين على اختلافهم حول موقف المنافقين ـ الذين يظهرون خلاف مايبطنون . .

وقد اشتد ضيق بعض المسلمين من هؤلاء المنافقين الى درجة أنهم كانوا يرون ضرورة قتلهم عند العودة الى المدينة . ولكن الله ـ تعالى ـ أراد ألا يشغلوا بالهم بأمر هؤلاء فهو الذى سيتولى حسابهم .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد . فقد ترك انسحاب هؤلاء فى وقت الشدة خللا ، وفتح ثغرة أمام بعض الناس ، فقد هم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس ، بالانصراف أيضا ، لولا أن سددهما الله وأرشدهما الى الصواب فثبتوا . وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٢٥)

---

(٢٤) النساء ٨٩

(٢٥) آل عمران ١٣١ ، ١٣٢

روى البخارى عن جابر قال : فينا نزل قوله تعالى :

« اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما »

قال : نحن الطائفتان : بنو حارثة وبنو سلمة ، ومانحب أنها لم تنزل لقول الله ـ عز وجل ـ

« والله وليهما »

قال القرطبى : قد كان ذلك حديث نفس منهم خطر ببالهم وأطلع الله عليه نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فازداد بصيرة ، ولم يكن ذلك لنفاق فيهم . .

فى الطريق للقاء العدو

وتهيأ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن معه للتوجه الى العدو . فقال : من يخرج بنا على القوم من طريق قريب لايمر عليهم ؟

فقال أبو خيثمة : أنا يارسول الله .

فنفذ به من حرة لبنى حارثة حتى دخل فى حائط لمربع بن قيظى الحارثى ، وكان رجلا منافقا ضريرا . .

فقام مربع يحثو التراب فى وجوه المسلمين ويقول للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو كنت نبيا لما دخلت حائطى دون إذن . . وان كنت رسول الله لاأحل لك أن تدخل حائطى ، وأخذ بحفنة من تراب وقال : لو كنت أعلم

أنى لاأصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك .[٢٦]

فابتدره سعد بن زيد فضربه بالقوس فى رأسه فشجه ، وأراد القوم البطش به وقتله .

ولكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حال بينهم وبينه ، وقال : لاتقتلوه ، فهو أعمى القلب أعمى البصر .

وغضب له بعض بنى حارثة ممن كانوا على مذهبه فى النفاق ، ولكنهم لم يرجعوا مع من رجع من المنافقين . فَهَمَّ بهم أسيد بن حضير وأراد التخلص منهم ، ولكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشار اليه بترك ذلك . فكف عنهم . .

لقد قاسى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المنافقين مقاساة شديدة ، وكان وجودهم بين المسلمين عبئا كبيرا على المعركة ، ولكن سعة صدره ورحمته ورأفته وأمله فى أن ينصلح شأنهم هو الذى جعله يصبر عليهم كل هذا الصبر الطويل .

ونزل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشعب من أُحُدُ ، فجعل ظهره وعسكره الى أحد وصف المسلمين .

---

(٢٦) أسد الغابة جـ ٥ صـ ١٣٥ ، السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٤٩٥

وصف ميدان المعركة

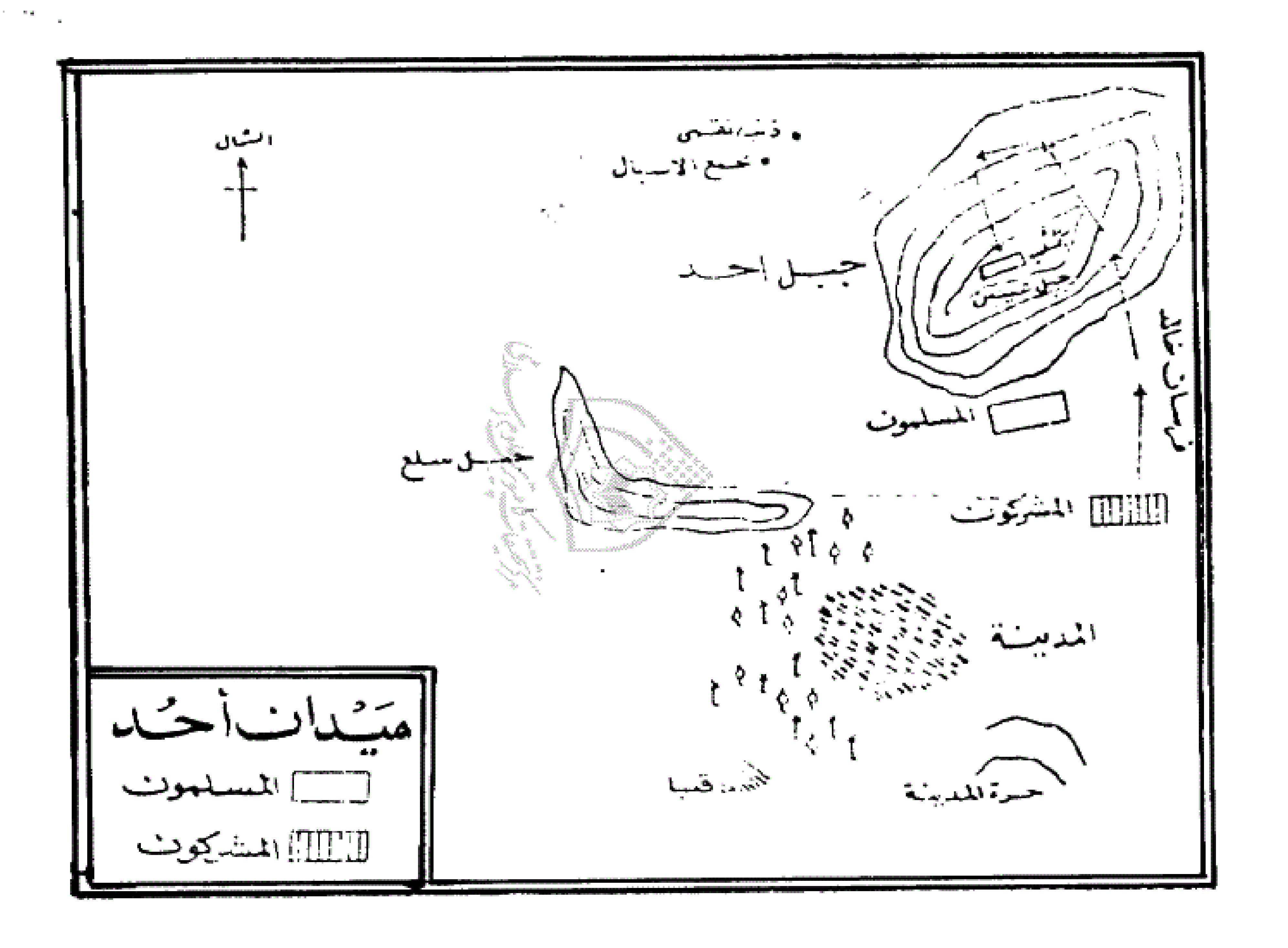
ويصف لنا أحد القادة العسكريين ميدان المعركة فيقول :

«إن أحُداً عبارة عن هضبة طبيعية كبيرة ، تقع شمال المدينة على مسافة أربعة أميال « اعتبر مسجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كنقطة انطلاق من المدينة » وترتفع الى علو ألف قدم عن مستوى السهل المحيط بها ، ويبلغ طول هذه الهضبة الطبيعية خمسة أميال وفى الجزء الغربى من أحد يوجد بروز كبير يهبط بانحدار شديد نحو السهل ، كما يوجد الى يمين هذا البروز واد يرتفع بشكل طفيف ويضيق وهو يبتعد حتى يصل الى مضيق يبعد ۱۰۰۰ متر عن نهاية البروز ، وفى مدخل الوادى وعند نهاية البروز وضع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جيشه بحيث كان الوادى خلفه . .[۲۷]

انظر الصورتين

---

(۲۷) خالد بن الوليد ترجمة العميد الركن صبحى الجابى ص ـ ٤٣


ميدان أحد
المسلمون
المشركون
فرسان خالد
جبل أحد
المسلمون
المشركون
ذنب نقمى
مجمع الأسيال
الشمال
جبل سلع
المدينة
حرة المدينة
قبا

ش

عيينة

عكرمة

نبالة

خالد

معسكر

حقول بركانية

سلع

المدينة

العلامات

النبي

المسلمون

قريش

المقياس

١ بوصة ١٠ ميل

لقد نظم النبى - صلى الله عليه وسلم - جيشه فى تشكيل متلاحم تبلغ جبهته ١٠٠٠ ياردة ، ووضع جناحه الأيمن عند سفح تل صغير يبلغ ارتفاعه ٤٠ قدما وطوله ٥٠٠ قدما يسمى « عينين »

كانت ميمنة المسلمين مؤمنة ، ولكن ميسرتهم كان يمكن الالتفاف حولها من وراء تل « عينين » ولمواجهة هذا الخطر وضع النبى - صلى الله عليه وسلم - خمسين راميا على تل « عينين » بحيث يسيطرون على طرق الاقتراب التى قد يناور القرشيون منها للوصول الى مؤخرة المسلمين .

وقد أعطى النبى - صلى الله عليه وسلم - تعليماته الواضحة المشددة الى أمير الرماة وهو عبد الله بن جبير فقال له :

« انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لانؤتين من قبلك »

وفى رواية : « لاتبرحوا مكانكم حتى أوذنكم »

« ان رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وان رأيتمونا ظهرنا على القوم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم »

« وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا . .

وفى رواية « الزموا مكانكم لاتبرحوا منه ، فإذا رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا ، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنَّا لن نزال غالبين مامكثتم مكانكم ، اللهم انى أشهدك عليهم [٢٨]

---

(٢٨) السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٤٩٦

لقد كانت الأوامر الصادرة إلى الرماة محددة بشكل دقيق . .

« فبما أن « عينين » كان هضبة طبيعية هامة ومسيطرة تماماً على المنطقة المحيطة بها كان من المحتم التأكيد على ضرورة عدم سقوطها بأيدى قريش » (٢٩)

صلاة ووصية ودعاء

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يصفَّ أصحابه للقتال قد صلى بأصحابه صلاة الصبح بعد أن أذن بلال بالصلاة ، والمسلمون يرون المشركين أمامهم .

واصطف المسلمون صفوفاً خلفه ، وبعد أن انتهت الصلاة خطب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أصحابه خطبة قصيرة ولم يذكر فيها القتال وكان من جملة ما ذكر فيها :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا صبياً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً » وفى رواية (إلا امرأة أو مسافرا أو عبدا أو مريضا) ـ ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غنى حميد ، ماأعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى ـ إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه ، وكونوا على يقين من أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم وأجملوا فى طلب

---

(٢٩) خالد بن الوليد ص ٤٤

الرزق ، لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد ، اذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده والسلام عليكم »[٣٠]

لقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رابط الجأش ، وأراد أن يبث فى نفوس أصحابه الثقة بالله .. وقد أشار إلى مايجب عليهم فى معركتهم المرتقبة من طريق خفى دون أن يصرح بذلك ، تاركاً لفطنتهم التنبه له ..

فقد أخبرهم بأن الآجال مقدورة ـ فالفرار من المعركة لن يطيل العمر ، كما أن الإقدام فيها لن ينقص من العمر شيئاً كما أخبرهم أن الأرزاق مقدورة ، فالتكالب على جمع المغانم لا يزيد فى الرزق المقدور شيئاً ، كما أن الالتزام بالأوامر وعدم التقصير فيها لن ينقص من الرزق المقدور شيئاً ..

وقد أخبرهم أن العلاقة بين المؤمنين يجب أن تكون فوق الماديات ، وأن الترابط يجب أن يكون قوياً كترابط الجسم بأعضائه فلا ينبغى أن يفر أحد من المعركة تاركاً أخاه عرضة للعدو ، بل يجب أن يقيه بنفسه ويفديه بروحه وبكل مايملك .. وكأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أحس أن إتيان المسلمين لن يكون إلا بسبب الاشتغال بالدنيا والغفلة عن الواجب بسبب الرغبة فى الغنيمة ، فأعلمهم أن الرزق مكفول ولن تموت نفس قبل أن تستكمل رزقها وأجلها ..

---

(٣٠) السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٤٩٦

وجاءت اللحظة الحاسمة

جعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الرماة عبدالله بن جبير ، وهو قائد كفء شجاع لم يقصر فيما وكل اليه من أمر . .

وأعطى اللواء لمصعب بن عمير ، وللخزرجيين لواء كان بيد الحباب بن المنذر وللأوس لواء كان بيد أسيد بن حضير . .

وأخرج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيفاً كان مكتوباً عليه :

فى الجبن عار وفى الإقدام مكرمة والمرء بالجبن لاينجو من القدر

وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

فتنافس فى سبيل ذلك الرجال . .

قام علىّ رضى الله عنه ـ ليأخذه ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: اجلس فقام عمر ـ رضى الله عنه ـ فأعرض عنه .

فقام الزبير ـ رضى الله عنه ـ فأعرض عنه ـ وقيل : إن الزبير طلبه ثلاث مرات . .

ثم قام إليه أبو دجانة فقال : ما حقه يارسول الله ؟

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : حقه أن تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى .

فقال : أنا آخذه بحقه .

فأعطاه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ له . .

قال الزبير بن العوام : وَجِدت فى نفسى حين سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ، ومن قريش ، وقد قمت إليه وسألته اياه قبله ، فأعطاه أبا دجانة وتركنى !

فقلت : والله لأنظرن ما يصنع به أبو دجانة ، فاتبعته لأشاهد الآية الباهرة والحكمة العظيمة فى منع المصطفى لى ولغيرى ، فازداد يقينى .

فقد أخذ أبو دجانة عصابة حمراء مكتوباً فى أحد طرفيها : « نصر من الله وفتح قريب » ، وفى طرفها الآخر : « الجبانة فى الحرب عار ، ومن فر لم ينج من النار »

فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج عصابة الموت .

فخرج بها وهو يقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر فى الكيُّول[٣١] أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحداً من المشركين إلا قتله ..

وكان أبو دجانة حين أخذ السيف ، أقبل يتبختر فى مشيته عجباً أمام العدو . فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا فى هذا الموقف .

---

(٣١) الكيول . بفتح الكاف ، وتشديد الياء المضمومة ـ مؤخر الصفوف

أبو عامر الفاسق يحاول إثارة الفتنة

وجاء أبو عامر الفاسق وبرز أمام الصفوف ينادى قومه : يا معشر الأوس أنا أبو عامر انظرونى أكلمكم فأجابوه قائلين : لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق ، ثم هاجموه ورموه بالحجارة ، وشتموه ، فولى مدبراً ، وهو يقول : لقد أصابكم بعدى شر .

وجاء أبو سفيان ينادى : « يا معشر الأوس والخزرج ، خلوا بيننا وبين بنى عمنا ، وننصرف عنكم .

ولكنه وُوجه بالشتم واللعن ، فعاد من حيث أتى .

وجاء رجل قَوى من المشركين على بعير له ، فدعا للمبارزة ، فأحجم عنه الناس ، حتى دعا ثلاثا ، فقام إليه الزبير ـ رضى الله عنه ـ فوثب حتى استوى معه على البعير ، ثم اقتتلا فوق البعير .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى يلى حفيض الارض مقتول فوقع المشرك ووقع عليه الزبير فقتله وحميت المعركة .

وأثنى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الزبير خيراً ، وقال : « لكل نبى حوارى وإن حواريى الزبير »

وقال : « لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه ، وذلك لما رأى من إحجام الناس عنه .

وقد بدأت المعركة بالمبارزة . فقد تقدم صاحب لواء المشركين : طلحة ابن أبى طلحة ونادى : هل من مبارز ؟ هل من مبارز ؟

وكرر نداءه عدة مرات . . . . .

ثم قال : يا أصحاب ـ زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا الى النار . فهل أحد منكم يعجلني بسيفه الى النار ؟ أو أعجله بسيفي الى الجنة ، كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليَّ بعضكم .

فخرج إليه على بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ فالتقيا بين الصفين ، فبدره عليّ بالسيف فقطع رجله ، فوقع على الأرض ، وبدت عورته ، فقال : ياابن عمى ، أنشدك الله والرحم .

فرجع عنه علي ـ كرم الله وجهه ـ ولم يجهز عليه .
فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما منعك من أن تجهز عليه ؟
فقال : يا رسول الله ، ناشدنى الله والرحم .
فقال له : اقتله فإنه عدو لله ، فقتله .

لقد كان على ـ كرم الله وجهه ـ يستحى أن ينظر إلى عورة ، حتى عورة نفسه . ومن أجل ذلك يقال : كرم الله وجهه ـ فى الدعاء له . .
وحمل لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان ، فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فقتله كذلك .

فأخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم فأصاب حنجرته فقتله .
فأخذ اللواء مسافع بن طلحة فقتله عاصم بن ثابت بن الأفلح .
فأخذ اللواء أخوه الحارث بن طلحة فقتله عاصم بن ثابت أيضاً .

وكانت سلافة أمها قد رأت عاصماً يقتل ولديها مسافعا والحارث فنذرت لئن ظفرت برأس عاصم لتشربن فى قحفته الخمر . ولتعطين لمن يجىء به مائة من الابل .

وكان هذا النذر من أسباب مذبحة الرجيع التى سبق أن أشرنا إليها ، وأستشهد فيها عاصم بن ثابت ، وأراد أعداؤه من هذيل أن يحتزوا رأسه ، ولكن الله حماه بالنحل وهطل سيل فاحتمله إلى حيث شاء الله .

لقد كان لواء المشركين بيد هؤلاء وهم من بنى عبد الدار . . وهم أصحاب اللواء منذ عهد الجاهلية . .

لقد قال أبو سفيان لبني عبد الدار : يا بنى عبد الدار ، إنكم تركتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما تؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه . فَهَمَّ به بنو عبد الدار وتوعدوه ، وقالوا له : نحن نسلم إليك لواءنا ؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ؟

وذلك الذى أراد أبو سفيان .

ويقال : إن فى بنى عبد الدار هؤلاء نزل قوله ـ تعالى ـ

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [٣٢]

---

(٣٢) الأنفال ٢٢

ذكر ذلك القرطبى فى تفسيره وابن كثير فى تفسيره واختاره الطبرى مرويا عن ابن عباس ومجاهد .

لقد حرص آل طلحة وهم من بنى عبد الدار على الاستماتة دون اللواء ، وما زال يقتل منهم واحد إثر واحد دونه . حتى سقط اللواء فى النهاية ، وولى المشركون الأدبار .

دور الفرسان

ولم يكن مع المسلمين خيول تذكر - كما قلنا - أما جبهة المشركين فكان فيها مائتا فارس ، انقسموا فريقين ميمنة وميسرة .

وكان على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل .
وتقدم خالد تحت تغطية نبالته على رأس فرسانه لمهاجمة الجناح الأيسر للمسلمين ولكنه أجبر على التراجع بسبب رمايات المسلمين الدقيقة بقيادة عبد الله بن جبير .
وكذلك لم تُجدِ محاولة عكرمة .

وكانت المبارزة قد اشتعلت بين الفريقين وجندل أبطال المسلمين المبارزين من المشركين واحداً وراء الآخر .
ولكن ذهب ضحية هذه المبارزة أسد الله حمزة بن عبد المطلب بسبب طعنة غادرة من وحشى الذى كان يرصده خفية ويتحين الفرص له طمعاً فى المكافأة التى رصدت له ، وحين رآه وقد فرغ من قتل سباع بن عبد العزى

بضربة قاصمة ، سدد إليه ضربة بمزراقه فى منطقة انكشف عنها درعه . فاستشهد على أثرها .

وحاول أبو سفيان أن يشترك فى المبارزة وكان يمتطى فرساً ، فلقيه أنصارى شجاع هو حنظلة بن أبى عامر مترجلاً ، وقبل أن يتمكن أبو سفيان من استخدام رمحه أو سيفه كان حنظلة أسبق إلى فرسه فضرب قائمتيه الأماميتين فطرح أبا سفيان أرضاً ، فصرخ طالباً النجدة ، وخف إليه من ينجده . ولكن أبا سفيان آثر الانسحاب إلى صفوف قريش . وستأتى الاشارة الى هذه القصة فيما بعد .

ولم يستمر صمود القرشيين طويلاً ، فسرعان ما دب الذعر فى صفوفهم ، وأخذوا يفرون أمام المسلمين فى غير انتظام تاركين وراءهم أسلحتهم وأمتعتهم ، وتبعهم المسلمون واستولوا على معسكرهم .

ولم تجد صيحات النساء القرشيات وأناشيدهن للفرسان شيئاً ، بل أخذن يطلقن صيحات الفزع والخوف .

ويصور الزبير بن العوام ـ رضى الله عنه ـ هرب القرشيات وفزعهن بقوله فيما يرويه عنه ابنه عبد الله : والله لقد رأيتنى أنظر الى هند بنت عتبة وصواحباتها مشمرات هوارب ، ما دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة الى العسكر[٣٣] . .

---

(٣٣) سيرة ابن هشام جـ ٣ صـ ١٥٥

« وانقض المسلمون على مخيم قريش وبدءوا فى جمع الغنائم ، وكانت الفوضى على أشدها فى المخيم الذى يعج بالنساء والعبيد المذعورين خوفاً على حياتهم . بينما كان المسلمون يغنمون غنائم الكفار التى يجدونها فى طريقهم ، وهم يكبرون فرحين مستبشرين ، فما كان إلا أن انعدم النظام ، وفقدت السيطرة ، لأن المسلمين شعروا بأنهم كسبوا المعركة .

والحقيقة أنهم كانوا قد كسبوا المرحلة الأولى فقط من المعركة ، وكانت خسائر قريش طفيفة إلا أنهم اضطربوا بشكل واضح ، وبدا الموقف وكأن المعركة قد انتهت ، ولكن الحقيقة لم تكن كذلك[٣٤] »

تغير وجه المعركة

إلى هنا كان واضحاً أن المعركة قد انتهت لصالح المسلمين ، وأن المشركين قد ولوا الأدبار وأحاط المسلمون بنساء المشركين ، ووقع الصنم الذى حمله المشركون معهم للتبرك به من فوق الجمل الذى كان يحمله .

ولكن عندما كان المسلمون يطاردون المشركين ويقتحمون مخيمهم ، كان الجناحان المتحركان لقريش المتمثلان فى فرسانهم يقفان فى ثبات . وتحرك خالد وعكرمة إلى الوراء قليلاً عن مواقعهما السابقة ، لكنهما كانا مسيطرين تماماً على رجالهما ، ولم يسمحا لأى فارس أن يتراجع . . . . شاهد خالد الفوضى التى حدثت أمامه ورأى القرشيين وهم ينهزمون ، وشاهد المسلمين وهم منهمكون فى جمع الغنائم .

---

(٣٤) خالد بن الوليد صـ ٥٠

ورأى النبالة المسلمين الموجودين فى « عينين » الذين كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أوصاهم ألا يبرحوا أماكنهم سواء غلب المسلمون أو غُلبوا ، رآهم وقد أغرتهم المغانم فتناسوا وصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانطلقوا من أماكنهم يشاركون إخوانهم المسلمين فى جمع الغنائم ، ولم تجد تحذيرات قائدهم عبد الله بن جبير شيئاً .

كانت الغنائم مغرية ، فالتفت النبالة الى قائدهم وطلبوا منه أن يأذن لهم بالانضمام الى زملائهم فى التقاط الغنائم .

لكن عبد الله بن جبير كان حازماً فى رفضه وقال لهم : إنكم تعلمون جيداً أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمرنا ألا نبرح مكاننا سواء انتصرنا أو انهزمنا . فعلينا أن نبقى فوق هذا التل الى أن تصدر إلينا الأوامر بتركه .

لكن النبالة أجابوا قائلين : إن هذا لصحيح ، لكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقصد ذلك ، وإنما يقصد أن نتمسك بالتل أثناء المعركة ، وقد انتهت المعركة فلا يوجد أى معنى لبقائنا .

وعلى الرغم من احتجاج القائد عليهم ورفضه مغادرة موقعه إلا أنهم أسرعوا نحو معسكر قريش متصايحين : الغنيمة الغنيمة . وبقى عبد الله ومعه تسعة آخرون رفضوا إغراء الغنيمة . وآثروا تنفيذ وصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أى شىء آخر . . قاتل الله المادة فما أوق الانسان

قديماً وحديثاً إلا من قِبَلها . وما عفَّ أحد عن الدنيا إلا أعزه الله ، وما حرص أحد عليها إلا أذله الله ـ وقديماً قال الحكماء : أذل الحرص أعناق الرجال .

وهكذا ترك هؤلاء الرماة أماكنهم . . ووجدها خالد بن الوليد فرصة سانحة فتركهم حتى وصلوا الى مخيم قريش ، وبدأ ضربته التى غيرت وجه المعركة .

شن خالد هجوماً خاطفاً على النبالة القليلين الذين بقوا بعد ترك اخوانهم مواقعهم .

ورآه عكرمة فأسرع بمظاهرته ، وقام الفريقان معاً بتطويق المكان والقضاء على من فيه . .

ولكن استيلاءهم على الموقع لم يكن سهلاً ، فقد قاوم النبالة على الرغم من قلتهم مقاومة عنيفة حتى استشهد عبد الله بن جبير بعد اصابته بعدة جراحات . واستشهد بعض زملائه وجرح الباقون . وخلا الموقع من المسلمين ليتمكن منه فرسان المشركين ، وبذلك انكشفت مؤخرة المسلمين ، وأصبح فى إمكان المشركين أن يهاجموهم من الخلف .

وفعلاً تم ذلك ، فقد هاجم عكرمة مع جزء من سريته المجموعة التى كانت مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أما خالد فقد هاجم بسريته وبالجزء الباقى من سرية عكرمة المسلمين المشغولين بجمع الغنائم فى مخيم قريش .

لقد كان تحول المعركة لصالح المشركين بفضل يقظة خالد بن الوليد القائد العبقرى الذى لم يكن قد أسلم بعد ، والذى كسبه الاسلام بعد ذلك قائداً من خيرة القواد وأطلق عليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيف الله المسلول : على أن يقظته هذه لم تكن لتغنى شيئاً لو أن الرماة التزموا بتعليمات الرسول ﷺ ولم يتركوا أماكنهم ..

أخذ خالد المسلمين على غرة ، وأخذ هو وفرسانه يهجمون على المسلمين المنهمكين فى جمع المغانم فى معسكر قريش ، فساد الهرج والمرج بين صفوفهم ، وفقد عدد منهم صوابه وفكر فى الفرار ، إلا أن معظمهم استعاد هدوءه وتنبه للمفاجأة وبدأوا يقاتلون .

والتحم فرسان خالد برجّالة المسلمين فى معركة ضارية ، وفى هذه الأثناء اندفعت امرأة مشركة اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية والتقطت لواء المشركين الذى كان قد سقط على الأرض وداسته الأقدام ولوثته الدماء والرمال ، ورفعته الى أعلى وأخذت تلوح به فى الفضاء ، حتى رآه القرشيون فانعطفوا نحوه ..

وكان ممن رآه قائد المشركين أبوسفيان بن حرب ، وكان قد ولى الأدبار لايلوى على شيء . فما أسرع أن عاد واستعاد السيطرة على معظم المشاة . وأعاد رجاله للقتال ، واندفعوا مرة أخرى يرددون شعارهم الذى تنادوا به فى أول المعركة : من أجل عزى ، من أجل هبل

وأصبح المسلمون فى موقف لايحسدون عليه ..

إنهم الآن بين فكى الرحى ، أو بين نارين ..

الخيالة من خلفهم بقيادة خالد ، ومشاة أبى سفيان من أمامهم واستطاع أبوسفيان الذى سبق أن فر من أمام سيف أحد المسلمين أن يقتل أحد المسلمين . .

وتصاعد الغبار عاليا حتى سد الأفق وتعذرت الرؤية ، وأربك ذلك المسلمين فأخذ بعض منهم يضرب بعضا ظنا منهم أنهم من الأعداء . . وعلى الرغم من ذلك فلم يأخذ الذعر الى نفوسهم سبيلا . . .

النبى فى المعركـــة

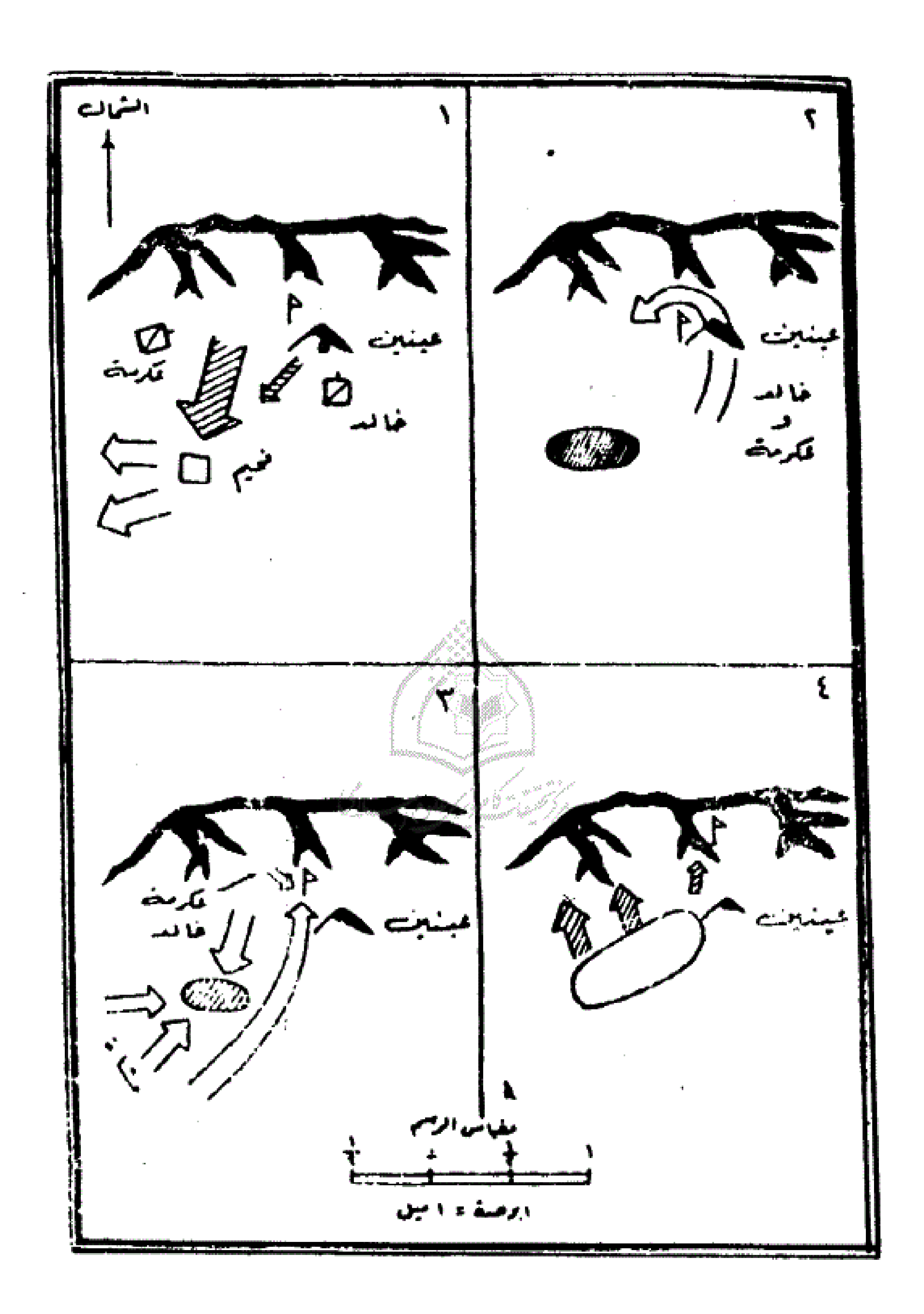
وانقسمت المعركة الى قسمين منفصلين تماما . .

ذلك أن القوة الرئيسية من المسلمين كانت تقاتل القوة الرئيسية من جيش قريش وميدانها معسكر العدو نفسه . .

وكانت هناك مجموعة أخرى من المسلمين هى التى كانت تحيط بالنبى - ﷺ - دفاعا عنه ، وأصبحت هذه المجموعة هدف العدو الذى سيطر على الموقف بعد فقد الرماة المسلمين موقعهم .

فقد انطلق عكرمة بن أبى جهل بجزء من سريته وبعض من مشاة قريش نحو موقع النبى - ﷺ . .

انظر الصورة رقم ٢ لتعرف كيف دارت المعركة



الشمال
١
٢
٣
٤
حنين
عكرمة
خالد
خالد
و
عكرمة
حنين
عكرمة
خالد
حنين
حنين
مقياس الرسم
١ بوصة = ١ ميل

وقد تجلت شجاعة النبى - ﷺ - واضحة تماما فى هذا الموقف الذى يعتبر من أصعب المواقف التى مر بها المسلمون .

كان النبى - ﷺ - بين ثلاثين رجلا من أصحابه الذين لازموه ، ورفضوا أن ينساقوا وراء إغراء المادة ، ويتسابقوا كما تسابق غيرهم فى طلب الغنيمة .

ومن هؤلاء الرجال : على ، وأبو بكر ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو دجانة ، ومصعب بن عمير .

شجاعة أصحاب النبى

وقد كون هؤلاء الرجال سياجا منيعا حول النبى - ﷺ - يحفظونه بأرواحهم ، وظهر حبهم الشديد للرسول واضحا حين كان الواحد منهم يتلقى السهام حتى لاتصل الى النبى صلى الله عليه وسلم .

كان عكرمة أول القرشيين الذين وصلوا الى موقع النبى - ﷺ - يقود مجموعة من رجاله - فأمر النبى - ﷺ - علياً بمهاجمتهم .

وتجلت بطولة علىٍّ واضحة فقد استطاع أن يوقف هجومهم وأن يردهم ويقتل واحدا منهم .

ثم تقدمت مجموعة أخرى من الفرسان نحو النبى - ﷺ ، فأمر النبى عليا أيضا بمهاجمتهم ، فهاجمهم علىٌّ وطردهم وقتل واحدا منهم .

واشتدت حدة القتال ، واستعمل المشركون سهامهم كما استعملوا الحجارة يلقونها على المسلمين المحيطين بالنبى - ﷺ .

ووقف أبو دجانة - رضى الله عنه - أمام النبى - ﷺ - يتلقى عنه سهام المشركين التى كانت تصوب نحوه - ﷺ .

ووقف أبو طلحة حول النبى - ﷺ - يذود عنه ، وكان رجلا راميا شديد الرمى ، فنثر كنانته بين يدى النبى - ﷺ - وهو يقول : نفسى لنفسك الفداء ووجهى لوجهك الوقاء ، فلم يزل يرمى بها حتى نفد ماكان معه من سهام .

وكان الرجل من المسلمين يمر بالجعبة من السهام فيقول النبى - ﷺ : انثرها لابى طلحة . فينثرها .

ووقف النبى - صلى الله عليه وسلم - يشرف وينظر الى القوم ويرى مواقع النبل فيقول له أبو طلحة : يانبى الله بأبى أنت وأمى ، لاتشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك ، ويتطاول أبو طلحة بصدره ليقى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من أبو طلحة ؟

وأبو طلحة هو زيد بن سهيل الأنصارى ممن بنى النجار وهو من شهد العقبة .

ولما هاجر النبى - صلى الله عليه وسلم - آخى بينه وبين أبى عبيدة بن الجراح ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان من الرماة المذكورين فى الصحابة ومن الشجعان المعدودين ، قال ابن الأثير : وله يوم أحد مقام مشهود . هو ماأشرنا اليه آنفا .

قال عنه النبى - صلى الله عليه وسلم : « صوت أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل » .

وهو الذى روى الحديث التالى قال : دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرأيت من بشره وطلاقته مالم أره على مثل تلك الحال ، فقلت : يارسول الله مارأيتك على مثل هذه الحال أبدا ؟

قال : « وما يمنعنى ياأباطلحة وقد خرج من عندى جبريل آنفا ، وأتانى ببشارة من ربى عز وجل - قال لى جبريل : ان الله بعثنى اليك يامحمد مبشرا انه ليس أحد من أمتك يصلى عليك صلاة إلا صلى الله عز وجل - وملائكته عليه عشرا[٣٥] » .

وظل أبو طلحة حياته مجاهدا . . . قال أنس - رضى الله عنه : ان أبا طلحة قرأ يوما سورة براءة ، حتى وصل الى قوله تعالى :

« انفروا خفافا وثقالا »

فقال : أرى ربى يستنفرنى شابا وشيخا ، جهزونى ، فقال له بنوه : قد غزوت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى قبض ، ومع أبى بكر

---

(٣٥) أخرجه الامام احمد فى مسنده ٤/ ٣٠

ومع عمر ، فنحن نغزو عنك ، فقال : جهزونى فجهزوه ، فركب البحر فمات مجاهدا فى سبيل الله . .

وهو زوج أم سليم أم أنس بن مالك .

توفى وهو ابن سبعين سنة . .

وقال بعضهم إنه توفى بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه[٣٦] ـ هذا هو أبوطلحة ـ رضى الله عنه ـ الذى وقف يذود عن النبى ويقيه بنفسه مع أولئك الرجال الذين ثبتوا يوم أحد يؤثرون حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حياتهم . . ومن هؤلاء الرجال

سعد بن أبى وقاص

وكان من الرماة المعدودين الذين وقفوا حول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك اليوم . .

ولسعد ـ رضى الله عنه ـ موقف مشهود فى هذا اليوم .

فقد أخذ يرمى والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يناوله النبل ، ويقول له : « ارم فداك أبى وأمى » .

قال سعد : لقد كان يناولنى حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول : ارم به . فأرمى به فيصيب .

---

(٣٦) اسد الغابة جـ ٦ صـ ١٨١

وقد رمى حباب بن العرقة أحد المشركين أم أيمن . وكانت تسقى جرحى المسلمين - رماها بسهم فوقعت فأغرق عدو الله فى الضحك . فشق ذلك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وناول سعدا سهما لانصل له وقال له : ارم به ، فرماه ، فوقع السهم فى نحر حباب فوقع مستلقيا ، فضحك النبى - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه ، وقال : استقاد لها سعد - أجاب الله دعوته - وفى رواية : اللهم أجب لسعد دعوته . فكان سعد مجاب الدعوة .

وقال سعد : أجلسنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمامه ، فجعلت أرمى وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته وأجب دعوته ، حتى إذا فرغت كنانتى نثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مافى كنانته .

وقد روى أن سعدا رمى يوم أحد مئات السهام مامنها سهم إلا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول له : ارم فداك أبى وأمى ، ففداه فى ذلك اليوم مئات المرات[٣٧] .

وعن على - كرم الله وجهه - ماسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فداك أبى وأمى إلا لسعد - رضى الله عنه .

---

(٣٧) السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٥٠٧

وقد كان لسعد دور آخر فيها بعد ، حين أراد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يرد الذين حاولوا أن يرتقوا الجبل فيشرفوا على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ومن معه .

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اللهم إنهم لاينبغى لهم أن يعلونا ، اللهم لا قوة لنا الا بك ، فقاتلهم عمر بن الخطاب وجماعة معه حتى أهبطهم من الجبل ، وفى رواية ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لسعد : ارددهم قال : كيف أردهم وحدى ؟

فقال له : ارددهم

قال سعد : فأخذت سهما من كنانتى فرميت به رجلا منهم فقتلته .

ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ، فهبطوا من مكانهم .

فقلت : هذا سهم مبارك ، فكان عندى فى كنانتى لايفارقنى . .

وروى عنه أنه قال : لقد رأيتنى أرمى بالسهم يوم أحد فيرده علىَّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد فعرفت أنه ملك[٣٨] .

ولا عجب فى ذلك ، فقد كانت الملائكة تدفع عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

---

(٣٨) المرجع السابق

ومن الرماة المعدودين أيضا سهل بن حنيف ـ رضى الله عنه ـ وكان ممن ثبت مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد ، وكان قد بايعه يومئذ على الموت .

فمن سهل بن حنيف ؟

هو سهل بن حنيف بن واهب الأنصارى الأوسى ، وكنيته أبو سعد وأبو سعيد وأبو عبدالله وأبو الوليد وأبو ثابت .

شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ابن الأثير : ثبت يوم أحد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما انهزم الناس وكان يرمى بالنبل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يومئذ : نَبِّلو سهلا فانه سهل وكان من فقراء المدينة وقد أعطاه رسول الله من أموال بنى النضير كما أعطى منها أيضا أبادجانة

توفى سهل بالكوفة سنة ثمان وثلاثين ، وصلى عليه على ابن ابى طالب[39] . . ومن الذين ثبتوا حول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد أيضا .

أم عمارة

وهى نسيبة ـ بالتصغير على المشهور ـ بنت كعب ـ أبلت بلاء حسنا ،

---

(٣٩) أسد الغابة جـ ٢ صـ ٤٧٠ ـ الطبقات الكبرى جـ ٣ قسم ٢ صـ ٣٩ ط دار التحرير

وكانت من الأنصار ، وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وهى ممن شهد العقبة . . كانت هى وأختها ، أو هى وأسماء بنت عمرو بن عدى .

وقد خرجت نسيبة مع المسلمين يوم أحد لتسقى الجيش وتعالج الجرحى ، فلما رأت ماأصاب المسلمين ، ورأت أن الأعداء يحاولون إصابة النبى - ﷺ - ألقت السقاء والضماد ، وأخذت تدافع عن النبى - ﷺ - . وتعرضت يومئذ لكثير من الجراح ، وأوشكت على الموت .

ولنستمع اليها تحدثنا عن موقفها . قالت : خرجت يوم أحد لأنظر مايصنع الناس - ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى - فانتهيت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو فى أصحابه ، والربح للمسلمين . . فلما اضطرب المسلمون انحزت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمى عنه بالقوس حتى أصبت بالجراح .

وقد رُئِىَ على عاتقها جرح أجوف له غور ، فقيل لها : من أصابك بهذا ؟

فقالت : ابن قمئة - أقبل لما ولى الناس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا .

فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان .

كانت درعا ابن قمئة واقيتين له من ضربة نسيبة - وكنيتها أم عمارة . بالاضافة الى أن ضربة المرأة تكون أقل فى شدتها من ضربة الرجل ، ولذلك لم تؤثر فيه ، واندفع نحوها بعد ان تلقى ضربتها فضربها على عاتقها ضربة شديدة أسقطتها على الأرض وسببت لها جرحا بالغا ، ولكنها لم تقتلها .

وكانت هى دون النبى - ﷺ - فحين سقطت رأى ابن قمئة النبى فقصد نحوه ، فى محاولة لقتله ، وخُيِّل له أنه قتله ، فعاد مسرعا يعلن انه قتل محمدا .

وذاع الخبر بسرعة بين القرشيين الذين هللوا فرحا ، وظنوا أنهم بذلك قد قضوا تماما على المسلمين . .

وقد سرى ذلك الخبر بسرعة بين المسلمين فأوقع فى قلوب بعضهم الوهن . .

لقد رأى النبى - صلى الله عليه وسلم - بلاء أم عمارة دونه ، وشكرها على ذلك ، وقال فى حقها : « ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا ورأيتها تقاتل دونى » .

وقد جرحت - رضى الله عنها - اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف .

وقال النبى - صلى الله عليه وسلم لها ولذويها - زوجها زيد بن عاصم وابنيها خبيب وعبد الله ، وكانوا جميعا فى أحد : بارك الله فيكم أهل

بيت . فقالت أم عمارة : ادع الله أن نرافقك فى الجنة ، فقال : « اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة » . فعند ذلك قالت نسيبة : ماأبالى ماأصابنى من أمر الدنيا ـ أى بعد هذه الدعوة .

مصرع مصعب بن عمير

وكان مصعب بن عمير بيده اللواء ، فقصده ابن قمئة الليثى ، وهو أحد فرسان قريش ، يحاول قتله ، « ولكن مصعبا أثبت قدمه فى الارض فهو لايزول ولا يميل ، ويقبل عليه ابن قمئة فيضرب يده بالسيف فيقطعها ويسقط اللواء ، فيأخذه مصعب بيده الآخرى ويكب عليه ليحفظه ـ ويكر عليه ابن قمئة فيقطع يده الأخرى ، ولكن قدم مصعب ثابتة وهو لايزول ولا يميل ، ومازال اللواء مرفوعا قد ضم عليه مصعب عضديه ، ويكر ابن قمئة مرة ثالثة فينفذ الرمح فى صدر مصعب ، ويسقط مصعب ، ويسقط معه اللواء فيتلقاه أخوه أبو الروم ، ومايزال اللواء مرفوعا حتى يبلغ المدينة[٤٠] » فقد أعطاه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعلى بن أبى طالب .

الإرجاف بموت الرسول

وذكر بعض الرواة أنه حين قتل ابن قمئة مصعبا ظنه النبى ـ ﷺ ـ لأنه حين كان يعتم يشبه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فأشاع بين الناس أنه قد قتل محمدا ، ويبدو أنه قد تنبه لوهمه هذا فأراد أن يصدق وهمه فقصد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرة أخرى بعد أن لمحه

---

(٤٠) على هامش السيرة د طه حسين جـ ٣

حين ضرب نسيبة بسيفه فسقطت ـ ولكن الله خيب قصده ولم تصب ضربته التى وجهها للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هدفها المطلوب ، ولكنه عاد يؤكد أنه قتل محمدا .

وقد أثر هذا الخبر فى معنويات المسلمين فأخذ بعضهم يفكر فى الهرب ، ولكن عددا منهم قرر أن يكون لحياتهم معنى . فان كان الرسول قد قتل فلماذا لايقتلون على ماقتل عليه ؟

وصمم هؤلاء ان يبيعوا أرواحهم بثمن غال . .

وقيل إن الذى أشاع قتل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الشيطان نفسه متمثلا فى صورة رجل من صالحى المسلمين اسمه جعال أو جعيل بن سراقة الغفارى ، وهو من أهل الصفة . أسلم قديما وشهد مع المسلمين أحدا(٤١) .

ووثب الناس على جعال ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول ، وشهد له خوات بن جبير أخو عبد الله بن جبير ، وأبو بردة ، بأنه كان عندهما ويجوارهما حين صرخ ذلك الصارخ بموت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

لقد قال ثابت بن الدحداح الانصارى ـ والمسلمون يومئذ أوزاع متفرقون لايدرون مايصنعون قد أسقط فى أيديهم ـ يامعشر الأنصار ، إلىّ إلىّ أنا ثابت

---

(٤١) أسد الغابة جـ ١ صـ ٣٣٨

ابن الدحداح ، ان كان محمد قد قتل فان الله حى لايموت ، فقاتلوا عن دينكم فان الله مظهركم وناصركم ، فنهض اليه نفر من الأنصار ، فجعل يقاتل بمن معه من المسلمين ، وقد وقفت لهم كتيبة خشناء ـ كثيرة السلاح . فيها رؤساء القوم : عمرو بن العاص ، وعكرمة بن ابى جهل ، وضرار بن الخطاب ـ فجعلوا يناوشونهم ، وحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فأصابه وقتل من كان معه من الأنصار ولقوا الله شهداء ، فيقال : إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين يومئذ .

وذكر الواقدى : ان ثابتا برأ من جراحاته ومات على فراشه بعد الحديبية .

وانهزم بعض المسلمين وولوا الأدبار ، فأقاموا ثلاثة أيام ، ثم جاءوا الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ : ذهبتم بها عريضة » ـ اى واسعة ـ وذكرت بعض الروايات ان من هؤلاء عثمان بن عفان،وخارجة بن زيد،ورفاعة بن يعلى وان كنا نستبعد ذلك على عثمان ـ رضى الله عنه ـ

وفى تولى هؤلاء نزل قوله ـ تعالى

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [٤٣]

---

(٤٢) أسد الغابة جـ ١ صـ ٢٦٧
(٤٣) آل عمران ١٥٥

ذكر القرطبى فى تفسيره قال : كان بين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال عبد الرحمن : وقد شهدت بدرا ولم تشهد ، وقد بايعت تحت الشجرة ولم تبايع ، وقد كنت مع من تولى يوم الجمع - اى يوم أحد -؟

فرد عليه عثمان : أما قولك شهدت بدرا ولم تشهد ، فانى لم أغب عن شىء شهده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أن بنت رسول الله - ﷺ - كانت مريضة وكنت معها أمرضها ، فضرب لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سهما فى سهام المسلمين،وأما بيعة الشجرة فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعثنى ربيئة على المشركين ، فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمينه على شماله فقال : هذه لعثمان - فيمين رسول الله - صلى الله عليه وسلم وشماله خير لى من يمينى وشمالى .

وأما يوم الجمع فقال الله - تعالى :

« ولقد عفا الله عنهم » فكنت فيمن عفا الله عنه .

فحج عثمان عبد الرحمن

ولئن كان عثمان قد أجاب عن نفسه فى هذه المحاورة . فان ابن عمر - رضى الله عنه - أجاب عنه بذلك فى محاورة أخرى رواها عثمان بن

موهب ، قال : جاء رجل حج البيت ، فرأى قوما جلوسا ، فقال : من هؤلاء القعود ؟

قالوا : هؤلاء قريش

قال : من الشيخ ؟

قالوا : ابن عمر

فأتاه فقال له : انى سائلك عن شيء ، أتحدثنى ؟ قال : نعم

قال : أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم ان عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟

قال ابن عمر : نعم .

قال الرجل : فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم .

قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟

قال : نعم .

فكبر الرجل .

قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك ماسألتنى عنه .

أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت مريضة ، فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه » ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فانه لو كان أحد أعز ببطن مكة

---

(٤٤) قال : أشار ، والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الافعال وتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول : قال بيده اى أخذ ، وبرجله : اى مشى

من عثمان بن عفان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان الى مكة ، فقال [٤٥]النبى ـ صلى الله عليه وسلم : بيده اليمنى : هذه يد عثمان » فضرب بها على يده اليسرى ، فقال : « هذه لعثمان » . اذهب بهذا الآن معك[٤٦] .

لقد انهزمت طائفة فيما يروى الرواة حتى بلغت المدينة ، فلقيتهم أم أيمن فحثت فى وجوههم التراب ، وقالت لبعضهم : هاك المغزل وأعطنى سيفك . فالمنهزمون يومئذ فريقان ، فريق منهم لم يدخل المدينة وفريق دخل المدينة .

النبى يقتل أبى بن خلف

وكان أبى بن خلف يتوعد النبى ـ ﷺ ـ منذ كان فى مكة ويقول له : يامحمد ان عندى « العود » اسم فرس . أعلفه كل يوم فرقا ـ مكيال ـ من ذرة أقتلك عليه .

وكان النبى ـ ﷺ ـ يرد عليه : أنا أقتلك ان شاء الله .

وتكرر ذلك من أبىّ حين أسر يوم بدر ، وجاء أهله ليفتدوه ، فقال أمام من سمعه من الناس : والله ان عندى فرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا .

---

(٤٥) تفسير القرطبى جـ ٤ صـ ٢٤٤ ط دار الكتب ، ومعنى اذهب بهذا الآن معك ـ اى ارجع بهذه الأجوبة حتى يذهب عنك الشك فى امر عثمان

فلما سمع ذلك النبى - ﷺ - قال : بل أنا أقتله ان شاء الله . .

وجاء يوم أحد ، واعتلى أبيٌ فرسه هذه التى تحدث عنها ، وقال : أين محمد ، لانجوت إن نجا .

ورآه النبى - صلى الله عليه وسلم - قادما نحوه ، وقد تهيأ له أصحابه يريدون لقاءه والقضاء عليه إن أمكن ، أو الحيلولة بينه وبين النبى - صلى الله عليه وسلم .

فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه افسحوا له الطريق . .

فأقبل أبي وهو متحفز ينادي : أين تفر منى يامحمد ؟

فتناول النبى - صلى الله عليه وسلم - الحربة من أحد أصحابه ، ورماه بها فأصابت فرجة فى عنقه ظاهرة من الدرع .

وقيل : إنها كسرت ضلعا من أضلاعه ، فعاد منها وهو يخوركما يخور الثور . وسقط من فوق فرسه مرارا .

وجعل يقول : قتلنى محمد ، قتلنى محمد .

ونظر رفاقه من المشركين الى جرحه فرأوا أنه غير عميق ، فقالوا له : انه ليس بشىء .

فقال : كلا ، لقد قال محمد إنه سيقتلنى وهو صادق فيما يقول ، انه لو بصق على لقتلنى .

وأخذ أبي بن خلف يهذى ، ويحاول زملاؤه أن يخففوا عنه ويخبروه أن جرحه ليس شيئا يذكر ، ولكنه كان فى حالة معنوية سيئة .

وسرعان مافارق الحياة وهو فى طريقه الى مكة فى مكان يسمى « سرف » .

لقد قتل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبى بن خلف ـ بنفسه وقد كان فى إمكانه ان يوكل ذلك الى بعض أصحابه .
ولكن المسألة مسألة شرف شخصى ، ومسألة فروسية ، إن أُبيًّا تحداه فلابد أن يقبل التحدى . .

وليس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأقل شجاعة من غيره ، بل إنه أشجع الشجعان ، قال على ـ رضى الله عنه ـ وهو المعروف بالفروسية والاقدام والشجاعة ـ كنا اذا حمى الوطيس نتقى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يكون أحد أقرب الى العدو منه .

وصدقت نبوءة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى بن خلف حين قال له : بل أنا الذى سأقتلك ان شاء الله . وصدق قول الله فى حق رسوله :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (٤٦)
وكان المكان الذى دفن فيه أبىٌّ مناسبا له ، دفن فى سرف ، وهو مسرف فى كفره .
وقيل دفن فى بطن رابغ ، فعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما أنه قال : إنى لأسير ببطن رابغ فى الليل إذا نار تأجج لى لهبها ، واذا رجل يخرج منها فى

(٤٦) النجم ٣ ، ٤

سلسلة يجتذب بها يصيح : العطش ، ونادانى : ياعبد الله - فلا أدرى أعرف اسمى ، او كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه : ياعبد الله ؟

فالتفت اليه ، فقال : اسقنى . فأردت أن أفعل ، فإذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول : لاتسقه ، هذا قتيل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا أبى بن خلف - لعنه الله[٤٧] .

لقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - فارسا ومبارزا ومصارعا وراميا ، يجيد كل أنواع القتال .

وفى هذه الموقعة « رمى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن قوسه حتى تحطمت القوس ، وتساقط المسلمون حوله صرعى واحدا بعد الآخر متفانين فى الدفاع عنه حتى استطاعوا شق طريقهم عبر صفوف قريش الى رابية مشرفة من روابى جبل أحد .

« وتركت هذه الاستماتة أثرها فى قريش ، فتوقف هجومهم قليلا ، واستفاد المسلمون من هذه الفرصة التى سنحت لهم ، فصعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهم الى جبل أحد ، وفى طريق صعوده رآه كعب بن مالك - الذى كان مع المسلمين الذى تفرقوا عنه لهول صدمة المباغتة من قريش لهم ، ولانتشار شائعة قتل الرسول - صلى الله عليه وسلم - فنادى كعب بأعلى صوته : يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله[٤٨] .

---

(٤٧) رواه البيهقى

(٤٨) الرسول القائد محمود شيب خطاب صـ ١٧٢

وارتفعت روح المسلمين المعنوية بذلك النداء . بالقدر الذى أصاب قريشا بالخيبة .

واستطاع المسلمون أن يصلوا الى هضبة مرتفعة من جبل أحد . وحاول خالد بن الوليد بفرسانه أن يسد الطريق عليهم ، ولكن المسلمين تمكنوا من صد قواته .

وذهبت كافة المحاولات التى قام بها القرشيون للقضاء على المسلمين أدراج الرياح .

فقد تجمع المسلمون حول نبيهم وأصبحوا تحت قيادته ، بعد أن فرقتهم الأطماع فى التقاط الغنائم فحدث ماحدث ..

وبلغ الاعياء بقريش حدا كبيرا ، وفشلت حملاتهم الهجومية المتكررة فقررت إنهاء القتال .. وكان ذلك فى مصلحة المسلمين ..

جراحات النبى

لقد تعرض النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لاعتداءات متكررة من قبل العدو ، فقد كان هو شغلهم الشاغل ، لأنه الرمز الحى الذى يلتف حوله المسلمون ، فلو تمكن المشركون من القضاء عليه لقضوا على هذه الدعوة .

وقد قصد اليه ابن قمئة كما قصد اليه أبي بن خلف ، وقصد اليه غيرهما .. وباءت كل محاولات هؤلاء بالفشل .

وكان أبو عامر الفاسق قد حفر حفرا فى طريق المسلمين فى محاولة لتعويقهم عن القتال .

وحين حاول ابن قمئة التعرض للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسيفه ، وجرده عليه أثرت هذه الضربة فى عاتقه حتى ظل النبى صلى الله عليه وسلم ـ يشكو منها شهرا .

وَقُذِفَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحجارة حتى وقع وأصيب بعدة جروح .

ورماه عتبة بن أبي وقاص بحجر فأصابه فى فمه وشق شفته السفلى .

ووقع صلى الله عليه وسلم فى احدى هذه الحفر التى حفرها الفاسق ـ لعنه الله . .

وحين رأى حاطب بن أبي بلتعة ـ عتبة يصيب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحجر الذى أدمى وجهه وكسر رباعيته قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم : أين توجه عتبة ؟

فأشار النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للجهة التى توجه اليها .

فتبعه حاطب حتى ظفر به فضربه بسيفه حتى أطاح برأسه ، وأخذ فرسه وسيفه وعاد بهما الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : رضى الله عنك ، رضى الله عنك .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دعا على عتبة حين وجه الحجر اليه فقال : اللهم لايحول عليه الحول حتى يموت . .

لقد كانت الاستجابة سريعة ، فلم تنتظر أكثر من ساعة بل ربما أقل . .

وقد استجاب الله دعوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ابن قمئة أيضا ، فانه بعد أن ضرب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : خذها وأنا ابن قمئة .

قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقمأك الله فى النار . . اى أذلك وأخزاك .

فخرج بعد وقعة أحد الى غنمه ، فوافاها وهى تفر فى ذروة جبل ، فأخذ يعترضها ، فشد على كبشها فنطحه نطحة فأرداه من شاهق الجبل فتقطع . .
وهل هناك أذل من هذه النهاية ؟

إن هذا الرجل الذى كان يطاول بنفسه ويفاخر بقوته ، ويزهو بشجاعته ، ويتحدى الأبطال والشجعان . يقتله كبش ويرديه من فوق الجبل . .

ودخلت حلقتان من المغفر[٤٩] فى وجنتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخرجها أبو عبيدة بن الجراح بأسنانه فخلعت ثنيتاه بسبب ذلك . .

وأخذ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمسح الدم من على وجهه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟
وفى ذلك نزل قوله ـ تعالى
« ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون[٥٠] .

---

(٤٩) المغفر ـ حلق تسبغ على العنق لتقيه
(٥٠) آل عمران ١٣٨

لقد هم النبى صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعو على المشركين ، أو قد استأذن ربه فى أن يدعو عليهم لاستئصالهم ، فلما نزلت هذه الآية علم أن منهم من سيُسلم ، وقد آمن فعلا كثير من هؤلاء الذين أصابوا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين بالأذى ـ فقد آمن خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبى جهل ، وأبو سفيان بن حرب وغيرهم . .

لقد بعث الله رسوله رحمة مهداة ، ولم يبعثه لعانا ولا صخابا . .

ذكر القرطبى قال : لما كسرت رباعيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَشُجَّ وجهه يوم أحد شقّ ذلك على أصحابه كثيرا وقالوا : لو دعوت عليهم ، فقال : إنى لم أبعث لعانا ، ولكن بعثت داعيا ورحمة ، اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون .

وقال له عمر : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال : « رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا » ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا ، لقد أدمى وجهك وكسرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا خيرا ، فقد قلت : « رب اغفر لقومى فإنهم لايعلمون »

القرشيون ينصرفون

لقد فكر القرشيون فى العودة جديا ، لأنهم أيسوا من تحقيق نصر نهائى ، ولكن قبل أن ينصرفوا أرادوا أن يستوثقوا من موت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو بعض أصحابه المقربين .

فقد كانت إشاعة وفاة الرسول قد فشت فيهم وغلبت عليهم . .

أشرف أبو سفيان على الجبل ، وجعل ينادى المسلمين : أفيكم محمد ؟

فلم يجبه أحد ، لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ طلب منهم عدم الإجابة .

فنادى : أفيكم ابن أبى قحافة ؟

فلم يجيبوه أيضا .

فقال : أفيكم عمر بن الخطاب ؟

فلم يجيبوه أيضا .

ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة فقط ، لعلمه وعلم قريش أن قيام الاسلام بهم ، وأن كلا من أبى بكر وعمر بمثابة الوزيرين للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد ورد بذلك حديث صحيح فقد روى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض فأما وزيراى من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمر »(٤٩) .

فلما لم يتلق أبو سفيان إجابة على أسئلته ، قال لقريش : أما هؤلاء فقد كفيتموهم . . فلم يتمالك عمر بن الخطاب نفسه فقال : يا عدو الله إننا جميعا أحياء وقد أبقى الله لك ما يسوؤك ، إن محمدا يسمع كلامك الآن . .

فأسقط فى يد أبى سفيان ، وأصابه الغم ، وكم تمنى أن لو كان ما توهمه صحيحا . . ولكنه عزى نفسه بقوله : يوم بيوم بدر والحرب سجال .

وأخذ يردد قوله : أعل هُبل . أعل هُبل

---

(٤٩) رواه الترمذى فى كتاب المناقب ، وفى أسد الغابة جـ٣ صـ ٣٢٠

وهنا قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه ـ « ألا تجيبونه » ؟

قالوا : يا رسول الله ، بماذا نجيبه ؟

قال : « قولوا : الله أعلى وأجل .

فقالوا : الله أعلى وأجل

قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ألا تجيبونه؟

قالوا : بماذا نجيبه ؟

قال : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم »

فقالوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

وانصرف أبو سفيان وهو يقول : إن موعدكم بدر للعام القابل .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرجل من أصحابه : « قل له : نعم هو بيننا وبينك موعد » .

وقد نزل فى ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (٥٠)

---

(٥٠) آل عمران ١٥٢

بطولات إسلامية فى أحد

- من خوارق العادات
- النبى يشجع أصحابه
- قصة الأصيرم
- عودة المشركين
- مواراه الشهداء
- عودة النبى الى المدينة
- القرشيون يتجهون الى حمراء الأسد
- خروج النبى إلى المشركين مرة أخرى
- غزوة أحد فى القرآن الكريم
- دروس وعبر فى غزوة أحد

على الرغم مما أصاب المسلمين فى أحد إلا أنها كانت فرصة لظهور بطولات رائعة لكثير من المسلمين ، بعضهم استشهد وبعضهم بقى بعد أن أبلى بلاء حسنا . .

وقد عرضنا لصور من هذه البطولات ، ونعرض لصور أخرى منها :

حنظلة بن أبي عامر

هو حنظلة بن أبي عامر الراهب . .

شتان بينه وبين والده . . كلاهما كان فى أحد . . أما حنظلة فكان فى صفوف المسلمين مجاهدا ، وأما أبوه فكان فى صفوف المشركين معاندا . .

كان حنظلة من سادات المسلمين وفضلائهم ، وهو المعروف بغسيل الملائكة . . وسبب ذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال حين أصيب حنظلة فى أحد : إن صاحبكم لتغسله الملائكة .

فسألوا أهله : ما شأنه ؟

فقالت زوجته : خرج وهو جنب حين سمع الهائعة ـ الصيحة والدعوة إلى الحرب ـ

كانت هذه الليلة ليلة عرسه ، وقد أشهدت زوجته عليه أنه دخل بها حين رأته يلبى داعى الجهاد ، وقالت : لقد رأيت باباً فى السماء قد فتح وولج فيه حنظلة هذه الليلة . .

وذهب حنظلة إلى ميدان المعركة ، والتقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فاستعلى عليه حنظلة وكاد يقتله . فأتى شداد بن الأسود المعروف بابن

شعوب الليثى ، فأعان أبا سفيان على حنظلة ، فَخَلّص أبا سفيان وقتل حنظلة ، وقال أبو سفيان فى ذلك :

ولو شئت نجتنى كميت طِمِرّةٌ .. ولم أحمل النعماء لابن شعوب[٥١]

وقيل : بل قتله أبو سفيان ، وقال : حنظلة بحنظلة ، يعنى بحنظلة الأول غسيل الملائكة ، وبالثانى ابنه الذى قتل يوم بدر كافرا .

وروى أن الأوس والخزرج افتخرتا . فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة ومنا الذى حمته الدُّبَر والنحل : عاصم بن ثابت ، ومنا الذى اهتز له عرش الرحمن : سعد بن معاذ ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين :

خزيمة بن ثابت

فقال الخزرجيون : منا أربعة نفر قرءوا القرآن على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقرأه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد .

يعنى : لم يقرأه كله أحد من الأوس ـ وإلا فقد قرأه كله من غيرهم كثير كعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وعبد الله ابن عمرو بن العاص وغيرهم[٥٢] .

---

(٥١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب
(٥٢) أسد الغابة جـ٢ صـ٦٦

لقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة »

وقيل : إن رأسه كان يقطر ماء عند دفنه .

سعد بن الربيع

ومن الذين أبلوا بلاء حسنا سعد بن الربيع بن عمرو الانصارى الخزرجى ، شهد العقبة الأولى والثانية وبدرا ، وهو أحد النقباء . . . كان نقيب بنى الحارث بن الخزرج هو وعبد الله بن رواحة ، وهو أحد الكتاب فى الجاهلية .

آخى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف بعد الهجرة

وقد ضرب المثل الأعلى فى الايثار فقد عرض على عبد الرحمن أن يناصفه ماله وداره

ولكن عبد الرحمن قال له : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلنى على السوق . فدله على السوق ، فاشترى عبد الرحمن وباع وكسب وكان تاجرا ماهرا . .

لقد كان سعد صادقا فى عرضه .

وكان عبد الرحمن صادقا عفيفا فى إعراضه . . رضى الله عنهما ـ فى موقعة أحد كان له موقف مشهود ، فقد دافع دفاع الأبطال الشجعان حتى استشهد . .

روى عن مالك بن أنس ، عن يحيى بن سعيد قال : لما كان يوم أحد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يومئذ : من يأتيني بخبر سعد بن الربيع ؟

فقال رجل : أنا .

فذهب يطوف في القتلى فرآه سعد وكان مصابا . فقال له : ما شأنك ؟

قال : بعثني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لآتيه بخبرك .

قال سعد : فاذهب فأقرئه مني السلام ، وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة ، وأني قد أُنْفِذَت[٥٣] مقاتلي ، وأخبر قومك أنهم لاعذر لهم عند الله إن قتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وواحد منهم حي .

كان هذا الرجل الذي حمَّله سعد هذه الرسالة هو أبي بن كعب . .

وأضاف سعد قائلا : قل لقومك : يقول لكم سعد بن الربيع : الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة العقبة ، فوالله مالكم عند الله عذر إن خلص أحد إلى نبيكم وفيكم عين تطرف .

قال أُبيٌّ : فلم أبرح حتى مات .

فرجعت إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته . فقال : رحمه الله نصح لله ورسوله حيا وميتا[٥٤]

---

(٥٣) أنفذت المقاتل من نفذت السهام أي خالطت الجوف وخرجت من الشق الآخر

(٥٤) أسد الغابة جـ ٢ صـ ٣٤٨

طلحة بن عبيد الله

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة

وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمى القرشى ، ويطلق عليه : طلحة الخير ، وطلحة الفياض .

وكان من السابقين الأولين الى الاسلام ، دعاه أبو بكر إلى الاسلام فقبله . . . فأخذه ودخل به على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلم وكان أبو بكر وطلحة يطلق عليهما : القرينان .

وذلك لأن نوفل بن خويلد ـ وكان أشد قريش ـ أخذهما فى بدء الاسلام فشدهما معاً فى حبل حتى جاء من خلصهما منه .

وبعد الهجرة آخى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين طلحة وأبى أيوب الأنصارى .

وأبلى طلحة يوم أحد بلاء حسناً ، ووقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنفسه ، واتقى عنه النبل بيده حتى شلت أصابعه ، وأصيبَ فى رأسه ، وقد حمل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ظهره حتى صعد الصخرة .

روى ابنه موسى عنه أنه قال : سمانى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد : طلحة الخير ، ويوم العسرة : طلحة الفياض ، ويوم حنين : طلحة الجود .

أما كيف حمل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ظهره يوم أحد ، فذلك أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان هو ومن معه من المسلمين القلائل الذين صمدوا معه ـ فى شعب فى جبل أحد ، فأراد أن يخرج منه الى صخرة تعلوه فلما ذهب لينهض لم يستطع لكثرة ما سال منه من دماء بسبب كثرة ما أصابه من جروح ، ولثقل الدرعين اللتين كانتا عليه ، فحمله طلحة ، فنهض به حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أوجب طلحة »

أى فعل شيئاً استوجب به الجنة .

وقيل : إن طلحة كان فى مشيته اختلاف لعرج كان به ، فلما حمل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكلف استقامة المشى لئلا يشق على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذهب عرجه ولم يعد إليه[55] .

من خوارق العادات

وإذا كان ذهاب عرج طلحة حين حمل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خوارق العادات فهناك خوارق أخرى حدثت . . . من ذلك :

رد عين قتادة

كان قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الخزرجى ممن جاهد جهاداً عظيماً فى أحد فأصابه سهم فى عينه فأسالها على خده ، فذهب بها إلى النبى ـ صلى

---

(٥٥) أسد الغابة جـ٣ صـ٨٥ ، السيرة الحلبية جـ٢ صـ٥١٨

الله عليه وسلم ـ فردها ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى مكانها ، فعادت كما كانت ، بل كانت أحسن عينيه .

روى محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : أصيبت عين قتادة يوم أحد حتى وقعت على وجنته ، فردها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانت أحسن عينيه[٥٦] .

وروى الأصمعى عن أبي معشر المدنى قال : أوفد أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بديون أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز رجلاً من ولد قتادة ابن النعمان ، فلما قدم عليه قال : ممن الرجل ؟

فأنشد :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها ... فياحسن ما عينٍ ويا حسن ماردِ

فقال عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه :

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

كان قتادة من فضلاء الصحابة ، وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحبه . . . . . . روى أبو سعيد الخدرى قال : خرج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة لصلاة العشاء وهاجت الظلمة والسماء ، وبرقت برقة ، فرأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتادة بن النعمان ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتادة .

---

(٥٦) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ قسم ٢ صـ ٢٦

قال : نعم - يا رسول الله . علمت أن شاهد الصلاة الليلة قليل ، فأحببت أن أشهدها - أى معك .

فقال له : إذا انصرفت فأتنى .

فلما انصرف أعطاه عرجوناً ، فقال : خذ هذا يضىء أمامك عشرا وخلفك عشرا[٥٧] .

وقد مر بنا من الخوارق قصة السهم الذى كان يرمى به سعد فيرده عليه رجل أبيض حسن الوجه .

النبى ﷺ يشجع أصحابه

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - يشجع أصحابه ويدعو لهم - كما مر - وحين غشيه القوم وأحاط به العدو قال « من رجل يشرى لنا نفسه . . ؟

فقام زياد بن السكن فى خمسة نفر من الأنصار - وبعض الناس يقول : إنما هو عمارة بن زياد بن السكن - فقاتلوا دون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً رجلاً ، يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أدنوه منى ، فأدنوه منه ، فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

من زياد ؟

وزياد هذا هو ابن السكن بن رافع بن امرىء القيس بن زيد الأنصارى

---

(٥٧) أسد الغابة جـ ٤ صـ ٣٩٠ - الاستيعاب ٣ / ١٢٧٥

الأوسى . ويقص ابن الأثير قصته يوم أحد فيقول : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما ألحمه[٥٨] القتال يوم أحد وخلص إليه ، ودنا منه الأعداء ، ذبَّ ـ دافع ـ عنه مصعب بن عمير حتى قتل ، وأبو دجانة سماك بن خرشة حتى كثرت فيه الجراح ، وأصيب وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصيبت رباعيتُه ، وكُلِمتْ شفته ، وجرحت وجنته . . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من يبيع لنا نفسه ؟ فوثبت فئة من الأنصار منهم زياد بن السكن فقاتلوا حتى كان آخرهم زياد[٥٩] .

وأما عمارة فهو ابنه وقد اختلف الرواة بينهما فى أيهما الذى وسده الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدمه . .

وإن كان بعضهم يذكر أن زياداً هو شهيد أحد ، أما ابنه عمارة فقد سبق أن استشهد فى بدر ـ رضى الله عنهما[٦٠] .

هذه أمثلة من البطولات الرائعة التى ظهرت يوم أُحُد ـ وما من أحد من المسلمين إلا كان له جهاد مرموق وبلاء مشهود . والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو لهؤلاء جميعاً بالرضوان ، ويعدهم بالجنة التى عرضها السموات والأرض .

قصة الأصيرم

والأُصَيْرِم هو عمرو بن ثابت بن وَقش الأنصارى الأوسى . وخاله حذيفة

---

(٥٨) ألحمه : ألحم الرجل واستلحم : إذا نشب فى الحرب فلم يجد له مخلصا

(٥٩) أسد الغابة جـ ٢ صـ ٢٧٠

(٦٠) أسد الغابة جـ ٤ صـ ١٤٠

بن اليمان . استشهد يوم أحد ، وهو الذى قيل عنه : : إنه دخل الجنة ولم يصل صلاة . . . فعن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول : أخبرونى عن رجل دخل الجنة ، ولم يصل لله ـ عز وجل ـ صلاة ؟

فإذا لم يعرفه الناس يقول : أصيرم بن عبد الأشهل : عمرو بن ثابت بن وقش ، وذلك أنه كان يأبى الاسلام ، فلما كان يوم أحد بدا له فى الاسلام رأياً آخر فأسلم ، ثم أخذ سيفه فأثبتته الجراح ، فخرج رجال بنى عبد الأشهل يتفقدون رجالهم فى المعركة ، فوجدوه فى القتلى فى آخر رمق ، فقالوا : هذا أصيرم ، فما جاء به ؟

فسألوه : ما جاء بك يا أصيرم ؟ أَحَدباً على قومك أم رغبة فى الاسلام ؟

فقال : بل رغبة فى الاسلام ، أسلمت وقاتلت حتى أصابنى ما ترون ، فلم يبرحوا حتى مات .

فذكروه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : انه لمن أهل الجنة[٦١] . إلا أن ذلك مشروط بالاخلاص فى العقيدة . . أما المنافق فهو من أهل النار حتى لو حارب مع المسلمين رياء وقتل .

قزمان من أهل النار

قال عاصم بن عمرو بن قتادة : كان عندنا رجل غريب لا ندرى ممن هو ، يظهر الاسلام . . يقال له : قزمان ـ وكان ذا بأس وقوة ، وكان رسول

---

(٦١) سيرة بن هشام جـ ٢ صـ ٩ ، الاستيعاب فى الأصحاب لابن عبد البر ٣ / ١١٦٧

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا ذكر له يقول : انه لمن أهل النار .

فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالاً شديداً ، وكان أول من رمى بسهم من المسلمين ، وكان يرمى النبال ويقاتل بالسيف قتالاً شديداً . . ولما أخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك قال : إنه من أهل النار .

فأعظم الناس ذلك ، وأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بنى ظفر ، لأنه كان حليفاً لهم ، فجعل رجال من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر .

فقال بماذا أبشر ؟

فوالله ما قاتلت إلا على أحساب قومى ـ أى على شرفهم ومفاخرهم ـ ولولا ذلك ما قاتلت . فلم يقاتل لإعلاء كلمة الله ورسوله وقهر أعدائها .

وقيل : إن قتادة ـ رضى الله عنه ـ قال له : هنيئاً لك الشهادة يا أبا الغيداق . فقال : انى والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير إلينا قريش حتى تطأ أرضنا .

قيل : فلما اشتدت عليه الجراحة أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه .

وجاء رجل إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين رأى ذلك فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما ذاك ؟

قال : الرجل الذى ذكرت آنفاً أنه من أصحاب النار فعل كذا وكذا .

إن هذا يشير إلى أن الذى يستحق الجنة إنما هو الذى يجاهد فى سبيل الله لا فى سبيل فخر زائل أو عرض حائل . .

وقد سئل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، أى ذلك فى سبيل الله ؟

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .

وصدق رسول الله حين قال : « إن الله يؤيد هذا الدين أحياناً بالرجل الفاجر[٦٢] » وهو حكم عام يتناول كل من قدم عمل صالحاً على غير نية صالحة ، وربما انطبق على الحاكم الذى يظهر الجهاد لرفعة الاسلام وهو يريد تثبيت ملكه وإطالة لبثه فى الحكم ، وعلى العالم الذى يجعل من علمه مصيدة للدنيا وأكل الحرام ، فإن الله يحيى بعلمه القلوب ويهدى به الى سواء السبيل ، وإن كانت نيته ليست فى ذلك ، بل هى فى طلب الدنيا وزهرتها .

العودة

واتجه المشركون بعد ذلك إلى ديارهم ، وإنهم ليشكون فى نصرهم ، وإن كانوا قد أظهروا البهجة والفرح .

وقبل أن يأخذوا طريقهم إلى العودة وقف أبو سفيان مرة أخرى ينادى قائلا :

هلم ياعمر .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أجبه ياعمر وانظر ماشأنه »

---

(٦٢) السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٥٢٣

فجاءه عمر ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله ياعمر ، أقتلنا محمداً ؟
فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن . .
لقد أراد أن يستوثق . . لأنه لو تحقق ماتمنوه من قتل النبى - ﷺ - لكان انتصارهم حاسما .

ولكنه علم الآن من إجابة عمر - رضى الله - أن ماادعاه ابن قمئة باطل . ولذلك قال لعمر : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر .
وقفل أبو سفيان - بعد هذا الحوار القصير - راجعا إلى جيشه .
ترك القرشيون ميدان المعركة ، وتجمعوا فى معسكرهم القديم الذى كانوا فيه فى اليوم السابق .

وعندما بدأوا يغادرون أرض المعركة بعث النبى - ﷺ - فى أثرهم على بن أبي طالب - . . . . قال له : « اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا الإبل فانهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ولأقاتلنهم ، فخرج علىّ فى آثارهم فوجدهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الأبل ، فعلم أنهم يريدون مكة فعاد وأخبر النبى - ﷺ - بذلك .

عاد الكفار وهم مبتهجون ولم ينس وحشى أن يستنجز مكافأته من هند ، فقد قتل - كما وعدها - حمزة - رضى الله عنه - فخلعت هند حليها وهى مبتهجة فرحة وأعطتها وحشياً .

ولم ترد أن تترك معصميها وجيدها عطلا من الحلية ، فاتخذت من أطراف حمزة ـ رضى الله عنه ـ قلائد . . لقد ظنت أنها بذلك تشفى غليلها وتطفىء غيظها وتنال ثأرها . . ولم تكتف بذلك . . . لقد بقرت بطنه ـ رضى الله عنه ـ واستخرجت كبده ولاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . . إنه الحقد الأسود الذى أباح لها التمثيل بجثة الشهيد العظيم حمزة ـ رضى الله عنه ـ وقد آثار هذا العمل سخط النبى ـ ﷺ ـ فأقسم لينتقمن منهم بمثل ذلك . فنزل قوله ـ تعالى

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (٦٣)

روى الدارقطنى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : لما انصرف المشركون عن قتلى أحد انصرف رسول الله ـ ﷺ ـ فرأى منظراً ساءه . . رأى حمزة وقد شق بطنه ، واصطلم أنفه ، وجدعت أذناه فقال : « لولا أن يحزن النساء أو تكون سنة بعدى لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير ، لأمثلن مكانه بسبعين رجلا » .

---

(٦٣) النحل ١٢٦ : ١٢٨

ثم دعا ببردة وغطى بها وجهه فخرجت رجلاه ، فغطى رأسه ووجه وجعل على رجليه الاذخر ، ثم قدمه فكبر عليه عشرا ، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة ، وكان القتلى سبعين فلما دفنوا ، وفرغ منهم نزلت الآية السابقة »[٦٤]

فصبر رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يمثل بأحد . .

عاد المشركون وهم يظنون أنهم قد انتصروا . . لكن الحقيقة أن الذى انطوى من المعركة صفحة منها ، ومازال بعدها صفحات وصفحات . .

وأخذت هند زوج أبي سفيان تنشد وهى نشوى بما حققت من ثار لأبيها ، وأخذت تردد :

نحن جزيناكم بيوم بدر   والحرب بعد الحرب ذات سُعْر
ماكان عن عتبة لى من صبر   ولا أخى وعمه وبكرى[٦٥]
شفيت نفسى وقضيت نذرى   شفيت وحشىٌ غليل صدرى
فَشُكْر وحشىٌ علىّ عمرى   حتى ترم أعظمى فى قبرى

ولكنها وجدت من نساء المسلمين من يرد عليها ، فقد قالت لها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب :

خزيت فى بدر وبعد بدر   يابنت وَقَّاعٍ عظيم الكفر
صبَّحك الله غداة الفجر   بالهاشميين الطوال الزُّهْرِ

---

(٦٤) تفسير القرطبى صـ ٣٨١٧ سورة النحل ط دار الشعب

(٦٥) تقصد بعتبة : أباها عتبة بن ربيعة ، وبأخيها : الوليد بن عتبة ، وبعمه : شيبة بن ربيعة أما بكرها فهو حنظلة بن أبي سفيان ، وكلهم قتلوا فى بدر

بكل قطاع حسام يفري حمزةُ ليثي وعليٌّ صقري[66]

إذا رام شيب وأبوك غدري فخضبا منه ضواحي النحر[67]

ونذرك السوءَ فشرٌّ نذر[68]

مواراة الشهداء

وحين وقف النبى ـ ﷺ ـ على الشهداء ، ورأى حمزة ـ رضى الله عنه ـ قال : « لن أُصاب بمثلك أبداً ، ماوقفت موقفا أغيظ إلىَّ من هذا » . ثم قال « جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع ـ حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

ثم أمر النبى ـ ﷺ ـ بأن يدفن الشهداء حيث صرعوا . . وذلك بعد أن صلى عليهم . وكان بعض المسلمين قد هموا أن يحتملوا قتلاهم ليدفنوهم بالمدينة . .

وتحدث النبى ـ ﷺ ـ عن فضل الشهداء فقال ـ فيما يرويه ابن هشام ـ : « أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يجرح فى سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه . اللون لون دم والريح ريح مسك ، انظروا أكثر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر »[69]

---

(٦٦) الحسام : السيف ، ويفرى : يقطع

(٦٧) شيب : هو شيبة ، رخمه فى غير نداء ، وضواحى النحر : ماظهر من صدره

(٦٨) هذا شاهد لجواز دخول الفاء فى خبر المبتدأ ، وهذا ليس عاما

(٦٩) سيرة بن هشام جـ٣ صـ٤١ ط دار التحرير

ثم دعا النبى - ﷺ - إلى زيارتهم فقال : زوروهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده مايسلم عليهم مسلم الى يوم القيامة الا ردوا عليه السلام »

عودة النبى الى المدينة

وعلى الرغم مما أصاب المسلمين من استشهاد من استشهد منهم إلا أن الإيمان عصمهم من الجزع ، وَسَرَى هذا الايمان الى النساء - وهن أقل صبرا واستمساكا من الرجال .

روى سعد بن أبى وقاص قال : مر رسول الله - ﷺ - بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله - ﷺ - بأحد ، فلما نُعُوا لها قالت : فما فعل رسول الله - ﷺ - ؟

قالوا : هو بخير يأم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين .

قالت : أرونيه حتى أنظر اليه .

فسارت إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جَلَل - تريد صغيرة - لأن كلمة جلل تطلق على الأمر الكثير والأمر القليل ، وهى هنا من القليل ، ومن هذا المعنى قول امرىء القيس :

لقتل بنى أسد ربهم ... ألاكل سواه جلل[70]

يعنى بربهم : ملكهم ويعنى بجلل : هين ويسير .

فى حمراء الأسد

ويمم القرشيون وجههم الى حمراء الأسد - على بعد عشرة أميال من المدينة وهو قرب آبار على المعروفة الآن ، وقضوا ليلتهم فيها .

---

(٧٠) سيرة بن هشام جـ٣ صـ٤٣ ط دار التحرير

فى الوقت الذى توجه فيه النبى - ﷺ - ومن معه إلى المدينة .

وفى صبيحة اليوم التالى لبس النبى - ﷺ - درعه ، ومازال يعانى من آثار الجروح التى به ، وطلب من بلال أن يؤذن فى الناس بالجهاد ، وألا يخرج معه إلا من كان معه بالأمس فقط .

ولم يتوان واحد منهم عن تلبية داعى الجهاد على الرغم مما بهم من آلام وجراح حالت بينهم وبين النوم فى ليلتهم الماضية . .

لقد قضوا ليلهم فى تضميد جراحهم ، ومع ذلك خرجوا سراعا يقولون : لبيك يارسول الله . .

وانطلق النبى - ﷺ - بهم الى حمراء الأسد حيث كان القرشيون يقضون ليلتهم . كان معه خمسمائة مقاتل ، واللواء بيد على بن أبى طالب :

لقد كان هدف النبى - ﷺ - حكيما ، أراد به أن يقضى على وساوس العدو فى العودة ، فإن أبا سفيان قد يزين له شيطانه أن يكر على المدينة بخيله ، والمسلمون مجهدون . .

لقد جرت مناقشة حادة فى معسكر قريش ، كان عكرمة بن أبى جهل يصر على العودة للمعركة ، لأن المسلمين فى حالة سيئة نتيجة المعركة ، وهذا أنسب وقت للقضاء عليهم وسحقهم قبل أن يستجمعوا قوتهم ويجددوا نشاطهم . .

ولكن صفوان بن أمية وآخرين رفضوا هذا الرأى ، وقالوا : لقد كسبنا المعركة وكفى ذلك . ولئن كان المسلمون فى حالة سيئة فلسنا أفضل منهم .

إن فينا جراحاً كثيرة ، وخيولنا معظمها مصاب ، لا تستطيع خوض معركة جديدة .

وبينما هم فى هذا التشاور إذ برجل من خزاعة يقدم عليهم اسمه معبد ابن أبى معبد الخزاعى ، وكان قادماً من المدينة ، وكانت خزاعة بالرغم من عدم إسلامها هواها مع المسلمين ، وقد رأى معبد النبى ـ ﷺ ـ فى المدينة ورأى تأهبه للخروج فى أثر قريش ، وقد عزى معبد النبى ـ ﷺ ـ فى أصحابه قائلا له : يامحمد أما والله لقد عز علينا ماأصابك فى أصحابك وكنا نود أن لا تصاب فى أحد منهم .

فشكره النبى ـ ﷺ ـ على حسن مشاعره . ومضى معبد فى طريقه .

فإذا هو بأبى سفيان وجيشه فى مكان اسمه الروحاء وقد هموا بالرجوع إلى المدينة .

قال أبو سفيان لمعبد : ما وراءك يا معبد ؟

قال معبد : محمد ﷺ قد خرج إليكم فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون ـ يلتهبون من الغيظ ـ عليكم تحرقا ، وقد اجتمع معه من كان قد تخلف عنه فى يومكم ، وندموا على ما ضيعوا ، وقد رأيت فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط .

قال أبو سفيان : ويحك ما تقول ؟

قال معبد : والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل .

قال أبو سفيان : فو الله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم .

قال معبد : فإنى أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر .

قال أبو سفيان : ويحك ، ماذا قلت ؟

قال : قلت :

كادت تُهَدُّ من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل[71]

تردى بأسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميل ومعازيل[72]

فظلت عدوا أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول[73]

فقلت : ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل[74]

إنى نذير لأهل البسل ضاحية ... لكل ذى إربة منهم ومعقول[75]

من جيش أحمد لا وخش قنابله ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل[76]

وما أن سمع أبو سفيان هذا الشعر حتى تأثر به ، واقتنع وأقنع قومه بالرجوع ، ولكنه أراد أن يحفظ ماء وجهه ، فلقى ركباً من عبد القيس يريدون المدينة طلباً للميرة فاعترضهم .

---

(٧١) الجرد : الخيل العتاق ـ الأبابيل : الجماعات

(٧٢) تردى : تسرع ـ تنابلة : قصار ـ ميل : جمع أميل : الذى لاترس معه او الذى لايثبت على الفرس

(٧٣) العدو : الجرى السريع

(٧٤) تغطمطت : اهتزت ـ البطحاء : الارض ـ الجيل : الصنف من الناس

(٧٥) البسل : الحرم يقصد بهم قريش ـ الإربة : العقل ـ الضاحية : الشمس

(٧٦) الوخش : أرذال الناس ـ القنابل : الخيول ـ سيرة بن هشام جـ ٣ صـ ٤٥

وقال لهم : هل تبلغون عنى رسالة إلى محمد ﷺ وأحمل ركائبكم هذه زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟

قالوا : نعم .

قال : إذا وافيتم المدينة فأخبروا محمداً أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم .

ومر هذا الركب بحمراء الأسد وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - قد توافد إليها هو وصحبه . وأخبروه برسالة أبى سفيان ، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - « حسبنا الله ونعم الوكيل » وحين بلغه أنهم هموا بالرجعة إلى المدينة قال - صلى الله عليه وسلم - : « والذى نفسى بيده لقد سُوِّمَتْ لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب »

وفى خروج النبى - صلى الله عليه وسلم - وصحبه إلى حمراء الأسد وهم مثقلون بالجراح نزل قوله - تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (٧٧)

---

(٧٧) آل عمران ١٧٢ : ١٧٤

هذا هو رأى بعض المفسرين ويرى آخرون أن الآية نزلت فى مناسبة غير هذه ....

لقد صورت الآية الأولى حالة المسلمين فى خروجهم ، وكان منهم من أثخن بالجراح يمشى متوكئاً على عصا .

عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلاً من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بنى عبد الأشهل ، كان قد شهد أحداً مع رسول الله ـ صلى الله غليه وسلم ـ قال : شهدت أحداً أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخروج فى طلب العدو ، قلت لأخى أو قال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟
والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل .
فخرجنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكنت أيسر جُرْحاً منه ـ أى من أخى ـ فكان إذا غُلب ساعدته على السير ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون[٧٨] .

فانظر إلى صدق هذه الاستجابة التى زكاها الله ـ تعالى ـ بقوله :
« الذين استجابوا لله والرسول » .
هذا هو الايمان العميق الذى يعلو بصاحبه فوق مستوى الآلام والكوارث ، وتتضاءل أمامه الاهتمامات الشخصية والتطلعات المادية

(٧٨) سيرة بن هشام جـ٣ صـ٤٤

والعوائق المختلفة مهما بلغت خطورتها .

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

وفى حمراء الأسد ظفر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأبى عزة الجمحى الشاعر ، الذى سبق أن أسر فى بدر ، وشكا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ العوز ، وكثرة العيال فمَنَّ عليه وأطلقه بدون فداء ، على ألا يظاهر المشركين بشعره ، وأن يكف عن المسلمين لسانه . .

لقد أغراه صفوان بن أمية ـ كما سبق أن قدمنا ـ على أن يخرج مع المشركين ، يحرضهم ويؤيدهم بشعره . وسيق إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمر بقتله .

فأقبل أبو عزة يستعطفه ويقول له : أقلنى .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا والله ، لا تمسح عارضيك بمكة بعدها، وتقول : خدعت محمداً مرتين .

وأمر الزبير بضرب عنقه فضربه .

وذكر السهيلى خبراً طريفاً عن أبى عزة هذا قال :

كان أبو عزة قد أصابه البرص فى مكة ، فقاطعته قريش ، لا تؤاكله ولا تجالسه ، فقال : الموت خير من هذا .

فأخذ حديدة فطعن بها نفسه ليموت ، ولكن الحديدة لم تصب منه مقتلاً ، ولكنها أسالت من موضع الطعنة ماء أصفر كان سبباً فى شفائه .

فقال فى ذلك :

اللهـم رب وائـل ونهـد والتهمات والجبـال الجـرد
ورب من يـرعـى بأرض نجـد أصبحـت عبـداً لك وابن عبـد
أبرأتنـى من وضـح بجـلدى من بعد ما طعنت فى معدى[79]

لقد كان مقتضى ذلك الاعتراف أن يسارع إلى الايمان ، وألا يلج فى الضلالة والطغيان ، ولكنه طغى وبغى ، واستعمل لسانه فى إيذاء مشاعر المسلمين ، فى وقت كان الشعر سلاحاً ضارياً أقوى من كل سلاح .

وكان فى قتله إغاظة لقريش ، لأنها فقدت أحد أسلحتها الفعالة . وضرب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل للمؤمنين حين قال فى قتله أبا عزة : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » . .

ويبدو أن مهمة أبى عزة كانت قد تجاوزت الشعر إلى التجسس ، فقد وجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ معه شخصا آخر هو معاوية بن المغيرة بن العاص ، وقد استجار معاوية بعثمان بن عفان ، فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتله . فأقام بعد ثلاث متوارياً ، فبعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال لهما : إنكما ستجدانه فى مكان كذا . فوجداه فقتلاه . .

---

(٧٩) الروض الأنف جـ ٣ صـ ١٨١

فلم يكن أبو عزة وحده ، وليس هناك مبرر لإقامته بعد ذهاب قريش إلا التقاط المعلومات هو ومن معه .

ومن حق الدولة أن تتخلص من الذين يكونون عيوناً عليها ، لأنهم لا أمان لهم إذا أفرج عنهم ، فسوف ـ ينقلون ما التقطوه من أخبار إلى العدو الذى جندهم لهذا العمل .

وعاد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة . . وكانت هذه الغزوة تمحيصاً للمؤمنين فأظهرت صدق الصادقين ونفاق المنافقين .

لقد كشفت الغزوة عن هؤلاء الذين كانوا يظهرون الاسلام ويخفون الكفر . . وكان على رأس هؤلاء ـ كما هو معروف ـ عبد الله بن أبى بن سلول . . فقد كان له مكان فى المسجد يوم الجمعة ، فكان إذا جلس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للخطبة يقوم عبد الله فيقول : أيها الناس ، هذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أظهركم ، أكرمكم الله به وأعزكم فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس . . . . هذا الرجل الذى كان يقول ذلك رجع بمن معه من المنافقين يوم أحد ، وانخذل عن الناس . . فلما أراد أن يقف ـ بعد عودة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ موقفه ذاك ، ويقول ما كان يقوله . أخذ المسلمون بثيابه وقالوا له : اجلس يا عدو الله ، لست أهلاً لذلك . وقد صنعت ما صنعت .

فخرج من المسجد يتخطى الرقاب وهو يقول : لكأنما قلت خطأ وفعلت شراً أن قمت أشدد أمره .

ولقيه رجل من الأنصار بباب المسجد ـ فقال له : مالك ؟ ويلك فقال عبد الله بن أبي : قمت أشدد أمره ، فوثب عليَّ رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ، لكأنما قلت شراً أن قمت أشدد أمره .

قال له : ويلك ، ارجع يستغفر لك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

لقد وضح إذن موقف المنافقين ، وانكشفوا على حقيقتهم . . . ونزل في ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦ ﴾ (٨٠)

غزوة أحد في القرآن الكريم

استعرضنا في أثناء حديثنا بعض ما نزل من آيات كريمة حول هذه الغزوة . وقد تناولت سورة آل عمران فيما تناولته قصة هذه الغزوة من خلال آيات بدأت بقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٢١ ﴾ (٨١)

---

(٨٠) المنافقون ٥ ، ٦

(٨١) آل عمران ١٢١

لقد أراد الله أن يذكر المسلمين بأن النصر بيد الله يؤتيه من يشاء ، وللنصر أسباب أهمها التوكل على الله وعدم الاغترار والافتقار إليه . . ولذلك ذكرهم الله ببدر وانتصارهم فيها وإمداد الله لهم بالملائكة ، وفى ذلك تعزية للمسلمين عما أصابهم فى أحد .

لقد كسب المسلمون الجولة الأولى ، فلا ينبغى أن يكون ما أصابهم فى الجولة الثانية ميئساً لهم قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [٨٢]

لقد كان الامداد بالملائكة بشرى للمسلمين ، وتذكيراً لهم بأن الله معهم يؤيدهم فى جهادهم ، فليس لهم أن ييأسوا من النصر مهما أصابهم من نكسات .

تعزية المسلمين

وضرب الله للمسلمين مثلاً من الأيام الخوالى يبين لهم أن الحياة قائمة منذ أقدم العصور على الإعطاء والمنع والأخذ والرد والجزر والمد ، ولابد من دحر الكفار فى النهاية ، فلا ينبغى للمسلمين أن يصابوا بالإحباط لأن

---

(٨٢) آل عمران ١٢٣ : ١٢٥

عدوهم كسب جولة ضدهم ، ولئن كان الكفار أصابوا منهم فهم قد أصابوا منهم أيضاً قال عز وجل :

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)﴾ (٨٣)

عتاب المنهزمين

لقد جعل الله طريق الجنة الجهاد . . . إنه الامتحان الذى يمتحن الله به المؤمنين ، وطالما أراد بعض المسلمين الدخول فى هذه التجربة ليثبتوا نجاحهم فيها . وقد نجح فيها كثير منهم ، ولكن بعضهم انهزم وفر . .

ولذلك قال الله ـ تعالى : لهؤلاء وهؤلاء :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (١٤٣)﴾ (٨٤)

---

(٨٣) آل عمران ١٣٧ : ١٤١

(٨٤) آل عمران ١٤٢ : ١٤٣

قال القرطبى حول هاتين الآيتين : إن كثيراً ممن لم يحضروا بدراً كانوا يتمنون يوماً يكون فيه قتال ، فلما كان يوم أحد انهزموا ، وكان منهم من تجلد حتى قتل ، ومن هؤلاء أنس بن النضر عم أنس بن مالك ، فانه لما انكشف المسلمون قال :

اللهم إنى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء الكفار ، وباشر القتال وقال : الله الله إنها ريح الجنة ، إنى لأجدها ، ومضى حتى استشهد .

قال أنس : فما عرفناه الا ببنانه ، ووجدنا فيه بضعا وثمانين جراحة ، وفيه وفى أمثاله نزل قوله ـ تعالى :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (٨٥)

فالآية تشريف لهؤلاء وعتاب فى حق من انهزم ، ولاسيما وقد كان منهم من حمل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الخروج من المدينة(٨٦)

الإرجاف بموت النبى

وحين أشاع الكفار قتل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال بعض الناس من المنافقين : قد أصيب محمد فأعطوهم بأيديكم فإنما هم إخوانكم .

فرد عليهم آخرون : إن كان محمد قد أصيب ألا تمضون على مامضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به . فنزل قوله ـ تعالى :

---

(٨٥) الأحزاب ٢٣

(٨٦) تفسير القرطبى جـ ٤ صـ ٣٢٠ ط دار الكتب

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (٨٧)

لقد كانت هذه الآيات تبصرة للمؤمنين وتوبيخا للمنهزمين ، فما كان لهؤلاء الذين سرت إليهم هذه الشائعة أن تؤثر فيهم ، لأن النبوة لاتدرأ بالموت والاسلام خاتم الديانات .

وقد استشهد أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بهذه الآية عند وفاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واضطراب المؤمنين لوفاته ومنهم عمر ، حتى قال ـ رضى الله عنه : كأنى لم أسمع هذه الآية إلا الآن .

---

(٨٧) آل عمران ١٤٤ : ١٤٧

ومن حق المؤمنين أن يضطربوا لوقع هذا الخبر ، ولكن هذا التزلزل لاينبغى أن يثنيهم عن المضى على قدمه والسير على منهجه . .

لقد نزلت هذه الآيات فى أحد ، ولكن الحاجة إليها ظهرت بعد ، فكانت نبراسا للمؤمنين حين قبض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى خرج الناس يتلونها فى سكك المدينة كأنها لم تنزل قط إلا ذلك اليوم .

لقد تضمنت الآيات المنهج الذى ينبغى أن يسلكه الجنود عند غيبة قائدهم . وهو الثبات والصبر وعدم الفرار وتوطين النفوس على الموت والاكثار من الاستغفار ليكون موتهم على التوبة من الذنوب إن رزقوا الشهادة .

تحذير من الكفار والمنافقين :

لقد حذر الله المؤمنين من الركون الى المنافقين والكفار قائلا لهم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ (٨٨)

وطمأنهم على أن الكفار لن يستطيعوا أن ينالوا منهم شيئا طالما هم معتصمون بالله متوكلون عليه .

وأخبرهم بأن الله قد قذف الرعب فى قلوب الكفار فلن يقدروا عليهم ،

---

(٨٨) آل عمران ١٤٩ : ١٥١

وآية ذلك : أن أبا سفيان ومن معه من المشركين حين ارتحلوا من أحد ـ ندموا وهم فى الطريق ، فقالوا : بئس ماصنعنا ، قتلناهم حتى لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ، ارجعوا فاستأصلوهم .

فلما عزموا على ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به . وفى ذلك قال الله ـ تعالى :

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

من أين جاءت الهزيمة :

وطمأن الله المؤمنين أنهم قد أبلوا بلاء حسنا على الرغم من هذه النتيجة التى تبدو أنها ليست فى صالحهم ، فإن بعضهم قد أخذ يقول لبعض بعد رجوعهم الى المدينة : من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر ؟ فنزل قوله ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ

﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [89]

لقد كان النصر حليف المسلمين فى الوقت الذى التزموا فيه بأوامر النبى - صلى الله عليه وسلم - فلما شغلهم زخرف الدنيا أصابهم ماأصابهم .

لقد كانت الملائكة تقاتل دفاعا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لايخلص إليه العدو .

روى البخارى ومسلم عن سعد بن أبى وقاص قال : رأيت عن يمين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشد القتال[90]

وقال عروة بن الزبير : لقد وعد الله المؤمنين على الصبر والتقوى أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، فلما عصوا أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفكروا فى الدنيا وترك الرماة عهد الرسول ألايبرحوا من منازلهم وأرادوا الدنيا رفع الله عنهم مدد الملائكة .. ثم نزل قوله تعالى :

« ولقد صدقكم الله وعده .. »

لقد نصر الله نبيه فى أحد .. قال ابن عباس : مانُصِرَ النبى - صلى الله عليه وسلم - فى موطن كما نُصِرَ فى أحد .

---

(٨٩) آل عمران ١٥٢

(٩٠) تفسير القرطبى جـ ٤ صـ ٢

وأنكر ذلك عليه قوم . فقال : بينى وبين من أنكر ذلك كتاب الله ـ عز وجل ـ إن الله ـ عز وجل ـ يقول فى يوم أحد :

« ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه » .

لقد أشارت الآية الى أن الالتزام بخطة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان فيها النجاة والعصمة . ولكن الخروج عليها هو الذى جعل المسلمين يصيبهم ماأصابهم .

تصوير حالهم عند الهزيمة :

لقد أخذ المنهزمون يصعدون فى جبل أحد فرارا . وثبت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقليل معه ، وأخذ النبى يدعوهم قائلا : أى عباد الله ارجعوا . وأصابهم الغم بما سمعوا من إشاعة قتل النبى ، أو بما شاع من هزيمتهم أمام العدو .

ولكن الله أرسل عليهم النوم ليأمنوا . ويستريحوا . . . . وظهرت دخيلة المنافقين يومئذ على ألسنتهم قال الزبير : رضى الله عنه : أرسل الله علينا النوم ذلك اليوم وانى لأسمع معتب بن قشير والنعاس يغشانى وهو يقول : لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا هاهنا . .

ولقد أنزل الله فى ذلك قوله تعالى :

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا

تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (٩١)

فضيحة المنافقين :

ولقد نزلت آيات تفضح المنافقين وتكشف نواياهم من ذلك قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا

---

(٩١) آل عمران ١٥٣ ، ١٥٤

﴿ يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٩٢)

وأشار القرآن إلى هذا المعنى فى موضع آخر حيث يقول :

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (٩٣)

لقد قال عبد الله بن أبى بعد أن انخذل بأصحابه : لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، كما قال عن الذين استشهدوا من المسلمين : لو أطاعونا ماقتلوا . .

قال أبو الليث السمرقندى : سمعت بعض المفسرين يقول : لما نزلت الآية

« قل فادرءوا عن أنفسكم الموت »

مات يومئذ كثير من المنافقين(٩٤)

---

(٩٢) آل عمران ١٥٦ ، ١٥٨

(٩٣) آل عمران ١٦٦ ، ١٦٨

(٩٤) تفسير القرطبى جـ ٤ صـ ٢٦٧

ثناء على الرسول :

وأثنى الله على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصفه بمكارم الأخلاق . وذكر ماتصف به من خلق الرحمة السابغة التى جمعت القلوب حوله ، ودعاه الى مشاورة أصحابه فى مهام الأمور التى تحتاج الى المشاورة ، والتى لم ينزل فيها قرآن . . قال ـ تعالى ـ؛

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (٩٥)

والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يخرج لأحد إلا بعد أن شاور أصحابه ونزل على رأى الأغلبية منهم .

ثم ذكر الله أن النصر بيده يعطيه من يشاء من عباده . قال تعالى :

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (٩٧)

تحية للشهداء

وأثنى الحق سبحانه وتعالى على الشهداء ثناء مستطابا فأنزل فى شأنهم قوله تعالى :

---

(٩٥) آل عمران ١٥٩

(٩٦) آل عمران ١٦٠

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (٩٧)

قال العلماء : نزلت هذه الآيات فى حق شهداء أحد . . . ففى مصنف أبي داود باسناد صحيح عن ابن عباس قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ـ فقال الحق ـ سبحانه وتعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فنزل قوله تعالى :

« ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا »

إلى آخر الآيات . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ـ قال : لقينى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ياجابر ، مالى أراك منكسا مهتما ؟

قلت : يارسول الله ، استشهد أبى وترك عيالا وعليه دين .

فقال : ألا أبشرك بما يلقى الشهداء ؟

قلت : بلى يارسول الله .

---

(٩٧) ال عمران ١٦٩ : ١٧١

قال : إن الله سبحانه وتعالى يقول لهم : تمنوا عليَّ .

فيقولون : يارب نتمنى أن نرد إلى الدنيا لنقاتل فى سبيلك ، ونقتل مرة ثانية .. وذلك لما رأوا من ثواب المجاهدين ..

فقال تبارك وتعالى :-

« إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون .

قالوا : يارب فأبلغ من وراءنا

فأنزل الله عز وجل .. « ولا تحسبن ... الخ

دروس من أحد

لقد درس القادة العسكريون ومازالوا يدرسون غزوة أحد ، ويستخلصون منها كثيراً من العبر والعظات .

فهل كانت معركة أحد هزيمة أو نصرا ؟

على الرغم من كثرة عدد قتلى المسلمين الذين بلغوا واحدا وسبعين قتيلا ، عن عدد قتلى المشركين الذين بلغوا اثنين وعشرين قتيلا ، فان ذلك لا يعنى انتصار قريش على المسلمين .

لأن نتيجة المعركة لا تقاس فى الناحية العسكرية بعدد الخسائر فى الأرواح بل تقاس بتحقيق الهدف من القتال ، وقد كان هدف المشركين القضاء على الاسلام ، وهو مايعنى القضاء المبرم على المسلمين ماديا ومعنويا ... فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين ماديا ومعنويا ؟

الاجابة قطعا بالنفى .

« إن حركة خالد بن الوليد كانت مباغتة للمسلمين بغير شك ، وقيام المشركين بالهجوم وإطباقهم على قوات المسلمين من كافة الجوانب ، وهم متفوقون فى العدد والعدة بمقدار خمسة أمثال المسلمين - كل ذلك كان يلزم أن تكون نتائجه القضاء المبرم على كافة قوات المسلمين ، ولا يمكن أن يعد التفاف قوة متفوقة تفوقا ساحقا على قوة صغيرة أخرى من جميع جوانبها ، ثم نجاة تلك القوة الصغيرة بعد خسائر لا تزيد على عشرة فى المائة فقط - لا يمكن أن يعد ذلك إلا انتصارا لتلك القوة الصغيرة .

ولا يمكن اعتبار فشل القوة الكبيرة فى القضاء على القوة الصغيرة ماديا ومعنويا فى مثل هذا الموقف الحرج للغاية إلا هزيمة لها . .

ولم تستطع قريش أن تؤثر على معنويات المسلمين أيضا ، وإلا لما استطاع المسلمون الخروج لمطاردة قريش بعد يوم واحد فقط من يوم « أحد » دون أن تتجرأ قريش على لقاء المسلمين بعيدا عن المدينة ، خصوصا وأن الرسول - ﷺ - خرج للقاء قريش بقوته التى اشتركت فعلا فى معركة أحد ، دون أن يستعين بغيرهم من الناس .

إن نجاة المسلمين من موقفهم الصعب الذى كانوا فيه فى أحد - نصر عظيم لهم ، لأن إطباق المشركين عليهم من كافة الجهات كان يتوقع منه الفناء التام لهم .

فاذا خرجوا من ذلك بأقل خسائر ممكنة فإن ذلك يعد نصرا لهم .

ثم إن معركة أحد أتاحت للمسلمين معرفة المنافقين الذين كانوا بين

صفوفهم بصورة لا تقبل الشك أو المماراة ، وهذا مكسب عظيم أيضا لا يقدر بثمن ، ولا تعد خسائرهم فى الأرواح إلى جانبه شيئاً يذكر »[٩٨]

ولكن على الرغم من كل ذلك ، فقد حزن المسلمون لتلك الخسارة .

هذا ويمكن إرجاع خسائر المسلمين إلى الأسباب الآتية .

● عدم مطاردة المسلمين لأعدائهم فى الجولة الأولى بعد أن انهزم المشركون بعيداً عن معسكرهم .

● انشغال المسلمين بالغنائم بدلا من تطهير الموقع كما يجب .

● ترك الرماة أماكنهم مع تأكيد النبى - ﷺ - عليهم بعدم مغادرة أماكنهم وبذلك خالفوا أوامر النبى - ﷺ - الصريحة الواضحة فى ذلك .

● المباغتة التى قام بها العدو فى هجومه المضاد .

الدروس المستفادة :

وعلى كل فإن أُحُداً غاصة بالدروس المفيدة التى أفادت المسلمين بعد ذلك فى معاركهم من ذلك :

● تمكن المسلمون من معرفة القوة الحقيقية لقريش وطريقة حروبهم وتحركاتهم واستعداداتهم .

● كانت قيادة الرسول - ﷺ - حكيمة واضحة ، فقد أحسن اختيار المكان ، وأعطى تعليمات واضحة صريحة للرماة وأماكنهم ، ووزع القيادة بين أصحابه توزيعا منظما .

---

(٩٨) الرسول القائد صـ ١٧٥

واستطاعت هذه القيادة أن تسترد زمام الموقف بعد الارتباك الشديد الذى حصل بسبب إهمال الأوامر من جانب الرماة للاشتراك فى جمع الغنائم بعد أن انكشف المشركون وولوا الأدبار .

● لقد فتحت هذه الغزوة عيون المسلمين على خطورة تخطى أوامر الرسول ـ ﷺ ـ وأظهرت لهم مدى الحكمة التى يمكن اجتناؤها من إطاعة هذه الأوامر .

ولذلك حرص جميعهم على الاستجابة له حين دعاهم إلى تتبع آثار المشركين فى حمراء الأسد على الرغم مما هم فيه من ظروف قاسية وجروح شديدة ، كانت هذه الاستجابة جديرة بثناء الله عليهم حين قال فى حقهم :

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (٩٩)

---

(٩٩) آل عمران ١٧٢

غزوة ذات الرقاع

وتسمى غزوة الرقاع

- سبب الغزوة
- لماذا سميت غزوة العجائب
- صلاة الخوف
- غزوة بدر الصغرى
- النبي يقضي على الظلم
- غزوة دومة الجندل
- غزوة بني المصطلق
- تقسيم الغنائم
- رؤيا جويرية بنت الحارث
- إسلام الحارث



غزوة العجائب

غزوة ذات الرقاع

بين يدى هذه الغزوة

جاء فى دلائل النبوة أن النبى - ﷺ - غزا بنى لحيان قبل قيامه بغزوة ذات الرقاع .

وساق البيهقى فى ذلك خبرا قال فيه :

عن محمد بن إسحاق قال : حدثنا عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره قالوا : لما أصيب خُبَيب وأصحابه وهم أصحاب الرجيع الذين سبق ذكرهم - خرج رسول الله - ﷺ - طلبا بدمائهم ، وليثأر من بنى لحيان ، فسلك طريق الشام وورَّى على الناس حتى لايعرف أحد أنه يريد بنى لحيان ، حتى نزل أرض بنى لحيان من هذيل .

فوجدهم قد حُذِّرُوا ، فتمنعوا فى رءوس الجبال .

فخرج رسول الله - ﷺ - فى مائتى راكب حتى نزل عُسْفان . . وكانت قريش قد عرفت ذلك فخرج بعض جنودهم . . . . وذكر أبو عياش الزُّرْقى أن رسول الله - ﷺ صلى بعسفان صلاة الخوف .

قال أبو عياش الزرقى : كنا مع رسول الله - ﷺ - بعُسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد ، فصلينا الظهر .

فقال المشركون : لقد كانوا على حال لو أردنا لأصبنا منهم غِرة .

وقد شرعت صلاة الخوف حينئذ ، وكنا بين الظهر والعصر . فلما

حضرت صلاة العصر وأخذ الناس السلاح وصفُّوا خلف رسول الله - ﷺ - صفين يستقبلون القبلة ، والمشركون مستقبلوهم ، فكبر رسول الله - ﷺ - وكبروا جميعا ثم ركع رسول الله ، وركعوا جميعا ، ثم رفع رأسه ورفعوا جميعاً ، ثم سجد وسجد الصف الذى يليه ، وقام الآخرون يحرسونهم .

فلما فرغ هؤلاء من سجودهم سجد هؤلاء ثم نكص الصف الذى يليه وتقدم الآخرون ، فقاموا فى مقامهم ، فركع رسول الله - ﷺ - وركعوا جميعاً ، ثم رفع رأسه ورفعوا جميعاً ، ثم سجد وسجد الصف الذى يليه ، وقام الآخرون يحرسونهم ، فلما فرغ هؤلاء من سجودهم سجد هؤلاء الآخرون ، ثم استووا معه قعوداً جميعاً ، ثم سلم وسلموا جميعاً . فصلاها بعسفان ، وصلاها يوم بنى سليم[١٠٠]

لقد ذكر البيهقى كما رأينا من هذا الخبر أن غزوة بنى لحيان كانت قبل غزوة ذات الرقاع .

الهدف من هذه التحركات

كان لابد للمسلمين بعد غزوة أحد من أن يقوموا بعملية تطهير عام فى المدينة وخارجها حتى يستعيدوا هيبتهم وسمعتهم . .

لقد أصبحت المدينة فى عهدهم حرما آمنا ، وقاعدة قوية لنشر الاسلام ، وذاع لها صيت فى أنحاء الجزيرة العربية يشيد بما أصبحت عليه بعد أن

---

(١٠٠) دلائل النبوة للبيهقى جـ٣ صـ ٣٦٤

استقر فيها النبى - ﷺ - وصحبه من المهاجرين الذين آخاهم الانصار ، وكونوا معاً مجتمعا مثالياً تظلله المحبة والأخوة والصفاء والايثار .

ولكن غزوة أحد ومما انتهت إليه سببت بعض المشاكل الداخلية والخارجية .

وجاءت المشاكل الداخلية من قبل طائفتين تكنان للمسلمين العداء ، وإن كانتا تظهران الود والصفاء . وهما اليهود والمنافقون .

لقد انكشفت طوايا الفئتين تماماً بعد غزوة أحد ، بل وقبلها ، حين انسحب عبد الله بن أبىّ بصحبه من الميدان قبل أن تنشب المعركة .

وبدت حقيقة هؤلاء وهؤلاء واضحة بما أظهروه من شماتة بما أصاب المسلمين فى إخوانهم الذين استشهدوا فى سبيل الله . . .

وقد استطاع النبى - ﷺ - أن يتغلب على الفتنة الداخلية ، وذلك بقيامه بغزو بنى النضير ، كما ذكرنا من قبل .

أما المشاكل الخارجية فقد فجرتها قريش التى أخذت تباهى بأنها انتصرت ، وإن كانت فى الواقع لم تحقق نصراً يمكن أن تباهى به . .

لقد قامت بحملة إعلامية بين القبائل المحيطة ترفع بها من شأنها وتحط بها من قدر الاسلام والمسلمين .

وأعان فى تفجير هذه المشاكل الخارجية أيضاً بعض القبائل البدوية التى لاوازع لها من دين أو ضمير ومن عادة هؤلاء أنهم ينحازون لمن يظنون به

القوة مهما اشتد ظلمه ، ثم يبطشون بالضعفاء بطشاً لا هوادة فيه ولا رحمة . وهو لون من الجبن أو النفاق ، وهو سلوك مشين على أى حال لأنه يصم صاحبه بالخزى والمهانة .

لقد طمعت بعض القبائل البدوية فى الاستيلاء على المدينة ، كما طمع اليهود فى المسلمين ظنا من هؤلاء وهؤلاء أن المسلمين بعد أحد أصبحوا فى حالة من الضعف لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم .

لذلك كان من الضرورى أن يقوم المسلمون ببعض الحملات فى صورة سرايا أو غزوات ، لتطهير المدينة وما جاورها من نزعات التطلع والاعتداء . ومن هذه الحملات . .

سرية أبى سلمة

قلد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى قيادة سرية وأمره بالتوجه إلى بنى أسد بن خزيمة بناحية « قطن » وهو جبل به ماء لبنى أسد .

كان ذلك فى هلال المحرم بعد شهرين من غزوة أحد ،

كان الهدف من ذلك منع بنى أسد من الهجوم على المدينة . . . . فقد بلغ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسدى قد سارا فى قومهما ومن أطاعهما يدعونهم إلى حرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فدعا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا سلمة وأمَّره على مائة وخمسين رجلا من الأنصار والمهاجرين ، منهم الراكب والراجل . . وقال له :

« سر حتى تنزل أرض بنى أسد فأغر عليهم قبل أن تجتمع عليك جموعهم » وأمرهم بالسير ليلا والاستخفاء نهارا ، وسلوك طريق غير مألوف ، حتى لايكشف أحد وجهتهم أو يعرف أخبارهم .

فخرج أبو سلمة واشتد فى السير ، ونكب عن سنن الطريق ، وسبق الأخبار واستطاع أن يصل إلى أدنى « قطن » دون أن يفطن أحد لحركته وأحاط بالعدو فجرا ، فلم يستطيعوا أن يثبتوا له وولوا الأدبار ، وأغار على سرح لهم فضمه .

ثم قسم أصحابه أقساما ثلاثة : أبقى معه قسما ، وأرسل قسمين كلًّا منهما فى جهة لطلب العدو فعادت كل منهما بغنائم ، ورجع أبو سلمة بقوته كاملة الى المدينة(١٠١)

وكان أبو سلمة ـ رضى الله عنه ـ قد جرح بأحد جُرْحا بالغاً ولكنه اندمل ، ثم انفجر هذا الجرح بعد هذه السرية بشهور فمات منه فى جمادى الأولى(١٠٢)

---

(١٠١) الطبقات الكبرى جـ٢ قسم ١ صـ٣٥
(١٠٢) أسد الغابة جـ٦ صـ١٥٣

وهو زوج أم سلمة التى أصبحت زوجا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك .

سرية عبد الله بن أنيس

كان هدف هذه السرية استطلاعى . فقد علم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى ، يقوم بحشد قوة كبيرة من الأعراب فى عُرَنة ـ وهى واد بحذاء عرفات ـ

فندب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن أنيس ليقتله ـ فسار إليه وحده .

فقال عبد الله بن أنيس : صفه لى يا رسول الله .

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إذا رأيته هِبْتَه وفرقت منه وذكرت الشيطان

قال عبد الله : وكنت لا أهاب الرجال . واستأذنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن أقول ـ أى أخادع فى قولى مع العدو ـ فأذن لى .

قال : فأخذت سيفى ، وخرجت أعتزى ـ أنتسب ـ إلى خزاعة . حتى إذا كنت ببطن عرنة لقيته يمشى ووراءه الأحابيش ومن ضوى ـ انضم ـ إليه .

فعرفته بنعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهبته ، فرأيتنى أقطر ـ أعرق ـ فقلت : صدق الله ورسوله .

فقال سفيان : من الرجل ؟

قال عبد الله فقلت : رجل من خزاعة ، سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك .

قال : أجل ، إنى لأجمع له .

قال عبد الله : فمشيت معه وحدثته ، وأحب حديثى ثم تحينت الفرصة ليلا حين ابتعد عن أصحابه وهدأ الناس ، وناموا . . ثم أصبت منه غرة فقتلته ، وأخذت رأسه ، ثم دخلت غارا فى الجبل ، وجاء الطلب ، فلم يهتدوا إلىّ فانصرفوا راجعين .

قال : ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى فى النهار ، حتى قدمت المدينة ، فوجدت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المسجد .

فلما رآنى قال : أفلح الوجه .

قلت : أفلح وجهك يا رسول الله .

فوضعت رأس سفيان بين يديه ، وأخبرته خبرى .

فدفع إلى عصاً وقال : تخصَّرْ بهذه وسوف تكون معك فى الجنة .

فكانت هذه العصا عند عبد الله بن أنيس حتى حضرته الوفاة فأوصى أهله أن يدرجوها فى كفنه ففعلوا . .

وقد استغرقت رحلته ثمانى عشرة ليلة ، وعاد يوم السبت لسبع بقين من المحرم(١٠٣)

---

(١٠٣) الطبقات الكبرى جـ٢ قسم ١ صـ٣٦

لقد نجحت هذه السرية أيما نجاح ـ وأغنى فيها رجل واحد غناء جيش كامل . فقد استطاع عبد الله بن أنيس بقتله سفيان بن خالد أن يقضى على الفتنة ، فقد تفرقت هذه الجموع التى كانت قد احتشدت لغزو المسلمين بعد أن فقدت قائدها .

ثم بعد ذلك كانت غزوة ذات الرقاع التى نحن بصددها للثأر لمن استشهد فى بئر معونة

غزوة ذات الرقاع

قام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه الغزوة للثأر لمن استشهد من المسلمين فى بئر معونة التى أشرنا إليها فيما سبق

وسميت هذه الغزوة بهذا الاسم لأسباب ..

منها أن ذات الرقاع شجرة فى الموضع الذى وقعت فيه هذه الغزوة ، كان الأعراب يعبدونها . ويعلقون فوقها رقاعا لهم إذا كانت لهم حاجة .

أو لأن المسلمين لفوا أقدامهم بالرقاع من التعب وكثرة السير .. أو لأن جبلا هناك له ألوان مختلفة تشبه الرقاع فى الثوب .

أو لأن رقاعا كانت بألوية المسلمين أو بخيولهم . وقد ذكر أن صلاة الخوف فرضت فيها .

متى حدثت ؟

اختلف الرواة فى وقتها . فعند ابن اسحاق أنها كانت بعد غزوة بنى النضير سنة أربع فى شهر ربيع الآخر ، وبعض جمادى الأولى .

وعند ابن سعد أنها كانت فى المحرم سنة خمس .

وعند بعضهم أنها كانت بعد بنى قريظة فى ذى العقدة سنة خمس وعند بعضهم أنها كانت بعد خيبر .

ورأى بعضهم أنها غزوتان لا واحدة . .

سبب الغزوة

ذكر ابن سعد قال : قدم قادم المدينة بتجارة له ، فأخبر أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن أنماراً وثعلبة من غطفان قد جمعوا لهم الجموع وعزموا على غزو المدينة .

فبلغ ذلك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعزم على غزوهم قبل أن يغزوه ، بالاضافة إلى سبب آخر هو الثأر لشهداء المسلمين فى بئر معونة . . وتهيأ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذلك ، فاستخلف عثمان بن عفان على المدينة ، وخرج فى أربعمائة من أصحابه ، وقيل : سبعمائة .

ومضى فى طريقه اليهم حتى بلغ مكانهم ، فهرب الرجال إلى رءوس الجبال فغنم المسلمون أموالهم .

كان المكان الذى نزل به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اسمه « نخل » وهو منزل من منازل بنى ثعلبة على بعد مرحلتين من المدينة .

وعلى الرغم من ضخامة عدد هؤلاء الأعراب فإنهم لم يثبتوا وهربوا متفرقين . . ولم يلق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم كيدا . . فتأهب للعودة .

ولكنه كان فى عودته حذرا حتى لايقوم المشركون بهجوم مضاد ، ولذلك كانوا يتناوبون الحراسة ليلا ويحذرون العدو نهارا . وقد سميت هذه الغزوة بـ « غزوة العجائب » . . وسبب تسميتها بذلك هو ما حدث فيها من آيات عجيبة وخوارق غريبة .

ونحن نذكر ذلك كما أورده الرواة فنقول :

● نزل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن معه ليلا ـ فى شعب ، وكانت الليلة ذات ريح ، فقال : من رجل يكلؤنا هذه الليلة ؟ أى يقوم على حراستنا . .

فقام عباد بن بشر وعمار بن ياسر ـ رضى الله عنهما ـ فقالا : نحن يا رسول الله نكلؤكم .

فجلسنا على فم الشعب .

فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر : أنا أكفيك أول الليل وتكفينى آخره .

فنام عمار بن ياسر ـ رضى الله عنه ـ ، وقام عباد ـ رضى الله عنه ـ يصلى .

وكان رجل من هؤلاء القوم الذين خرج المسلمون لحربهم ـ غائبا عن ديار القوم ، فلما جاء عرف أن المسلمين قد غنموا أموالهم ، فتبع الجيش ، وحلف لاينثنى حتى يصيب محمدا أو يهريق فى أصحاب محمد دماً .

فلما رأى عباد قائماً يصلى قال : هذا ربيئة القوم ، فوجه إليه سهما فأصابه إصابة خفيفة .

فانتزعه عباد ومضى فى صلاته .

فرماه بآخر ، فانتزعه عباد ، ومضى فى صلاته .

فرماه بثالث فانتزعه ، ولكن الدم كان قد نزل منه ، فنادى عمارا فأيقظه قائلا له :

قم مكانى فقد جرحت .

فلما رأى الرجل عمارا علم بأنه قد انكشف أمره وعرف مكانه فهرب

قال عمار لعباد : أى أخى ، ما منعك أن توقظنى حين رميت من أول سهم ؟

قال عباد : كنت أقرأ فى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها ، ولولا أنى خشيت أن أضيع نفرا أمرنى رسول الله ـ ﷺ ـ بحفظهم ، ما انصرفت . .

وبالتأمل فى هذه الحادثة يتجلى لنا الايمان الكامل والعقيدة الراسخة والتفهم اليقظ من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ لطبيعة المهمة التى يقوم بها المجاهد فى سبيل الله .

« لم يكن الجهاد عملا حركيا يقوم على أساس المقاومة المادية المجردة ، ولم يتصور واحد من أولئك المسلمين الأوائل هذه الصورة له لو فى لحظة واحدة .

وإنما الجهاد ـ كما عَلَّمه الرسول ـ ﷺ ـ أصحابه ، وكما فهمه الصحابة منه ـ عبادة كبرى يتعلق فيها كيان المسلم كله بخالقه ، جل جلاله ـ خاشعا مستغيثا متبتلا ، وليس من ساعة يكون فيها المؤمن أقرب إلى ربه ، جل

وعلا ـ من تلك الساعة التي يستدبر فيها الدنيا ويستقبل بوجهه شطر الموت والاستشهاد .

« ولذلك ، كان من الطبيعى جدا بالنسبة لذلك الأنصارى ـ عباد بن بشر ـ رضى الله عنه ـ أن يشغل شطر حراسته من الليل بركعات خاشعة يقف فيها بين يدى ربه ـ جل جلاله ـ وقد انصرفت مشاعره كلها الى مناجاة ربه بآيات من كتابه الكريم .

وكان من الطبيعى أن لا يبالى بذلك السهم الذى وجه إليه ، ولا بالسهم الثانى الذى تبعه لأن مشاعره فى تلك الساعة كانت منصرفة إلى ربه ـ عز وجل ـ وقد غمرتها لذة العبادة والطاعة لخالقه .

فلما أصيب بالسهم الثالث ونزل منه الدم ، لم يكن همه ما أصابه ، وإنما كان همه هو المسئولية المنوطة به ، مخافة أن يضيعها بضياع حياته واستمرار سكوته ، فكان ذلك هو الذى اضطره إلى أن يلتفت فيوقظ صاحبه ، ليستلم منه أمانة الثغر الذى أنيط به مع صاحبه حفظه . وعلينا أن نتأمل فى قوله : وأيم الله لولا خوف أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله ـ ﷺ ـ بحفظه ، ما انصرفت ولو أتى على نفسى ـ أى ما انصرفت عن الصلاة ـ

أى لذة تلك التى يشعر بها المؤمن الصادق فى الصلاة ؟ إنها لذة عميقة يهون لديها الموت ، وهى لذة مُعِينَةٌ على أداء الواجب لا صارفة عنه وكيف لا يكون للصلاة هذا الأثر وقد أمر الله بالاستعانة بها فى تذليل

المشاق وتهوين العقبات فقال :

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١٠٤)

وقال ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (١٠٥)

« تلك هى طبيعة الجهاد الذى تكفل الله لأربابه بالنصر والفوز مهما كانت القوى المتألبة عليهم المتجمعة من حولهم .

فلنقارن ـ ليتقطع منا الكبد حسرة وأسى ـ بين ذلك الجهاد والجهاد الذى ندعيه الآن .

نقارن لنقف على مدى عدالة الله فى الأرض ، ولنعلم أن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون »(١٠٦)

نقارن لعلنا نأخذ من سيرة هذا الأنصارى المجاهد وغيره من أبطال المسلمين عبرة تذكرنا بما يجب علينا نحو ديننا ومجتمعنا وأوطاننا الاسلامية المغلوبة على أمرها

---

(١٠٤) البقرة ٤٥

(١٠٥) البقرة ١٥٣

(١٠٦) فقه السيرة د : رمضان البوطى صـ ٢١٣

عجيبة أخرى

هذه إحدى عجائب هذه الغزوة وان كانت عجيبة بالنسبة لعصرنا لا بالنسبة لذلك العصر المثالى الأول . وإليك عجيبة أخرى يقصها الرواة :

جاء رجل من هؤلاء القوم المناوئين للاسلام إلى النبى - ﷺ - اسمه غورث - أو غويرث - بن الحارث . .

وكان غورث هذا قد قال لقومه : ألا أقتل لكم محمدا ؟

قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟

قال : ألتمس منه غفلة وأفتك به .

ثم انطلق هذا الرجل حتى جاء إلى النبى - ﷺ - فى هيئة مسالمة ، وسيف النبى - ﷺ - أمامه

ثم قال : يامحمد أرنى أنظر إلى سيفك هذا .

فأخذه من حجر رسول الله فاستله ، وجعل يهزه فى يده ، والنبى - ﷺ - ثابت لا يتحرك .

ثم قال غورث : يامحمد ، أما تخافنى ؟

قال النبى - ﷺ - : لا - يمنعنى الله - تعالى - منك .

فلم يستطع الرجل أن يفعل شيئا ودفع السيف إلى النبى - ﷺ - لقد حاول الرجل الاعتداء على النبى ، ولكنه وجد هناك قوة خفية تحول بينه وبين ذلك .

وحين أخذ النبى - ﷺ - السيف قال لغورث : من يمنعك منى ؟
قال الرجل : كن خير آخذ .

فعفا عنه النبى - ﷺ - فانطلق الرجل الى قومه يقول : جئتكم من عند خيرالناس . ويقال : إن هذا الرجل أسلم بعد ذلك .

لقد قال الله فى حق نبيه - ﷺ - : « والله يعصمك من الناس » ومفهوم ذلك أنه يعصمه من القتل . لا من الإصابة بالجراح أو مثل ذلك - لأنه - ﷺ - قد تعرض فى أحد - لاعتداءات المشركين ، وقد جرح وسال دمه وأصيبت ثنيتاه . .

لقد قال العلماء : « لا يخفى أن أجر كل نبى فى التبليغ يكون على قدر مايناله من المشقة الحاصلة له من المعادين له ، وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ، ولا أحد أكثر أجرا من نبينا - ﷺ - فإنه لم يتفق لنبى من الأنبياء ما اتفق له فى كثرة من أطاعوه ، وشدة من عصوه ، ورفضوا دعوته »[١٠٧]

وفى غزوة « ذى أمر » حاول رجل الغدر بالنبى - ﷺ - فعصمه الله من ذلك - وكانت غزوة « ذى أمر » فى ربيع الأول من السنة الثالثة .

وذو أمر - بتشديد الراء - اسم ماء لغطفان - وكان رجل اسمه دعثور بن الحارث الغطفانى من بنى محارب جمع جموعا من ثعلبة ومحارب بذى أمر ، بهدف الإغارة على المدينة .

---

(١٠٧) السيرة الحلبية جـ٢ صـ٥١٥

وبلغ ذلك النبى - ﷺ - فخرج فى أربعمائه وخمسين رجلا بعد أن استخلف على المدينة عثمان بن عفان

وفى الطريق إلى الهدف اعتقل أصحاب النبى - ﷺ - رجلا يقال له جبار من بنى ثعلبة ، فأدخلوه على رسول الله - ﷺ - فأخبره من خبر القوم ، وقال له : لن يلاقوك ، ولو سمعوا بمسيرك إليهم فسوف يهربون إلى رءوس الجبال وأنا سائر معك .

فدعاه رسول الله - ﷺ - إلى الاسلام فأسلم ، وضمه إلى بلال ، وأخذ هذا الرجل طريقا وهبط به عليهم .

فلما سمع القوم بمسير رسول الله - ﷺ - هربوا إلى رءوس الجبال ، حتى بلغوا ماء ذى أمر ، وعسكر المسلمون أيضا بالقرب منهم . . وكان المطر قد هطل بشدة حتى بل الثياب ، فنزع النبى - ﷺ - ثوبه ونشره على شجرة ليجف ، واضطجع بمرأى من المشركين الذين كانوا يرقبونه من بعيد ، وانشغل المسلمون ببعض أمورهم .

وهنا قال المشركون لدعثور زعيمهم وأشجعهم : قد انفرد محمد عن أصحابه ، فعليك به .

فقال : قتلنى الله إن لم أقتله .

وجاء دعثور ومعه سيفه وقام على رأس رسول الله - ﷺ - ونادى قائلا : يامحمد ، من يمنعك منى اليوم ؟

فقال النبى - ﷺ - : الله .

فاضطرب دعثور ، ووقع السيف من يده فأخذ النبى - ﷺ - السيف وقال له : من يمنعك منى ؟

قال دعثور : لا أحد ، أشهد أن لا إله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله .

ثم أتى قومه ، بعد أن أعطاه النبى - ﷺ - سيفه ، فجعل يدعوهم إلى الاسلام .

وأخبرهم أنه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره . فعلم أن هذا الرجل نبى معصوم ، فأسلم . . . وقد ذكر بعض العلماء أن قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (١٠٨)

قد نزلت فى تلك المناسبة ، ولكن البعض يذكر أن هذه الآية نزلت فى موقعة بنى النضير حين هم اليهودى بإلقاء الصخرة من فوق الجدار على النبى - ﷺ - وقد أسلم دعثور وحسن إسلامه (١٠٩)

ولم يعاقب النبى - ﷺ - غورث الذى حاول قتله مع أنه لم يبادر إلى الإسلام ، وذلك حرصا على تأليف قلوب الكفار ليدخلوا الإسلام .

---

(١٠٨) المائدة ١١

(١٠٩) أسد الغابة جـ٢ صـ١٦٠

وأرسل النبى - ﷺ - بشيرا إلى أهل المدينة يبشرهم بسلامة المسلمين ، وكان البشير هو جعال بن سراقة .. وكانت الغيبة فى هذه الغزوة خمس عشرة ليلة ..

عجيبة أخرى

وإذا كانت حكاية غورث تدل على حفظ الله نبيه من الأعداء وعصمته من الاعتداء . مصداقا لقوله تعالى

« والله يعصمك من الناس »

فإن هناك خوارق أخرى ظهرت فى هذه الغزوة أيضا .

فقد جاءت امرأة بدوية بابن لها فقالت : يارسول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان . فلمس النبى - ﷺ - صدر الصبى ودعا الله

فشفى الولد ، وقال النبى - ﷺ - للمرأة : شأنك بابنك ، لن يعود إليه شىء مما كان يصيبه - فكان كذلك .

والاصابة بمس الجن أمر معلوم مشاهد ملموس . وله شاهد فى القرآن الكريم فى قوله - تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (١١٠)

فلولا أن المشبه به معروف عند العرب لما مثل الله به حالة أكلة الربا حين يقومون من قبورهم يوم القيامة .

---

(١١٠) البقرة ٢٧٥

وقد عقب القرطبى على هذه الآية بقوله : فى هذه الآية دليل على فساد رأى من أنكر الصرع من جهة الجن ، وزعم أنه من فعل الطبائع ، وأن الشيطان لا يسلك فى الإنسان ولا يكون منه مس ، وقد روى النسائى عن أبى اليسر قال : كان النبى - ﷺ - يدعو فيقول : « اللهم إنى أعوذ بك من التردى والهدم والغرق والحريق وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان وأعوذ بك أن أموت مدبرا وأعوذ بك أن أموت لدنيا » .

وعن أنس أن النبى - ﷺ - كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الجنون والجذام والبرص وسيىء الأسقام » .

والمس المذكور فى الآية هو الجنون ، يقال : مُسَّ الرجلُ وأُلِسَ فهو ممسوس ومألوس[111] .

واذا أصاب الشيطان إنسانا فهو يحتاج إلى روح قوية تطرد هذه الروح الشريرة ، وليس هناك أقوى من روح النبى - ﷺ - الذى كان يشفى المصروع بمسه أو الدعاء له ، أو النظر إليه . .

وقد وردت قصص كثيرة فى ذلك :

فقد روى أن زارع بن عامر وفد على النبى - ﷺ - ومعه ابن له مجنون أو ابن أخت له ، فلما قدموا على رسول الله - ﷺ - قال : يارسول الله إن معى ابنا أو ابن أخت لى أتيتك لتدعو الله له ، فقال : ائتنى به ، فأتاه فدعا له فبرأ ، فلم يكن فى الوفد من يفضل عليه[112] .

---

(111) تفسير القرطبى حـ٣ صـ٣٥٥ ط دار الكتب

112 أسد الغابة حـ٢ صـ٢٤٥ ، حـ٥ صـ١٨٧

ومن عجائب هذه الغزوةأيضاً مايحكيه الرواة من أن بعض الجنود قد اشتد عليهم الجوع ، فعثر بعض الصحابة على ثلاث بيضات من بيض النعام ، فأتى بها النبى ـ ﷺ ـ فقال لجابر : دونك ياجابر فاعمل هذه البيضات .

قال جابر : فعملتهن ، ثم جئت بهن فى قصعة ، فجعلنا نطلب خبزاً فلم نجد فجعل ـ ﷺ ـ وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى كل إلى حاجته ـ من الشبع(١١٣) .

إنها بركة الرسول ـ ﷺ ـ وهى إحدى معجزاته التى أثرت عنه وشوهدت فى كل مكان . وحدث عنها الرواة أحاديث كثيرة .

ذكر القاضى عياض فى كتابه « الشفا » قال : عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رجلا أتى النبى ـ ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وشق من شعير فمازال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى شبعوا(١١٤) .

وروى أبو هريرة قال : أصاب الناس مخمصة فقال لى رسول الله ـ ﷺ ـ : هل من شيء ؟

قلت : نعم ، شيء من التمر فى المزود .

قال : فائتنى به .

فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ، ودعا بالبركة ، ثم قال : ادع

---

(١١٣) السيرة الحلبية جـ٢ صـ٥٧٧

(١١٤) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ١ صـ١٩٠

عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم عشرة كذلك ، حتى أطعم الجميع وشبعوا .

عجيبة أخرى

ومن العجائب التى حدثت فى هذه الغزوة أيضا أن جملا جاء يرقل حتى وقف عند النبى - ﷺ - وجعل يرغى .

فقال رسول الله - ﷺ - : أتدرون ماقال هذا الجمل ؟

قالوا : لا . .

قال : هذا جمل يستعيذ بى على سيده ، يزعم أنه كان يحرث عليه سنين ، وأنه أراد أن ينحره .

اذهب ياجابر إلى صاحبه فأت به .

قال جابر : لا أعرف صاحبه .

قال النبى - ﷺ - : إنه سيدلك عليه .

قال جابر : فخرج الجمل بين يدى حتى وقف بى على صاحبه ، فجئته به . . فكلمه - ﷺ - فى شأن الجمل(١١٥)

وذكر القاضى عياض فى كتابه الشفا خبرا شبيها بذلك فقال :

كان جمل فى حائط لا يدخل عليه أحد إلا شد عليه . فدخل النبى - ﷺ - فدعاه فجاء الجمل ووضع مشفره على الأرض وبرك بين

---

(١١٥) السيرة الحلبية جـ٢ صـ٥٧٧ ورواة الطبراق عن جابر

يديه ، فخطمه ، وقال : مابين السماء والأرض شيء إلا ويعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والأنس .

وسأل أصحاب الحائط عن الجمل فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه ، وفى رواية أنه قال لهم : إن الجمل اشتكى كثرة العمل وقلة العلف[١١٦] .. وأوصاهم بأن يحسنوا إليه .

جمل جابر

وفى أثناء رجوع الجيش كان جابر بن عبد الله على جمل أعيا به فى الطريق ، وأبطأ عن الركب .... وكان النبى - ﷺ - من عادته أن يسير وراء أصحابه - ليشرف عليهم - فرأى جابراً وقد أبطأ جمله .

فنخس النبى - ﷺ - جمل جابر ، فتقدم .

قال جابر : فلقد رأيتنى أكفه عن رسول الله - ﷺ - حياء منه حتى لا يسبقه .

ثم أخذ النبى - ﷺ - يلاطف جابرا ويداعبه ، فقال لجابر : كيف ترى بعيرك ؟

قال جابر : قد أصابته بركتك يارسول الله .

قال : أتبيعه لى ؟

---

(١١٦) الشفا جـ١ صـ٢٠٦

قال جابر : فاستحييت ، ولم يكن لى ناضح غيره . فقلت : نعم . فابتاعه منه بأوقية من ذهب .

قيل : إن رسول الله مازَحه أولا وقال : أشتريه بدرهم . ومازال يزيده درهما درهما وفى كل مرة يستغفر له .

وكأن الهدف من ذلك أن يكثر استغفاره له . حتى قال جابر : استغفر لى النبى - ﷺ - فى ذلك اليوم خمسا وعشرين مرة . وفى رواية : سبعين مرة .

وقال النبى - ﷺ - لك ظهره إلى المدينة .

ويذكر ابن هشام هذه القصة فيقول :

قال جابر : وتحدثت مع رسول الله - ﷺ - فقال لى : أتبيعنى جملك هذا ياجابر ؟

قلت : يارسول الله ، بل أهبه لك .

قال : لا ، ولكن بعنيه .

قلت : لك ذلك يارسول الله.

قال : - ﷺ - : قد أخذته بدرهم .

قلت : لا

قال : فبدرهمين .

قلت : لا

فلم يزل يرفع لى رسول الله - ﷺ - حتى بلغ الأوقية .

فقلت : أفقد رضيت يارسول الله بهذا الثمن ؟

قال : نعم

قلت : فهو لك .

قال : قد أخذته .

ثم قال : ياجابر هل تزوجت بعد ؟

قلت : نعم يارسول الله .

قال : أثيبا أم بكراً ؟

قلت : ثيبا .

قال : فهلا تزوجت جارية تلاعبها وتلاعبك ؟(١١٧)

قلت : يارسول الله ، إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا ، فنكحت امرأة جامعة تجمع رءوسهن وتقوم عليهن .

قال : أصبت إن شاء الله .

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ـ ﷺ ـ

ثم جلست فى المسجد قريبا منه . وخرج رسول الله ـ ﷺ ـ فرأى الجمل ، فقال : ماهذا ؟

قالوا : يارسول الله ، هذا جمل جاء به جابر .

قال فأين جابر ؟

---

(١١٧) أى بكراً

فدعيت له . فقال : يابن أخى خذ برأس جملك . فهو لك ، ودعا بلالا ، وقال له : اذهب بجابر فأعطه أوقية .

فذهبت معه فأعطانى أوقية وزادنى شيئا يسيرا(١١٨) .

وبهذا يكون جابر قد أخذ الجمل وأخذ ثمنه هدية من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صلاة الخوف

وفى هذه الغزوة شرعت صلاة الخوف وصلى النبى - ﷺ - بأصحابه صلاة الخوف . وقد مر فى صدر هذا الكلام أنه فى غزوة بنى لحيان بعسفان - صلى النبى - ﷺ - بأصحابه صلاة الخوف .

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ

---

(١١٨) راجع هذه القصة فى سيرة ابن هشام حـ٣ صـ٢٤٧ ، المواهب اللدنية ١/ ٩٢حياة الحيوان ١/ ٣٣٨ وفى البخارى ومسلم وأبى داود والنسائى والترمذى

والحكمة فى نزول صلاة الخوف فى ذلك الوقت مارواه الرواة من أنه فى هذه الغزوة ـ غزوة ذات الرقاع ـ خاف المسلمون أن يغير المشركون عليهم وهم غافلون ـ فصلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأصحابه صلاة الخوف ـ وكانت صلاة العصر .

وفى رواية أن المسلمين صلوا صلاة الظهر فهم بهم المشركون ، فقال قائل منهم : دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه ، وهى صلاة العصر ، فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره فصلى العصر صلاة الخوف . وفى هذا دليل على أن الصلاة التى أشار اليها البيهقى وذكرناها آنفا كانت بعد ذلك .

كيف صلى النبى صلاة الخوف :

قال العلماء : كان العدو فى غير جهة القبلة ، ففرق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجنود فرقتين ـ فرقة وقفت فى وجه العدو ، وفرقة صلى بها ركعة ثم عند قيامه للثانية فارقته . وأتمت بقية صلاتها . ثم ذهبت ووقفت فى وجه العدو

وجاءت الفرقة الثانية التى كانت تواجه العدو واقتدت بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الركعة الثانية ، فصلى بها ركعة ، ثم قامت وهو فى جلوس

---

(١١٩) النساء ١٠٠

التشهد وأتمت بقية صلاتها ولحقته فى جلوس التشهد وسلم بها[١٢٠]

اختلاف الروايات فى هيئة صلاة الخوف

اختلفت الروايات فى هيئة صلاة الخوف واختلف العلماء فيها لاختلاف الروايات

ذكر ابن القصار أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاها فى عشرة مواضع . . . وقال ابن العربى : روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه صلى صلاة الخوف أربعا وعشرين مرة

والكيفية التى ذكرناها إنما يحتاج إليها إذا كان المسلمون مستديرين القبلة ووجه العدو اليها ـ وقد اتفق ذلك كما قلنا فى غزوة ذات الرقاع ـ أما إذا كان المسلمون فى مواجهة القبلة ـ وهذا كان بعسفان ـ فى الرواية التى ذكرها البيهقى ـ فقد أداها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون . . كما يلى : حضرت الصلاة فأمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه أن يأخذوا السلاح ، وَصَفَّهم خلفه صفين ، ثم ركع فركعوا جميعا ، ورفع ورفعوا جميعا ثم سجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالصف الذى يليه ، والآخرون قيام يحرسونهم . فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء فى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، ثم ركع فركعوا جميعا ، ثم رفع فرفعوا جميعا ، ثم سجد النبى ـ صلى الله

---

(١٢٠) السيرة الحلبية جـ٢ صـ٥٧٢

عليه وسلم ـ وسجد معه الصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلس سجد الآخرون ثم سلم بهم جميعا

وقد صلاها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه الكيفية مرتين مرة بعسفان . ومرة فى أرض بنى سليم(١٢١)

قال القرطبى : ولاتعارض بين الروايات حول صلاة الخوف . .

وقال الخطابى : صلاة الخوف أنواع صلاها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أيام مختلفة وأشكال متباينة يتوخى فيها كلها ماهو أحوط للصلاة وأبلغ للحراسة . .

كيف تصلى الآن :

الحرب قديما كانت عن طريق تقابل الجيوش والمبارزة ، وقد تطورت الحرب فأصبحت بالقذائف والقنابل وغيرها من أدوات القتال الحديثة . . . . فكيف تصلى صلاة الخوف الآن ؟

والجواب على ذلك يؤخذ من كلام القرطبى ـ قال : اختلفوا فى صلاة الخوف عند التحام الحرب وشدة القتال وخوف خروج الوقت . . . . . فقال مالك والشافعى وغيرهما : يصلى كيفما أمكن ، لقول ابن عمر : فإن كان خوف أكثر من ذلك يصلى راكبا أو قائما أو يومىء إيماء ، قال فى الموطأ : مستقبل القبلة وغير مستقبلها .

---

(١٢١) أخرجه أبو داود والترمزى من حديث أبى هريرة

فان لم يقدروا على الإيماء أخروا الصلاة حتى ينكشف القتال ويأمنوا فيصلوا ركعتين فان لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين ، فان لم يقدروا يجزئهم التكبير ويؤخروها حتى يأمنوا . .

وحكى عن أبى حنيفة وأصحابه : أنه اذا كان الخوف شديدا وكان التحام القتال ، فان المسلمين يصلون على ماأمكنهم مستقبلى القبلة ومستدبريها .

أما إذا حدث قتال فى الصلاة فإنها تفسد . . . . .

وفى تأخير الصلاة لشدة القتال قال أنس : حضرت مناهضة حصن « تستر » عند إضاءة الفجر ، واشتد اشتعال القتال فلم نقدر على الصلاة الا بعد ارتفاع النهار ، فصليناها ونحن مع أبى موسى ففتح لنا .

قال أنس : ومايسرنى بتلك الصلاة الدنيا ومافيها .(١٢٢)

وفى حديث جابر قال : جاء عمر يوم الخندق ، فجعل يشتم الكفار ويقول : يارسول الله ، ماصليت العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أنا والله ماصليتها بعد . . قال فنزل بطحان فتوضأ وصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى المغرب بعدها .(١٢٣)

هذا وتبرز الحكمة التى من أجلها شرعت صلاة الخوف لأهمية الصلاة ووجوب المحافظة عليها وعدم التقصير فيها ، ووجوب أدائها فى أوقاتها والحرص على أدائها فى جماعة ماأمكن ذلك .

---

(١٢٢) ذكره البخارى

(١٢٣) ذكره البخارى أيضا وراجع تفسير القرطبى حـ٥ صـ٣٦٣ ط دار الكتب

الصلاة عند طلب العدو أو من يطلبه العدو

ويلحق بأحكام صلاة الخوف صلاة الذى يكون طالبا للعدو ويخشى أن يفوته إن أقام الصلاة .

وكذلك الانسان الذى يطلبه عدو ويخشى أن يدركه إن أقام الصلاة والحكم فى ذلك نستقيه من أقوال العلماء حيث قالوا : « من كان طالبا للعدو وخاف أن يفوته صلى بالإيماء ولو كان ماشيا الى غير القبلة ، والمطلوب مثل الطالب فى ذلك ويلحق بهما كل من منعه عدو عن الركوع والسجود ، أو خاف على نفسه أو أهله أو ماله من عدو أو لص أو حيوان مفترس فانه يصلى بالايماء الى أى جهة توجه اليها .

قال العراقى : ويجوز ذلك فى كل هرب مباح من سيل أو حريق اذا لم يجد معدلا عنه . وكذا المدين والمعسر اذا كان عاجزا عن بينة الاعسار ولو ظفر به المستحق حبسه ولم يصدقه، وكذا اذا كان عليه قصاص يرجو العفو عنه إذا سكن الغضب . .

عن عبد الله بن أنيس ـ رضى الله عنه ـ قال : بعثنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى خالد بن سفيان الهذلى الذى كان يجمع الناس لحرب المسلمين ـ وكان نحو عرفات ـ فقال : اذهب فاقتله ان استطعت

قال : فرأيته وقد حضرت صلاة العصر ، فقلت : إنى لأخاف أن يكون بينى وبينه مايؤخر الصلاة .

« فانطلقت أمشى وأنا أصلى أومىء إيماء نحوه .

فلما دنوت منه قال لى : من أنت ؟

قلت : رجل من العرب ، بلغنى أنك تجمع لهذا الرجل - أى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فجئتك فى ذلك - أى لأنضم إليك

فقال : إنى لفى ذلك .

فمشيت معه ساعة حتى إذا أمكننى ضربته بسيفى(١٢٤)

وقد سبقت الاشارة الى هذه القصة . . . والشاهد فيها هنا هو صلاة عبد الله ابن أنيس وهو يومىء لأنه يطلب عدوا يخشى فوته ، أو يخشى أن يعطله لقاؤه عن أداء الصلاة . ولم ينكر عليه النبى - صلى الله عليه وسلم - مافعله .



(١٢٤) رواه أحمد وأبو داود ، وحسن الحافظ إسناده ، فقه السنة لسيد سابق جـ١ صـ٢٣٨

- غزوة بدر الصغرى .
- قصة هذه الغزوة .
- كيف انتهت ؟
- غزوة دومة الجندل .
- غزوة بنى المصطلق .
- هروب الحارث بن ضرار .
- رؤيا جويرية بنت الحارث - رضى الله عنها .
- كيف أسلم الحارث ؟
- إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا .
- قصة الوليد بن عقبة .
- هل قتل أحد من المسلمين فى تلك الغزوة ؟
- دور المنافقين فى غزوة بنى المصطلق .
- قصة زيد بن أرقم مع عبد الله بن أبى بن سلول .
- حكمة النبى - صلى الله عليه وسلم - فى علاج الأمور .

غزوة بدر الصغرى

وهى بدر الآخرة . . وسميت بالصغرى للتفرقة بينها وبين بدر الكبرى التى تحدثنا عنها قبل ذلك . وكذلك بالنسبة لتسميتها بالآخرة فانه للتفرقة بينها وبين الأولى . ويطلق عليها أيضا بدر الموعد

ولعلنا نتذكر ماقاله أبو سفيان فى نهاية غزوة أحد حيث قال للمسلمين : موعدنا معكم بدر فى العام القابل .

وقد كلف النبى - صلى الله عليه وسلم - عمر أن يجيبه بالموافقة على ذلك .

كانت هذه الغزوة فى شعبان سنة أربع بعد غزوة ذات الرقاع .

قصة هذه الغزوة

بعد أن عاد النبى - صلى الله عليه وسلم - من غزوة ذات الرقاع أقام بالمدينة جمادى الأولى والآخرة وشهر رجب .

ثم تجهز للخروج لملاقاة قريش فى الموعد الذى سبق أن حدده أبو سفيان . فخرج فى ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس .

وهذه الأفراس العشرة منها واحد للنبى - صلى الله عليه وسلم - وآخر لأبى بكر ، وآخر لعمر ، وآخر لأبى قتادة . وآخر للحباب بن المنذر ، وآخر لعباد بن بشر الأنصارى - رضى الله عنهم أجمعين .

واستخلف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المدينة أحد أصحابه ـ كعادته ـ فى غزواته .

قيل : إنه استخلف عبد الله بن عبد الله بن أبىٍّ بن سلول . .

وقيل : بل استخلف عبد الله بن رواحة .

ويحتمل أن يكون استخلفهما معاً ، أحدهما على الصلاة والآخر على الحكم . وحمل اللواء على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ

موقف المشركين

وكان أبو سفيان قد خرج ـ وهو كسول ـ فى ألفين من القرشيين ، ومعهم خمسون فرسا . حتى بلغوا المجنة ، وهى سوق قرب مكة من ناحية مر الظهران . .

وشاور نفسه ومن معه فى الرجوع ، وعزم على ذلك ، وأراد أن يدبر أمراً يحفظ به ماء وجهه أمام المسلمين ، بل وأمام العرب الذين يرقبون المواقف ويرصدون الأحداث ، وفيهم عيون واعية وألسنة قائلة . .

ووجد فى نعيم بن مسعود ضالته المنشودة ، فهو خير سفير له إلى المدينة يبث الرعب فى أرجائها ، ويثبط المسلمين عن الخروج ، فيبدو الأمر أمام الناس وكأن المسلمين هم الذين أخلفوا الموعد لا أبا سفيان .

ويبدو أن نعيم بن مسعود كان جاهزاً لأداء مثل هذه الأدوار قبل أن يسلم ويحسن إسلامه . . وطالما أدى أدواراً استطلاعية لمختلف الجبهات .

قال أبو سفيان لنعيم : هل لك في عشرين بعيراً إن استطعت أن تخذل المسلمين عن الخروج لنا فى موعدنا الذى اتفقنا عليه ؟

قال نعيم : إنهم قد استعدوا لكم ، وقد قدمت من المدينة ورأيتهم يجمعون لكم الجموع .

قال أبو سفيان : فأنت لذلك يا نعيم ، وأنت خير من يقوم بالمهمة التى أطلبها منك . إن العام عام جدب لا يصلح أن نحارب فيه .

قال نعيم : ومن الذى يضمن لى وفاءك بما تقول ؟

قال أبو سفيان : يضمننى سهيل بن عمرو .

فاتجه نعيم بن مسعود الأشجعى إلى سهيل بن عمرو وقال له :

هل أنت ضامن أبا سفيان فيما يقول لى من أنه سيؤدى لى عشرين بعيرا إن رددت محمدا ﷺ وأصحابه عن الخروج إليكم ؟

قال سهيل بن عمرو : نعم ، وأحملك على بعير إلى المدينة .

وما أسرع أن انطلق نعيم بن مسعود من توّه إلى المدينة ، ووجد المسلمين نشيطين فى استعدادهم ، فأقبل يبث فى صفوفهم أن قريشا قد أعدت للقائهم ما لا قبل لهم به ، وأخذ يختلى ببعضهم ويتخلل صفوفهم ، حتى صادف قوله قبولاً فى بعض النفوس .

ورأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعض التخاذل الذى أخذ يدب بعد النشاط الذى كان يشتعل . .

وسمع بعض الأصوات التى تنادى بعدم الخروج .

ووجد المنافقون الفرصة للقول فقالوا ما شاءوا ، وحرضوا الناس على النكوص والتراجع . .

واستبشر اليهود بهذا الموقف وعدوه من علامات الخذلان فى صفوف المسلمين .

وراقب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الموقف جيداً فقرر أن يتخذ القرار المناسب للقضاء على هذا التخاذل المصنوع . .

واستشار أصحابه ـ كعادته ـ فقال كل من أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ وكانا قد سمعا ما أرجف به المرجفون :

يا رسول ، إن الله مظهر نبيه ، ومعز دينه ، وقد وعدنا القوم من قريش موعداً لا نحب أن نتخلف عنه ، فيرون أن هذا جبن منا ، فِسرْ لموعدهم . .

وكذلك قال الصادقون المسلمون . .

فسر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك القول . ثم قال : والذى نفسى بيده لأخرجن وإن لم يخرج معى أحد .

وتأهب ـ صلى الله عليه وسلم ـ للخروج . فلما رأى المسلمون ذلك نشطوا وذهب ما كان قد شعروا به من تأثر بكلام نعيم بن مسعود ، وإرجاف المرجفين من المنافقين .

وخرجوا جميعاً فى قوة وعزة ويقين بنصر الله لهم ..

ولقد كانوا يتعطشون فى خروجهم هذا لأن يلقنوا قريشا الدرس الذى لن تنساه أبداً بعد ذلك .

وعسكر النبى - صلى الله عليه وسلم - بأصحابه فى بدر ، وانتظروا قريشا أن تحضر ، ولكنها لم تحضر ..

لقد ظنت قريش أن مهمة نعيم ستنجح ، وأنه سوف يتمكن من إقناع المسلمين بالعدول عن الخروج ، ولكن نعيما لم ينجح فى مهمته . وباء تدبير أبى سفيان بالخذلان .

لقد كانت وجهة نظر أبى سفيان كما قالها لأصحابه - حيث قال لهم : يا معشر قريش لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه الماء ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإنى راجع فارجعوا .

فرجع الناس بعد أن كانوا قد خرجوا فى ألفين من الجنود وخمسين من الفرسان وأقاموا فى مجنة يومين .

وقد عادوا - على غير طائل - فلا نعيم نجح فى مهمته ، ولا هم لاقوا المسلمين ليثبتوا أنهم كانوا جادين فى وعدهم لهم ..

ولذلك سمى أهل مكة هذا الجيش جيش السويق .. يعنون أنهم إنما خرجوا ليشربوا السويق .

والسويق شراب يتخذ من القمح أو الشعير بعد قليه ثم طحنه ، ويمزج بماء أو عسل أو سمن ..

وكانت هذه العودة فضيحة لقريش . فقد قال صفوان بن أمية لأبى سفيان : قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم ، وقد اجترءوا علينا الآن ورأونا قد أخلفناهم . وتسامع الناس فى كل مكان بأن قريشا قد أخلفت موعدها مع المسلمين وأن المسلمين قد وفوا وخرجوا لهم ، فازدادت هيبة الاسلام فى النفوس ، بالقدر الذى ضعفت فيه الثقة بقريش فى نفوس العرب . وأقام المسلمون فى بدر ثمانية أيام ، وكانت سوق بدر قائمة وكان العرب قديماً يجتمعون فيها فى ذلك الوقت ، وباع المسلمون واشتروا وربحوا ربحاً عظيماً عوضهم عما فاتهم من غنائم قريش التى كانت مرتقبة لهم .

وفى هذه الغزوة نزل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (١٢٥)

من الناس فى هذه الآية ؟

قال العلماء : الناس فى هذه الآية قد يقصد بهم فرداً واحداً هو نعيم بن مسعود ، الذى استأجره أبو سفيان بعشرين بعيرا . لتثبيط المسلمين . .

---

(١٢٥) آل عمران ١٧٣ ، ١٧٤

وقال بعض العلماء : إن الناس ركب من عبد القيس كانوا متجهين إلى المدينة ، ورآهم أبو سفيان فقال لهم : ثبطوا المسلمين عن الخروج إلينا ولكم علينا أن نملأ رحالكم زبيباً وأقطا إذا وافيتمونا فى الموسم .

وقال بعضهم : إن الناس هم المنافقون الذين حاولوا تثبيط المسلمين وقالوا لهم : نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج إليهم فى أحد وعصيتمونا وقد قاتلوكم فى دياركم وظفروا ، فماذا يكون إذا أتيتموهم فى ديارهم فلا يرجع منكم أحد ، فقال المسلمون : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال أبو معشر : دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة ، فسألهم أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أبي سفيان وصحبه . فقالوا : قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة فاخشوهم . فإنه لا طاقة لكم بهم . . فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

ما أجمل هذه الكلمة . « حسبنا الله ونعم الوكيل » وما أعظمها من سلاح ووقاية من كل ما هو مخوف . لقد كانت سلاحاً لإبراهيم ـ عليه السلام حين ألقى فى النار ، وكان سلاحاً للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه فى مجابهة الأعداء[١٢٦] . . وقد نجى الله كل من قالها وتسلح بها .

تعليق على قوله ـ تعالى ـ « فزادهم إيماناً »

---

(١٢٦) قال القرطبى : روى البخارى عن ابن عباس قال فى قوله ـ تعالى ـ : « الذين قال لهم الناس . . . إلى قوله تعالى . . . حسبنا الله ونعم الوكيل » : قالها ابراهيم الخليل عليه السلام حين ألقى فى النار ، وقالها محمد ﷺ ـ حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ، حـ٤ صـ٢٨٢ ط دار الكتب

هل الإيمان يزيد وينقص ؟

قال بعض العلماء : إنه يزيد وينقص من حيث الأعمال الصادرة عنه ، ولاسيما أن كثيراً من العلماء يوقعون اسم الايمان على الطاعات لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الإيمان بضع وسبعون بابا فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[١٢٧] » .

وفى حديث على ـ رضى الله عنه ـ « إن الايمان ليبدو لُمَظَة بيضاء فى القلب ، كلما ازداد الإيمان ازدادت اللُّمَظَة[١٢٨]

وبعضهم قال : إن الإيمان يزيد باعتبار دوام حضوره فى قلب المؤمن وينقص بتوالى الغفلات على قلب المؤمن ، وقال قوم : زيادة الايمان تكون بمعرفة الفرائض ، والعمل بها ، والمواظبة عليها ، ونقصه يكون بالجهل بها ، والتغافل عن العمل بها .

وقال القرطبى فى تفسيره : أن معنى قوله ـ تعالى ـ « زادهم إيماناً » أى زادهم قول الناس إيماناً أى تصديقاً ويقيناً فى دينهم ، وقوة وجراءة واستعداداً ، فزيادة الايمان هى فى زيادة الأعمال . وهو قريب مما سبق من أقوال العلماء[١٢٩] .

---

(١٢٧) أخرجه الترمذى ، وزاد مسلم « والحياء شعبة من الايمان

(١٢٨) اللمظة مثل النكتة ونحوها من البياض

(١٢٩) راجع تفسير القرطبى حـ٤ صـ٢٨٠ ط دار الكتب

النبى ﷺ يقضى على الظلم

ماكَرِهَ أحد من الناس الظلم كما كرهه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذى أرسله ربه ـ تعالى ـ منقذاً للمغلوبين ومنصفاً للمظلومين . .

لقد بلغه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن بـ ـ دومة الجندل ـ قوماً يَظْلِمون من مر بهم ويقطعون عليهم الطريق . .

ودُومة الجندل مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبعدها من المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة .

« ودومة الجندل » ـ بضم الدالة وفتحها .

وقال ابن القيم ، بضم الدال فقط ، أما بفتحها فمكان آخر باليمن . وقيل إنها سميت بهذا الاسم لأن دومى بن اسماعيل ـ عليه السلام . . نزل بها .

والذى أضاف إليها اسم الجندل أكيدر صاحب دومة الحيرة ، كان يزور أخواله من كلب ، فخرج معهم للصيد ، فرأوا مدينة متهدمة لم يبق الا حيطانها مبنية بالجندل ـ الصخور والحجارة ـ

فأعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون ، وسموها دومة الجندل تمييزا بينها وبين دومة الحيرة ، وكان أُكَيْدر يتردد بينهما[١٣٠] .

وأكيدر هذا . . هو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل الذى كتب اليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتابا بعد ذلك وأرسل إليه سرية مع خالد

(١٣٠) المواهب اللدنية حـ٢ صـ٩٤

بن الوليد ، وقال له : إنكم ستجدونه خارج الحصن يرعى البقر . فوجدوه فعلا كذلك واختلف فى أمر إسلامه ، وإن كان قد استقبل رسالة الرسول استقبالا حسنا ، وأهدى للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حلة من حرير ، فوهبها الرسول لعمر بن الخطاب(١٣١)

سبب الغزوة

كانت هذه الغزوة لخمس ليال بقين من ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا من هجرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أما سببها فهو كما قال الرواة : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلغه أن بهذا المكان جمعا يظلمون من مر بهم ـ فهم وقاطعوا الطريق سواء ـ شأنهم فى ذلك شأن قوم شعيب الذين ورد فيهم قوله ـ تعالى

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾(١٣٢)

فالقعود بالصراط إنما هو قطع للطريق على السابلة أن يسيروا أحرارا آمنين . بل كانوا يسمعونهم قوارص الكلام ، وربما اغتصبوا ما كانوا يحملون من متاع ، وربما صدوهم عن الذهاب إلى مقاصدهم .

---

(١٣١) اسد الغابة حـ١ صـ١٣٥

(١٣٢) الأعراف ٨٦

هكذا كان قوم دومة الجندل يفعلون . وقد نما إلى علم النبى - صلى الله عليه وسلم - أيضا أن هؤلاء القوم جمعوا جموعهم ويريدون الاقتراب من المدينة ، وهذا تهديد سافر للمسلمين وقضاء على هيبتهم ، وإطماع لغيرهم فيهم .

لقد كانت دومة الجندل أدنى بلاد الشام إلى المدينة ، ولعل وراء هذه التحركات المريبة تطلعات من قيصر الروم الذى يحكم بلاد الشام . . فلابد من القضاء على هذه التطلعات قبل أن تستفحل الأمور . . ولا يخفى أن الروم لم يكن يسرهم ظهور دعوة الاسلام ، بل اعتبروها عدوانا على نفوذهم .

خرج النبى - صلى الله عليه وسلم - فى ألف من أصحابه ، بعد أن استخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى .

وسار إلى هؤلاء القوم الذين روعوا الآمنين والمارين ، فكان يسير بالليل ، ويكمن فى النهار حتى لايشعروا به .

• وكان مع النبى - صلى الله عليه وسلم - دليل اسمه - مذكور - من بنى عُذرة وهو صحابى .

وحين دنا النبى - ﷺ - من هؤلاء القوم كان الخبر قد وصل إليهم ، فقذف الله الرعب فى قلوبهم وأسرعوا بالتفرق والهرب ، فأصاب المسلمون منهم كثيرا من الغنائم .

ونزل النبى - ﷺ - بساحتهم ، وأقام بها ، وبعث السرايا منها إلى جهات متفرقة لعلها تعثر على أحد منهم ، فلم تلق أحدا وعادت السرايا سالمة

واستطاع محمد بن مسلمة - وكان فى بعض السرايا - أن يقبض على رجل منهم ، واستاقه إلى النبى ﷺ فسأله النبى - صلى الله عليه وسلم - عن قومه .

فقال : لقد هربوا حين سمعوا بقدومك إليهم .

فعرض عليه الإسلام فأسلم ، وهذا أحد المكاسب الجليلة من هذه الغزوة . فقد أثر عنه - صلى الله عليه وسلم - قوله « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا أحب لك من الدنيا وما فيها »

وهناك كسب آخر حصل فى أثناء الرجوع من هذه الغزوة . . وهو أن النبى - صلى الله عليه وسلم - وادع عُيَيْنة بن حصن ، واسمه الحقيقى : حُذَيفة بن حصن - من بنى فزارة - أما عيينه فهو لقب أطلق عليه لأن مرضا أصاب عينه فجحظت .

وسمح له النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يرعى إبله وماشيته بمكان بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلاً لأن أرضه كانت قد أجدبت . . لقد عامله النبى ﷺ معاملة حسنة ، ولكن الاحسان عند بعض الناس لايجد الأثر الطيب الذى يجب أن يترتب هليه ، فسرعان ما تبدلت أخلاق هذا الرجل الذى أحسن النبى - صلى الله عليه وسلم - إليه ، فعض اليد التى

امتدت اليه بالاحسان ، فلم يلبث بعد أن سمنت إبله وقويت جوافره أن أغار على سرح النبى - صلى الله عليه وسلم -

فقيل له : بئس ما جزيت به محمدا - صلى الله عليه وسلم - أحلُّك أرضه حتى إذا سمن حافرك وخفك فعلت معه ذلك ؟

لقد كان أعرابيا جافيا . دخل على النبى - صلى الله عليه وسلم - مرة من غير إذن ، فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم - لِمَ لم تستأذن

فقال : ما استأذنت على أحد من مضر .

وكان يقال له : الأحمق المطاع ، فقد كان يتبعه عشرة آلاف فتى . . وقد أسلم يوم الفتح ، وشهد حنينا والطائف ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، وارتد بعد إسلامه ، وتابع طليحة الأسدى ، فأسر وحمل الى أبى بكر فكان صبيان المدينة يقولون له : يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك ؟

فقال : ما آمنت بالله طرفة عين . فهل هناك أحمق من هذا الرجل ؟ ولكنه أسلم مرة أخرى بعد ارتداده . . . وذلك على يد أبى بكر رضى الله عنه ، فأطلقه .

لقد أراد النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يأمن شر هذا الرجل وأن يكسبه هو ومن يتبعه ، فوادعه فى أثناء عودته من دومة الجندل ، لتكون موادعته كسبا للمسلمين ، ولكنها كانت موادعة مؤقتة ، لأن عيينه لم يف بما عاهد عليه . .

كان هذا الرجل قد ركب الشر فى طبعه ، فلم ينج من شره أحد حتى أقرب المقربين إليه .

فبعد أن أطلق أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ سراحه بعد عودته إلى الإسلام ، كان يتردد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ أثناء خلافته لينال منه العطايا ، وكان يقول :

إن عمر أعطانا فأغنانا .

ومع ذلك فإن عمر ـ رضى الله عنه ـ قد هم أن يبطش به يوما . . . . ذلك أنه دخل يوما مع ابن أخيه الحر بن قيس على عمر ـ رضى الله عنه ـ وكان الحر بن قيس برا صالحا ، ومن قراء القرآن .

وكان الحر قد قال لعمه : أخشى يا عم أن تتكلم بكلام لاينبغى أن تتكلم به أمام أمير المؤمنين ـ وذلك لما يعرفه من حمق عمه . . ولكنه وعده أن لايفعل .

فلما دخل قال : يابن الخطاب ، والله ما تقسم بالعدل ، ولا تعطينا الجزل .

فغضب عمر غضبا شديدا حتى هم أن يوقع به .

فقال ابن أخيه الحر بن قيس : يا أمير المؤمنين ، إن الله يقول فى كتابه العزيز

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[١٣٣]

وإن هذا من الجاهلية .

وكان عمر وقَّافا عند كتاب الله - عز وجل - فخلى عنه[١٣٤] .

المهم هنا أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قد عاد من هذه الغزوة بكثير من الفوائد ، وذلك بعد غيبة استمرت خمسا وعشرين ليلة ، ولعله جدَّ فى أثناء عودته فقطع الرحلة فى أيام أقل . وقيل إن هذه الغيبة استمرت شهرا وربما زاد قليلا[١٣٥] .

غزوة بنى المصطلق

ويقال لها غزوة « المريسيع » - بضم الميم وفتح الراء وسكون الياء مصغر مرسوع ، هو من قولهم : رَسَعت العينُ إذا دمعت من وجع . والمريسيع ماء لبنى خُزاعة وهم حى من الأزد .

وقد سبقت الإشارة إلى أنهم سُمُّوا خزاعة لأنهم انخزعوا عن قومهم - أى تخلفوا وأقاموا بمكة بعد تهدم سد مأرب .

وقيل لها « المصطلق » - بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء وكسر اللام - لقب لرجل اسمه جُذَيمة ، لُقِّبَ بذلك لحسنِ صوته . وهو جذيمة ابن سعد بن عمرو بن ربيعه بن حارثة ، وهم بطن من خزاعة . .

---

(١٣٣) الأعراف ١٩٩

(١٣٤) أسد الغابة جـ٤ صـ٣٢١

سبب هذه الغزوة

بلغ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق أجمع على حرب رسول الله ﷺ وحشد لذلك من قدر عليه من قومه ومن العرب .

وأراد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يستوثق من ذلك ، فبعث إليهم بُريدَة بن الحُصَيْب الذى كان قد أسلم فى أثناء هجرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتفاءل النبى باسمه .

أرسله لِيَعْلَم خبر هؤلاء القوم وحقيقة ما بلغه عنهم ـ فاستأذن بريدة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول ما يتخلص به من شرهم ، وإن كان هذا القول خلاف الواقع ، فأذن له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخرج بريدة حتى جاء إليهم ورأى جمعهم ـ فسألوه : من الرجل ؟

فقال بريدة : رجل منكم قدمت إليكم لما بلغنى جمعكم لهذا الرجل . فأسير فى قومى ومن أطاعنى ، فنكون يدا واحدة حتى نستأصلهم .

فقال له الحارث : فنحن على ذلك ، فعجِّلْ إلينا .

قال بريدة : أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومى .

فسر الحارث ومن معه بذلك .

وعاد بريدة ـ وقد استوثق من إعداد بنى المصطلق للحرب ـ وأخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما سمع ورأى .

فندب النبى - صلى الله عليه وسلم - الناس للخروج ، فلبوا سراعا ، وكان ذلك فى شعبان لليلتين خلتا منه سنة خمس من الهجرة ، وخرج مع النبى - صلى الله عليه وسلم - جمع غفير ، وكان فيهم عدد من المنافقين خرجوا طلبا للغنيمة ، ومعهم عبد الله بن أبى بن سلول رأسهم .

وكان فى الجيش الاسلامى ثلاثون فارسا ، عشرون أنصاريا ، وعشرة من المهاجرين .

واستخلف النبى - صلى الله عليه وسلم - على المدينة زيد بن حارثة ، وقيل : أبا ذر الغفارى . وقيل : نُمَيْلَة بن عبد الله الليثى .

وخرج مع النبى - صلى الله عليه وسلم - من نسائه عائشة وأم سلمة - رضى الله عنهما -

وسار الجيش الاسلامى فى طريقه إلى هدفه ، حتى بلغ مكانا به آبار ومزارع ، فنزل النبى - صلى الله عليه وسلم - فيه بأصحابه .

وبث العيون والأرصاد فأتوا له برجل من عبد القيس ، فسلم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فقال له النبى : أين أهلك ؟

قال : بالروحاء

فقال له : أين تريد ؟

فقال الرجل : إياك أريد ، جئت لأومن بك وأشهد أن ما جئت به حق ، وأقاتل معك عدوك .

وأحس النبى - ﷺ - الصدق فى حديث الرجل ، فقال له : الحمد لله الذى هداك إلى الإسلام .

وأراد الرجل أن يستزيد من العلم فقال للنبى - ﷺ - : يارسول الله ، أى الأعمال أحب ؟

فقال رسول الله - ﷺ - : الصلاة لأول وقتها .

فالتزم الرجل بذلك ، فكان يحرص على أن يصلى الصلاة لأول وقتها .

كما أسر المسلمون أيضا رجلا من المشركين كان الحارث قد وجهه عينا على المسلمين ليأتيه بخبر النبى صلى الله عليه وسلم - ويعرف عددهم وعدتهم .

وسأل الرسول - ﷺ - هذا الرجل عن قومه ، فلم يذكر من شأنهم شيئا .

فعرض عليه الإسلام ، فأبى أن يقبله ، وتناول الإسلام والمسلمين بالسوء . فأمر النبى - ﷺ - عمر بن الخطاب بضرب عنقه .

هروب الحارث

وعرف الحارث مسير النبى - ﷺ - إليه فى جيش كثيف ، فوقع الرعب فى قلبه ، وبخاصة بعد أن علم أن الرجل الذى أرسله ليستطلع الأخبار قد قتل . وتفرقت أكثر الجموع من حول الحارث .

وزحف النبى - ﷺ - بجيشه حتى انتهى إلى المريسيع ، فضربت له قبة من أدم .

ودفع النبى - ﷺ - راية المهاجرين إلى أبى بكر رضى الله عنه ، وقيل لعمار بن ياسر .

ودفع راية الأنصار لسعد بن عبادة .

وَصَفَّ المسلمين للقتال .

ولكن النبى - ﷺ - قبل أن يبدأ القتال أراد أن ينذرهم . فأمر عمر بن الخطاب أن يقول لهم : « قولوا لا إله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالك . . فأبلغهم عمر رضى الله عنه - ذلك فأبوا . .

وترامى الفريقان بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله - ﷺ - أصحابه أن يحملوا حملة رجل واحد . فحملوا فى ثقة ويقين . فما أفلت من الأعداء أحد ، وسقطوا جميعا بين قتيل وأسير وجريح . . . ذكر الرواة أنه قتل منهم عشرة

تقسيم الغنائم

وقسم النبى - ﷺ - الغنائم والأسرى بين المسلمين ، وهى غنائم كثيرة أنعم الله بها على المسلمين .

وكانت برة بنت الحارث سيد بنى المصطلق ضمن الأسرى .

وقد وقعت فى سهم ثابت بن قيس الأنصارى ، فكاتبها على تسع أواق من الذهب .

فدخلت برة على النبى - ﷺ - فقالت : يارسول الله ، إنى امرأة مسلمة ، وأنا أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله . وأنا برة بنت الحارث سيد قومه ، أصابنا من الأمر ما قد علمت ، وقد وقعت فى سهم ثابت بن

قيس وابن عم له ، وخلصنى ثابت من ابن عمه بنخلات له فى المدينة ، وكاتبنى ثابت على مالا طاقة لى به ، وإنى رجوتك فأعنى على ذلك .

فأدى عنها رسول الله - ﷺ - ما كاتبها عليه ثابت بن قيس . . . ولم تعد بَرّة بنت الحارث إلى قومها ، فقد أصبحت على الإسلام ، وهم على الكفر .

فطلبها رسول الله - ﷺ - للزواج ، فقبلت وفرحت بذلك .

وتزوجها النبى - ﷺ - وسماها جويرية

وحين علم الناس أن النبى - ﷺ - تزوج من جويرية بنت الحارث أطلقوا الأسارى من أيديهم وقالوا : أصهار رسول الله - ﷺ - قالت عائشة - رضى الله عنها - : « وخرج الخبر إلى الناس أنه - ﷺ - قد تزوج - جويرية - فقال الناس أصهار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسلوا ما بأيديهم . فلقد أعتق بتزويجها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها »[١٣٦]

رؤيا جويرية

قالت جويرية - رضى الله عنها - : رأيت قبل قدوم النبى - ﷺ - بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى ، فكرهت أن أخبر أحدا من الناس ، حتى قدم - ﷺ - فلما أسرنا رجوت الرؤيا ، فلما أعتقنى وتزوجنى والله ما كلمته فى قومى حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم من

---

(١٣٥) راجع المواهب اللدنية جـ٢ صـ٩٤ - السيرة الحلبية جـ٢ صـ٥٨١

(١٣٦) المواهب اللدنية جـ٢ صـ٩٧

أيديهم ، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر ، فحمدت الله - تعالى -

وهذه إحدى أوجه الحكمة من تزوجه - ﷺ - فما كان تزوجه من جويرية إلا لحكمة يعلمها الله - عز وجل - ، ورسوله - ﷺ - .

فقد أراد الرسول بهذا الزواج المبارك تأليف قلوب هذا الحى من العرب ، وتقريبهم إلى الإسلام . وقد رأينا أثر ذلك سريعا حين أطلق الأسارى فانطلقوا إلى الإسلام يعتنقونه

كيف أسلم الحارث ؟

ويقص الرواة علينا قصة إسلام الحارث بن ضرار والد جويرية فيقولون :

قدم الحارث إلى النبى - ﷺ - راغبا فى فداء ابنته ، حين علم أنها أسرت ، وكان قد هرب حين رأى غلبة المسلمين على قومه .

وعند العقيق نظر إلى الإبل التى قدم بها فى الفداء ، فأعجبه منها بعيران فخبأهما فى شعب من شعاب العقيق ، ثم أقبل على رسول الله - ﷺ - فقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهى كريمة لا تسبى وهذا فداؤها .

فقال له رسول الله - ﷺ - : فأين البعيران اللذان غيبتهما فى العقيق فى شعب كذا وكذا ؟[١٣٧]

---

(١٣٧) أسد الغابة جـ١ صـ٤٠٠

فقال الحارث : أشهد أنك رسول الله ، ما اطلع على ذلك إلا الله . ثم أسلم - وقيل : إنه أسلم قبل ذلك ، ولكنه لم يعلن عن هذا الإسلام إلا فى هذا الوقت .

وحين علم أن النبى - ﷺ - أعتقها وتزوجها سره ذلك . وفى رواية أن ذلك كان قبل زواجها ، وقد خيرها النبى - ﷺ - بين بقائها ورحيلها .
فقالت جويرية : أختار البقاء .
فقال لها أبوها : يابنية لا تفضحى قومك .
قالت : اخترت الله ورسوله . .

وقد وردت رواية أخرى فى الاستيعاب تذكر أن الذى جاء فى فداء أسرى بنى المصطلق هو عبدالله بن الحارث أخو جويرية ، وأنه خبأ فى الطريق ذودا من الإبل .

وكلم النبى - ﷺ - فى فداء الأسارى ، فقال له النبى - ﷺ - : نعم ، فما جئت به ؟
قال : ماجئت بشىء .
قال له : فأين الذود من الإبل الذى غيبت فى موضع كذا ؟
قال عبد الله : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، والله ما كان معى أحد ، ولا سبقنى إليك أحد . ثم أسلم .

ولعل عبدالله قد خطر له أن يسأل فداء قومه دون أن يدفع شيئا طمعا فى أن النبى - ﷺ - يجيبه إلى ذلك لمكان أخته عنده ، أو ربما يكون فى العبارة اختصار ، وأن الذود هو بعض ما كان قد جاء به من فداء ، ولكنه طمع فيه فغيبه فسأله النبى - ﷺ - عنه

لأنه يبعد أن يكون قد جاء فى الفداء بذود من الإبل فقط . وعلى أى فقد كان زواج النبى - ﷺ - من جويرية بركة على قومها كما قالت السيدة عائشة - رضى الله عنها .

وقد استل هذا الزواج سخائم الحقد من قلوب بنى المصطلق وأقبلوا على الإسلام بشوق ، وأدوا فرائضه وأركانه بإخلاص ، وكانوا يحرصون على تقديم زكاة أموالهم بانتظام .

والاستطراد هنا يدعونا إلى ذكر حادثه نزل فى شأنها قرآن يتلى .. وتتلخص تلك الحادثة فيما يلى :-

بعد عامين من غزوة بنى المصطلق أرسل النبى - ﷺ - الوليد بن عقبة بن أبى معيط لجمع صدقات بنى المصطلق . ولكنه عاد وأخبره بأنهم امتنعوا عن أداء الزكاة .. فأرسل النبى - ﷺ - خالد بن الوليد فأحسن التصرف وعاد يخبر بأنهم على الإسلام ... ولنترك الحارث نفسه يحدثنا عن قصة ذلك كما رواها ابن الأثير . قال الحارث : قدمت على رسول الله - ﷺ - فدعانى إلى الإسلام ، فدخلت فيه وأقررت به ، ودعانى إلى الصلاة فأقررت بها ، ودعانى إلى الزكاة ، فأقررت بها . فقلت : يارسول الله ، أرجع إلى قومى

فأدعوهم إلى الاسلام . وأداء الزكاة . فمن استجاب لى منهم جمعت منه الزكاة ، ثم ترسل إلىَّ رسولا ، من عندك فى وقت كذا ـ ليأتيك بما جمعت من الزكاة .

فلما جمع الزكاة ممن استجاب له وحان الوقت الذى حدده مع رسول الله ـ ﷺ ـ ليبعث إليه بمن يحمل الزكاة إلى رسول الله ، لم يأت ذلك الرجل .

فظن الحارث أن الرسول قد غضب منهم ، أو أخبر عنهم بشيء ما . فدعا كبار قومه فقال لهم : إن رسول الله ـ ﷺ ـ قد كان وقَّتَ لى وقتا ليرسل إلى برسول ، ليقبض ما كان عندى من الزكاة ، وليس من رسول الله ـ ﷺ ـ الخلف ، ولا أرى رسوله لم يحضر إلا لأمر ما . فانطلقوا فنأتى رسول الله ـ ﷺ ـ . . .

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ قد بعث ـ كما ذكرنا ـ الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى الحارث ليقبض ما كان عنده من الزكاة ، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق خاف فرجع ، فأتى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : يارسول الله ، إن الحارث قد منعنى الزكاة وأراد قتلى . . . فأرسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفدا إلى الحارث ـ وأقبل الحارث بأصحابه فقابل وفد رسول الله وقد فصل من المدينة ، فلما غشيهم قال :

إلى من بعثتم ؟

قالوا : إليك .

قال : ولم ؟

قالوا : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان بعث إليك الوليد بن عقبة ، فرجع إليه فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . فقال الحارث : لا والذى بعث محمدا بالحق مارأيته ولا أتانى . فلما دخل الحارث على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له رسول الله : منعت الزكاة وأردت قتل رسولى ؟

قال الحارث : لا والذى بعثك بالحق مارأيته ولاأتانى ، ولاأقبلت إلا حين تأخر علىّ رسولك ، فخشيت أن يكون هناك سخطة من الله تعالى ومن رسوله . .

عند ذلك نزل القرآن الكريم مصدقا ماقاله الحارث ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ (١٣٨)

وقد جاء فى كتب التفسير مايعزز هذه الرواية ويضيف اليها . فقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط . وسبب ذلك مارواه سعيد عن قتادة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث الوليد الى بنى المصطلق

---

(١٣٨) الحجرات ٦ : ٨ وراجع هذه القصة فى أسد الغابة جـ١ صـ٣٩٩

جامعا للصدقة ـ فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم لإحنة ـ عداوة ـ كانت بينه وبينهم فرجع الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام .

فبعث نبى الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولايعجل .

فانطلق خالد حتى آتاهم ليلا ، فبعث عيونه ، فلما جاءوا أخبروا خالدا أنهم متمسكون بالاسلام وأنهم سمعوا أذانهم وصلاتهم .

فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ماذكره عيونه الذين أرسلهم ، فعاد الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره . فنزلت الآية . . فكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « التأنى من الله والعجلة من الشيطان »

وفى رواية : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث الوليد إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم فلما سمعوا به ركبوا إليه فلما رآهم خافهم ، فرجع الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ، وأنهم منعوا الزكاة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزوهم . فبينما هم كذلك اذ قدم وفدهم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يارسول الله ، سمعنا برسولك فخرجنا اليه لنكرمه ، ونؤدى اليه ماقبلنا من الصدقة فانطلق راجعا ، وبلغنا أنه يزعم أنا خرجنا لنقاتله ـ والله ماخرجنا لذلك ـ فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية التى تصف الوليد بالفاسق[١٣٩]

---

(١٣٩) تفسير القرطبى ـ سورة الحجرات ـ تفسير ابن كثير جـ٧ صـ٣٥٠

الوليد وشرب الخمر

وصدَّقت الأيام وصف القرآن الكريم للوليد ، فقد ولاه عثمان ـ رضى الله عنه ـ الكوفة وعزل عنها سعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة ، والمعروف باستجابة الدعوة .

وحين ذهب ليتسلم عمله من سعد قال له سعد : والله ماأدرى أكِسْتَ ـ أى أصبحت كَيِّساً ـ بعدنا أم حمقنا بعدك ؟

فقال الوليد : لاتجزعن أبا إسحاق . فإنما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون .

فقال له سعد : أراكم ستجعلونها ملكا .

وكان الوليد أخا لعثمان ـ رضى الله عنه ـ لأمه

وأقبل الوليد على شرب الخمر فى الكوفة حتى انه شرب ليلة حتى مطلع الفجر ، فلما أذن المؤذن خرج الى المسجد ، وصلى بأهل الكوفة الصبح أربع ركعات ، ولما سلم قال : هل أزيدكم ؟

فقال له ابن مسعود ـ وكان حاضرا : لازادك الله خيرا . وحصبه الناس ـ أى رموه بالحصا ـ ومازالوا يحصبونه حتى دخل القصر وقال فيه الشاعر الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه	أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم	أأزيدكم ؟ سكرا ومايدرى

ولما شهد عليه الناس عند عثمان ـ رضى الله عنه ـ بشرب الخمر استقدمه ، وأمر بجلده .

جاء فى أسد الغابة : عن حصين بن المنذر الرقاشي قال : شهدت عثمان وقد أتى بالوليد ، فشهد عليه رجلان بأنه شرب الخمر . . . . . شهد أحدهما أنه رآه يشرب الخمر ، وشهد الآخر أنه رآه يتقيؤها .

فقال عثمان : لم يتقيأها حتى شربها ، وقال لعلى : أقم عليه الحد . فقال علىٌ للحسن : أقم عليه الحد .

فقال الحسن : وَلِّ حارَّها من تولى قارَّها .(١٤٠)

فأمر عبد الله بن جعفر بجلده ، فأخذ بجلده وعلىٌ يعد حتى بلغ أربعين فقال لعبد الله : أمسك ، جلد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الخمر أربعين ، وجلد أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ أربعين ـ وجلد عمر ـ رضى الله عنه ـ ثمانين ، وكل سُنَّة .(١٤١)

وعزل عثمان الوليد عن ولاية الكوفة ، وأعاد إليها سعد بن أبى وقاص ، فلما أراد أن يصعد المنبر أمر بغسله فغسل

وهكذا يصدق وصف القرآن فى الوليد .

---

(١٤٠) مثل يضرب ، ومعناه : ولِّ الجلد من يلزم الوليد أمره ويعنيه شأنه ، والقار ضد الحار .

(١٤١) راجع أسد الغابة حـ٥ صـ٤٥٢ ـ السيرة الحلبية حـ٢ صـ٥٩٣

عود الى غزوة بنى المصطلق

وقد حدثت جويرية ـ رضى الله عنها ـ عن بعض أخبار غزوة بنى المصطلق فقالت : لما أتانا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن على المريسيع ـ مكان الماء ـ سمعت أبي يقول : أتانا مالاقبل لنا به ، فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح مالاأصف من الكثرة .

فلما أن أسلمت ورجعنا وتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ جعلت أنظر الى المسلمين فرأيت أنهم ليسوا كما كنت أرى فعلمت أنه رعب من الله ـ تعالى ـ يلقيه فى قلوب المشركين كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ـ وعد منها ـ نصرت بالرعب مسيرة شهر . .

وذكر رجل من بنى المصطلق ممن أسلم وحسن إسلامه قال : لقد كنا نرى رجالا بيضا على خيل بلق ماكنا نراهم قبل ولابعد .

وهذا الخبر يدل على أن الملائكة كانت مددا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الغزوة .

وقد جعل الله الملائكة جندا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزواته وقد ذكر القرآن الكريم ذلك فى غزوات بدر والأحزاب وحنين . فقال فى غزوة بدر

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ (١٤٢)

---

(١٤٢) الأنفال ٩

وقال

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ (١٤٣)

وقال فى غزوة الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

وفى حنين قال :

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (١٤٥)

وليس معنى ذلك أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يؤيد بالملائكة فى غير هذه الغزوات فقد تعهد الله نبيه بالنصر والتأييد فى مختلف المواطن والمواقف .

هل قتل أحد من المسلمين فى هذه الغزوة :

ذكر الرواة أنه لم يقتل من المسلمين فى هذه الغزوة سوى رجل واحد هو

---

(١٤٣) الأنفال ١٢

(١٤٤) الأحزاب ٩

(١٤٥) التوبة ٢٦

هشام بن صبابة ـ رضى الله عنه ـ ولم يقتل بيد المشركين ، ولكن قتله بعض الأنصار خطأ ، فقد ظنوه من العدو .

وقدم أخوه مقيس بن صبابة من مكة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مظهرا الإسلام ومطالبا بديه أخيه ، فأرسل النبى معه زهير بن عياض الفهرى الى بنى النجار فقال لهم : ادفعوا دية هشام بن صبابة لأخيه ـ فجمعوا لمقيس دية أخيه . فلما صارت الدية اليه ، وثب على زهير فقتله وارتد إلى الشرك وقال فى ذلك أبياتا منها :

فأدركت ثارى واضطجعت موسدا وكنت إلى الأوثان أول راجع

وقد أهدر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دمه فقتل يوم فتح مكة(١٤٦)

دور المنافقين فى تلك الغزوة :

وكشر النفاق عن أنيابه وأعلن عن نفسه بصراحة وكأنه قد هاله انتصار المسلمين العظيم فى ذلك اليوم ، أو قد غاظه إطلاق الأسرى وإسلامهم بعد زواج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جويرية بنت الحارث . . . . . ذلك الزواج الذى كان بركة عظيمة على بنى المصطلق ، فردهم الى الحرية بعد الأسر . . . . . والنفاق دائما يلتمس الاسباب ليبث سمومه وينتهز الفرص للتعبير عن رأيه السيء . . وقد حدث أن اختصم أجير لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان يقود له فرسه ويقال له ـ جهجاه بن قيس الغفارى مع سنان بن وبر الجهنى وكان من حلفاء الخزرج .

---

(١٤٦) أسد الغابة حـ٥ صـ٤٠٠ ـ السيرة الحلبية حـ٢ صـ٥٩٤

وامتدت يد جهجاه الى سنان فلطمه أو دفعه ..

فنادى سنان قائلا : ياللأنصار ،

ونادى جهجاه قائلا : ياللمهاجرين ..

وهب كل فريق يلبى الدعوة مناصرا فريقه وأوشكت الفتنة أن تطل - حتى خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - مبادرا فقال : مابال دعوى الجاهلية ؟

وأُخبِر - صلى الله عليه وسلم - بما حدث فقال : دعوها فانها منتنة - أى دعوا التنادى بالعصبية المشئومة .

هذا فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سكن الفتنة . وحذر منها ، وقال : « من دعا بدعوى الجاهلية كان من محشى جهنم » أى ممن يرمى به فيها - قيل : يارسول الله ، وان صام وإن صلى وإن زعم أنه مسلم ؟

قال : وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم ..

لقد عاد المسلمون الى صوابهم وأقبلوا على المضروب فسكت عن حنقه وانتهى الأمر . . . . أما رأس النفاق ابن سلول فانه قد انتهز هذه الفرصة وأخذ يبث سمومه وأقبل على رهطه من المنافقين وكان عندهم زيد بن أرقم رضى الله عنه - فقال لهم : والله مارأيت كاليوم مذلة . نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، وأنكرونا ملتنا ، والله ماحالنا معاشر الأنصار مع جلابيب قريش الا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ، والله لقد ظننت أنى سأموت قبل أن

أسمع هاتفا يهتف بما سمعت ، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل - وهو يعنى بالأعز نفسه وبالأذل - النبى - صلى الله عليه وسلم -

ثم أقبل على أصحابه قائلا : هذا مافعلتم بأنفسكم . أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو امسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم . . . ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونهم ، فأيتمتم أولادكم ، وقل عددكم وكثر عددهم ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد . .

سمع ذلك زيد بن أرقم - رضى الله عنه - فأنهاه إلى النبى - ﷺ - أو ذكره لعمه أو لعمر فَنُقِل إلى الرسول - ﷺ - وقد كره رسول الله - ﷺ - هذا القول وتغير وجهه . .

قال زيد : فدعانى رسول الله - ﷺ - وقال لى : ياغلام لعلك غضبت منه فتقولت عليه .

فقلت : لقد سمعته منه .

قال : لعله أخطأ سمعك . .

وأقبل من حضر من الأنصار على زيد يلومه ، وقالوا له : عمدت إلى سيد قومك تقول عليه مالم يقل . .

ذلك أن النبى - ﷺ - كان قد استدعى عبد الله بن أبى - وجابهه بما قال . فحلف وجحد .. قال زيد : فما كان إلا أن لامنى فى ذلك كثير من الناس .

فوقع عَلَىَّ من جرأتهم مالم يقع على أحد ..

لقد كان النبى - ﷺ - واثقا من صدق زيد ، فهو لايستكثر على ابن أبى أن يقول هذا وأكثر منه .. ولكنه أراد أن يطفىء فتنة أوشكت أن تشتعل .

لقد جاء عمر بن الخطاب الى النبى - ﷺ - يقول له : ائذن لى أن أضرب عنق عبدالله بن أبىّ . فقال له النبى - ﷺ - : كيف ياعمر اذا تحدث النّاس بأن محمدا يقتل أصحابه ؟

فقال عمر : يارسول الله ، إن كرهت أن يقتله مهاجرى فمر به انصاريا فليقتله .

فقال النبى - ﷺ - ترعد له آذان وأنوف كثيرة بيثرب .

وجاء عبدالله بن عبدالله بن أبىّ للنبى ﷺ يقول له : يارسول الله ، إنه قد بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى - يعنى أباه - لما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فمرنى أن أحمل لك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ماكان بها رجل أبر بوالده منى - وانى أخشى أن غيرى يقتله ، فانظر الى قاتل أبى يمشى فى الناس . فأقتله ، فأكون قتلت مسلما بمنافق فأدخل النار .

فقال رسول الله - ﷺ - لا نقتله ، بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا .

وعالج النبى - ﷺ - هذه الفتنة بسرعة وحزم ، فحين فشا الحديث وأخذ الناس يتحدثون فيه أذن النبى - ﷺ - بالرحيل فى ساعة لم يكن يسير فيها - لشدة الحر .

فارتحل الناس ، وسار رسول الله - ﷺ - فجاءه أسيد بن حضير - رضى الله عنه - فقال : يارسول الله ، لقد رحلت فى ساعة شديدة ماكنت ترحل فى مثلها .

فقال له النبى - ﷺ - : أما بلغك ماقال صاحبكم ؟ فقال أسيد : اى صاحب يارسول الله ؟

قال النبى - ﷺ - : عبدالله بن أبى بن سلول .

قال : وماقال ؟

قال : زعم أنه إن رجع الى المدينة أخرج الأعز منها الأذل .

فقال أسيد : فأنت والله يارسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الأذل وأنت الأعز .

ثم قال : يارسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاء الله بك ، وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ملكا ، مابقيت عليهم إلا خرزة واحدة عند يوشع

اليهودى ، فهو يرى أنك استلبته ملكا كان سيحصل عليه .

لقد سار النبى ﷺ سيرا حثيثا متتابعا - سار يومه ذلك وليلته وصَدْر اليوم التالى حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فما أسرع ان مست جنوبهم الارض حتى ذهبوا فى نوم عميق . .

وانما فعل النبى - ﷺ - ، ذلك ليشغل الناس عما سمعوا من حديث . .

ولقد تأذى الأنصار مما سمعوا من مقالة عبدالله بن أبى التى نقلت للرسول - ﷺ - وقال له بعضهم : ياأباالحباب - وتلك كنيته - إن كنت قلت مانقل الى الرسول . فاذهب وأخبر به النبى - ﷺ - يستغفر لك ، ولا تجحد فينزل فيك قرآن يكذبك .

وإن لم تكن قلت فاذهب وانف عن نفسك هذا القول .

فحلف بالله أنه ماقال شيئا . .

وقال له النبى - صلى الله عليه وسلم - يابن أبىّ ، ان كنت قلت فتب .

فجعل يحلف ماقال . .

فقال الانصار : يارسول الله عسى أن يكون الغلام - يعنون زيدا - أوهم فى حديثه . .

فسكت رسول الله ﷺ

ضيق زيد وألمه

واشتد الضيق بزيد بن أرقم ، وأصابه شيىء لم يصبه قط ، واعتزل فى

بيته مهموما حتى قال له عمه : ماأردت حتى كذبك الناس وغضبوا منك .

ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يحتجب عن مصاحبة رسول الله ﷺ قال : فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ فى سفر قد خفقت برأسى من الهم ، إذ أتانى رسول الله - ﷺ - فأمسك أذنى وضحك فى وجهى . فما كان يسرنى أن ليس لى بها الخلد فى الدنيا .

ثم إن أبابكر لحقنى فقال : ماقال لك رسول الله ﷺ ؟

قلت : ماقال شيئا إلا أنه عرك أذنى وضحك فى وجهى .

فقال : أبشر .

ثم لحقنى عمر فسألنى .. فقلت له مثل قولى لأبى بكر .

فلما أصبحنا قرأ رسول الله - ﷺ - سورة المنافقين ..

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (١٤٧)

---

(١٤٧) سورة المنافقون ١ : ٣

لقد نزلت هذه السورة جملة واحدة ففضحت عبدالله بن أبي بن سلول ودمغته بالنفاق والشقاق . .

وكانت لسان صدق فى حق زيد بن أرقم ـ رضى الله عنه ـ وقد تحدثنا عن تلك القصة فيما سبق عند حديثنا عن المنافقين فى المدينة وذكرنا أن عبدالله بن عبد الله بن أبي ـ الإبن سبق الجيش ـ ووقف على باب المدينة .

فلما جاء عبد الله بن أبي الأب ليدخل ، حال ابنه بينه وبين الدخول ، وقال له : لاتدخل .

فقال له أبوه : ماتريد يالكع ؟

فقال الابن المؤمن فى ثقة ويقين : والله لاتدخل حتى تقر أنك الذليل وأن رسول الله ﷺ العزيز . أو حتى يأذن لك رسول الله ـ ﷺ ـ لتعلم من الأعز ومن الأذل ؟ أنت أم رسول الله ﷺ .

وظل هذا المنافق واقفا حتى جاء رسول الله ﷺ ـ فقال للابن : خل عن أبيك فخلى عنه . . قال بعض الرواة :

حين نزلت هذه السورة الكريمة ـ قال زيد بن أرقم ـ رضى الله عنه ـ رأيت رسول الله ﷺ يعرق جبينه الشريف ، وتثقل يدا راحلته ، فقلت : إن رسول الله ﷺ يوحى إليه ، ورجوت ان ينزل الله تصديقى . فلما سُرِّى

عن رسول الله ﷺ أخذ بأذنى وانا على راحلتى يرفعها إلى أعلى حتى ارتفعت عن مقعدى ، وهو يقول : وعت أذنك ياغلام ، وصدق الله حديثك وكذب المنافقين .

وفى رواية : هذا الذى أوفى الله بأذنه ، ونزل

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [١٤٨]

فكان يقال لزيد بن أرقم ـ رضى الله عنه : ذو الأذن الواعية[١٤٩] .

وأقبل الأنصار على عبد الله بن أبىّ يعنفونه ويعاتبونه . حتى قال النبى ﷺ لعمر ـ رضى الله عنه : كيف ترى ياعمر ؟ إنى والله لو قتلته يوم قلت لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته .

فقال عمر : قد والله علمت .. لأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم بركة من أمرى .

حكمة النبى فى علاج الامور

لقد ظهرت حكمة النبى ﷺ واضحة فى علاج هذه المشكلة وإطفاء الفتنة التى أطلت بقرنيها . وحاول الشيطان أن ينفخ فيها ليزيدها اشتعالا ، وفى

---

(١٤٨) الحاقة ١٢

(١٤٩) السيرة الحلبية جـ٢ صـ٦٠٣

الجيش منافقون كثيرون خرجوا يتصيدون فى الماء العكر ، ويبحثون عن شيء مثل ذلك ليقوموا به ويقعدوا .

ولكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يترك فرصة لكل ذلك . فأذن بالرحيل فى شدة الحر وسار بهم سيرا حثيثا متتابعا لم يترك لهم فرصة للراحة والتلبث حتى أعياهم السفر ، فلما نزلوا عن رواحلهم استغرقوا فى نوم عميق أنساهم ذلك الحديث . .

والكلمة الصغيرة تكبر بدورانها على الألسنة، فمايزال هذا يضيف اليها وذاك يعلق عليها حتى تتضخم وتصبح أمرا خطيرا ، وقديما قال الشاعر العربى الحكيم : « فان الحرب أولها الكلام » .

فلم يترك النبى ـ ﷺ ـ بحكمته الثاقبة المستقاة من نبع النبوة فرصة لتداول ماحدث بين المسلمين ، وأجهدهم فى السير حتى كادوا ينسون ماحدث .

وحين وصلوا الى المدينة واستقروا بها لم يحاسب الرسول المنافقين على مااقترفوه من قول ، بل ترك الأمر للسماء التى تولت إعلانه على الملأ ، فبرأت ساحة المسلم المخلص « زيد بن أرقم » بعد ان كادت أصابع الريبة تشير

اليه ، وألسنة الشر تتطاول عليه . وفضحت المنافق الآثم وأظهرت زوره وبهتانه وضلاله ، حتى انفض عنه من كان يلتف حوله ، وتخلى عنه من كان يدافع عنه . .

ويجب أن نلاحظ أن هذه الحكمة البالغة فى علاج ماينجم من مشكلات إنما هى مستقاة من معدن النبوة التى أتاها الله سيدنا رسول الله ﷺ .

« ومن الخطأ الفادح أن يعمد باحث فيحلل مثل هذه الصفات فى حياته - ﷺ - دون أن يربطها بمصدرها الأساسى الأول وهو النبوة والرسالة - وتلك خطة يختارها محترفو الغزو الفكرى لشغل المسلمين عن التأمل فى نبوته ﷺ ويتلقفها منهم أولئك الذين فاقوا القردة فى التقليد الأعمى[١٥٠] » .

إصرار على النفاق

وعلى الرغم من هذه الفضيحة الكبيرة التى دمغت رأس النفاق عبدالله بن أبى - وأخزته بين قومه فانه لم يقلع عن التمادى فى النفاق ، والامعان فى الشقاق .

فمازال قلبه يتنزى حقدا على النبى - ﷺ - ويتلظى كراهية وشرا ، ولقد كان بإمكان النبى - صلى الله عليه وسلم - قتله بعد نزول هذه السورة الدامغة ، ولكنه صبر وعفا ، كما كان يراعى مكانة ابنه التقى النقى ، لقد

---

(١٥٠) فقه السيرة - د. محمد سعيد رمضان البوطى صـ٢٢٢

كان ابنه عبدالله ـ وكان اسمه الحباب ـ فسماه النبي ـ ﷺ ـ عبدالله ـ كان آية في الصدق والاخلاص ، وقد علمنا كيف ذهب إلى النبي ﷺ يطلب منه أن يسمح له بقتل أبيه . ولكنه نهاه عن ذلك . وعلمنا كيف أثر رضا الله ورسوله على رضا أبيه ، فحال بين أبيه وبين دخول المدينة حتى يعترف بأنه هو الأذل ، وحتى يسمح له النبي ﷺ بالدخول .

وليس من شك في أن عبد الله الابن كان شديد الألم لموقف أبيه من الاسلام ، وكم كان يتمنى ويحرص على أن يبدل أبوه هذا الموقف العنيد ويستبدل به موقفا آخر فيه حب للاسلام وإقبال عليه ، وقد سلك الابن من الطرق ماظن أنها ربما تغير موقف أبيه . ذكر القرطبي عند تفسير قوله ـ تعالى :

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (١٥١)

(١٥١) المجادلة ٢٢

قال : نزلت هذه الآية فى عبدالله بن عبدالله بن أبى .

فقد جلس إلى النبى - صلى الله عليه وسلم ، فشرب النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال عبدالله : يارسول الله ألا أبقيت من شرابك هذا فضلة أسقيها أبى ، لعل الله يطهر بها قلبه ؟

فأفضل النبى - صلى الله عليه وسلم - فضلة ، فأتى عبدالله أباه بها فقال له أبوه : ماهذا ؟

فقال : هذه فضلة من شراب النبى - صلى الله عليه وسلم - جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها .

فقال له أبوه : فهلا جئتنى ببول أمك فانه أطهر منها !!

فغضب عبدالله الابن وجاء الى النبى - صلى الله عليه وسلم - وقال : يارسول الله ، أما أذنت لى فى قتل أبى ؟

فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - بل ترفق به وتحسن إليه وياليت الأمر وقف عند هذا الحد ، ولكنه تمادى الى أبعد من ذلك ، فكان من المروجين لحديث الافك الذى سنتحدث عنه الآن .

الحرب النفسية ضد المسلمين

- حديث الإفك .
- الوحي ينزل بالبراءة .
- صفوان بن المعطل .
- النبي يحد القاذفين .
- الصحابة يُسَرُّون عن النبي .
- عظات وعبر .

حديث الإفك

لم يقلع عبد الله بن أُبَيّ عن نفاقه ، ولم يتراجع عن شقاقه ، لم يتحرك فى نفسه وازع يرده إلى الله ورسوله ، ولم تثر فى داخله نخوة تذكره أن ما حدث منه عيب لا يليق بإنسان عنده ذرة من كرامة أو نفحة من مروءة . .

ولقد حاول معه أحد المقربين إليه أن يحمله على الذهاب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليستغفر له ، عسى أن يمحو الله عنه ذنبه ويكفر عنه سيأته ، واستغفار الرسول ﷺ من شأنه أن يمحو السيئات ويكفر الخطايا ، مصداقاً لقول الحق فى شأنه .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (١٥٢)

ولكنه أصر على موقفه ، ولوى رأسه ، وأبى إباء شديداً ، وكان كما صوره القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (١٥٣)

---

(١٥٢) النساء ٦٤ (١٥٣) المنافقون ٥ ، ٦

ولقد قرر تصعيد حملته ضد المسلمين ، بل فتح جبهة جديدة حاول أن ينال بها من شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

لقد رأى التفاف المسلمين حول رسولهم الكريم وتأييدهم القوى له ، بعد أن نزل القرآن الكريم فاضحاً موقف النفاق وأهله ، وبعد أن رأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يزداد كل يوم قوة أمام خصومه ، فها هو ذا يعود من غزواته المظفرة غانماً سالماً ، وكأن معركة أحد التى جُرح فيها واستشهد فيها سبعون من أصحابه لم تزده إلا قوة ومنعة ، ولم تزد أصحابه إلا يقظة وطاعة ، فليجرب سلاحاً جديداً علَّه يستطيع أن ينال به من قوة هذه الشخصية الطاغية التى استولت على قلوب الأوس والخزرج ، وجعلتهم ينفضون من حول زعيمهم الذى أوشك أن يتوج ملكاً على المدينة لولا حلول النبى ﷺ فيها .

إن أقوى سلاح يؤثر فى العربى أن يتناول الناس عرضه .. هكذا قال عبد الله بن أبَىّ فى نفسه .. وهذه حقيقة طالما أذلت الشرفاء ووضعت الأعزاء ..

فليتناول إذن عرض محمد ﷺ .. حقاً إنه سلاح رخيص ، ولكن الحقد الأعمى سول له استخدامه ..

وهل للمنافق ضمير يفرق به أنواع الأسلحة التى يستخدمها ؟
إنه يريد أن يهزم خصمه فحسب . أما نوع السلاح الذى يهزمه به فليكن ما يكون ..

وأعد نفسه لهذه الحرب الخسيسة .

وهيأت الظروف له فرصة إعلانها . .

فقد رأى صفوان بن المعطل السلمى - وهو صحابى جليل - يقود جملاً تركبه أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - ويدخل بها المدينة .

فقال عبد الله : من هذه ؟

قالوا : عائشة زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فقال الفاسق على الفور : فجر بها ورب الكعبة . .

وفى رواية : ما برئت منه ، وما برىء منها ، وصار يقول : انظروا ، امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت .

وأخذ يشيع ذلك فى المدينة ، ويتحدث به فى كل مجلس ويستمع إلى أثره ويستوشيه - أى يستخرجه بالبحث عنه . . وقد كذب هذا المنافق وافترى . . .

« سبحانك ربى هذا بهتان عظيم » . .

أما لماذا كانت عائشة - رضى الله عنها - فوق جمل صفوان . . فلذلك قصة ، نذكرها من أولها بلسان عائشة - رضى الله عنها - كما أوردها البخارى فى صحيحه :

قالت عائشة - رضى الله عنها - « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معه .

« قالت عائشة : فأقرع بيننا فى غزوة[١٥٤] غزاها فخرج فيها سهمى ، فخرجت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدما أنزل الحجاب ، فكنت أُحْمَلُ فى هودجى ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غزوته تلك ، وقفل راجعاً ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين أذنوا بالرحيل لبعض شئونى فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى ، فلمست صدرى ، فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت ألتمس عقدى ، فمكثت مدة أبحث عنه .

قالت : ورحل الجيش ، وحمل هودجى فرحل على بعيرى الذى كنت أركب عليه ، وهم يحسبون أنى فيه . وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يَهْبُلن[١٥٥] ولم يغشهن اللحم ، إنما يأكلن ما قل وخشن من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج ، حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن ، وسار الجمل مع الركب .

ووجدت عقدى ولكن القوم كانوا قد رحلوا ، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب ، فتيممت مكانى الذى كنت به ، وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلىَّ ، فبينما أنا جالسة فى مكانى غلبتنى عينى فنمت .

---

(١٥٤) هى غزوة بنى المصطلق التى نحن بصددها

(١٥٥) يهلبن : يسمن

وكان صفوان بن المعطل السُّلَمِى من وراء الجيش ، فأصبح عند مكانى ، فرأى سواد إنسان نائم ، فعرفنى حين رآنى ، وكان رآنى قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه[١٥٦] ، حين عرفنى ، فخمرت وجهى[١٥٧] ، والله ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، وهوى حتى أناخ راحلته ، فوطىء على يدها . فقمت إليها فركبتها ، فانطلق يقود بى الراحلة ، حتى أتينا الجيش موغرين[١٥٨] فى نحر الظهيرة وهم نزول . .

قالت : فهلك من هلك ، وكان الذى تولى كبر الإفك عبد الله بن أبى ابن سلول .

قالت : فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا ، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك ، لا أشعر بشىء من ذلك ، ويريبنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى ، وإنما يدخل علىّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيسلم ثم يسألنى عن حالى ثم ينصرف . فذلك يريبنى ولا أشعر بالسر . حتى نقهت ، فخرجت مع أم مسطح قِبَلَ المناصع ـ مكان كانوا يقضون فيه حاجتهم ـ وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن تتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا .

---

(١٥٦) لأنه حين رآها قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(١٥٧) أى وضعت عليه الخمار

(١٥٨) مسرعين ، ونحر الظهيرة : أولها . .

قالت : فانطلقت أنا وأم مسطح ـ وهى ابنة أبى رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب .... فأقبلت أنا وأم مسطح قِبَلَ بيتى حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت : تعس مسطح .

فقلت لها : بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟

فقالت : أو لم تسمعى ما قال ؟

قلت : وما قال ؟

فأخبرتنى بقول أهل الإفك ..

قالت عائشة : فازددت مرضاً على مرضى .

فلما رجعت إلى بيتى دخل علىَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فسلم ، ثم قال :

كيف تيكم ؟

فقلت له : أتأذن لى أن آتى أبوى ؟ ـ قالت : وكنت أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ـ فأذن لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فقلت لأمى : يا أمتاه ، ماذا يتحدث الناس ؟

قالت : يا بنية ، هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ، له أعداء إلا كثر القول عليها .

قالت عائشة : فقلت : سبحان الله ، أو لقد تحدث الناس بهذا ؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت ، لا يرقأ لى دمع ، ولا أكتمل بنوم ، ثم أصبحت أبكى .

قالت : ودعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين أبطأ الوحى يسألها ويستشيرهما فى فراق أهله .

قالت : فأما أسامة فأشار على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه .. قال أسامة : أهلك ولا نعلم إلا خيرا ، وأما علىٌّ فقال : يا رسول الله ، لم يضيِّق الله عليك والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك .

قالت : فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بريرة ، فقال : أى بريرة ، هل رأيت من شىء يريبك ؟

قالت له بريرة : والذى بعثك بالحق ، ما رأيت عليها أمراً قط ولا أعرف عنها إلا كل خير .

قالت عائشة - رضى الله عنها - : فقام النبى - صلى الله عليه وسلم - من يومه ، فوقف على المنبر فقال : يا معشر المسلمين من يُعْذِرُنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى ، والله ما علمت على أهلى إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرا ...

فقام سعد بن معاذ أخو بنى عبد الأشهل فقال : أنا يا رسول الله أعذرك ، فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

فقام رجل من الخزرج ـ وكانت أم حسان بنت عمه ـ وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، وكان رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يُقتل .

فقام أسيد بن حضير ـ وهو ابن عم سعد ـ فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه ، فلا تجادل عن المنافقين وإلا كنت مثلهم .

فثار الحيَّان : الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائم على المنبر .

فلم يزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهم حتى سكنوا وسكن .
قالت عائشة : فبكيت يومى ذلك كله لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم .
وأصبح أبواى عندى ، وقد بكيت ليلتين ويوماً .. حتى انى لأظن أن البكاء فالق كبدى .

فبينما أبواى جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت علىَّ امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكى معى ، فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ـ

صلى الله عليه وسلم ـ علينا ، فسلم ثم جلس . ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل . . وقد لبث شهرا لا يوحى إليه فى شأنى بشىء .

قالت : فتشهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين جلس ، ثم قال : أما بعد يا عائشة انه بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه .

فلما قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة . فقلت لأبى : أجب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما قال .

فقال أبى : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ
فقلت لأمى : أجيبى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ
قالت أمى : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فقلت ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً : إنى والله لقد علمت ـ لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إنى بريئة لا تصدقونى ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى ، فوالله لا أجد لى ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال :

« فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » .

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي . والله يعلم أنى حينئذ بريئة . وكنت على يقين من أن الله سيظهر براءتى ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله ـ تعالى ـ منزل فى شأنى وحيا يتلى ، فقد كنت أرى أنى أقل من أن يتكلم الله فىَّ بأمر ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى النوم رؤيا يبرئُنى الله بها ، فوالله ما رام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أُنزل عليه ، فأخذه ما يأخذه من البرحاء ، حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان ، وهو فى يوم شاتٍ ، وذلك من ثقل القول الذى أُنزل عليه .

قالت : فَسُرِّىَ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يضحك . فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال : يا عائشة ، لقد برَّأك الله . قالت : فقالت لى أمى : قومى إليه . فقلت : لا والله لا أقوم إليه ، فإنى لا أحمد إلا الله ـ عز وجل ـ

وأنزل الله ـ تعالى ـ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ

فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ (١٥٩)

---

(١٥٩) النور ١١ : ٢١

فقال أبو بكر ـ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قاله فى حق عائشة : فأنزل الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١٦٠)

قال أبو بكر : بلى والله ، انى لأحب أن يغفر الله لى .

فأرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قالت عائشة : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأل زينب بنت جحش عن أمرى ، فقال لزينب : ماذا علمت أو رأيت ؟

فقالت : يا رسول الله، أحمى سمعى وبصرى ، والله ما علمت إلا خيراً .

---

(١٦٠) النور ٢٢

قالت عائشة : وهى التى كانت تساميني من أزواج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعصمها الله بالورع . وطفقت أختها حمنة تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك[١٦١] .

هذا ما قصته السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ حول هذه الحادثة التى شغلت الرأى الاسلامى فى المدينة طوال شهر كامل ، كان فى خلالها عبد الله بن أبى بن سلول لا يكف عن العبث والترويج للفتنة والتشفى . .

وربما كان قد وجد بعض الآذان الصاغية له ، والألسنة المتجاوبة معه ، ولكن سواد المسلمين كانوا أمام هذه الشائعة بين غاضب لا يملك التنفيس عن غضبه ، أو معرض عن الخوض فيما يقال تأدباً مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو حزين لذلك التردى الذى وصلت إليه أخلاق المنافقين .

صفوان بن المعطل

أما صفوان بن المعطل الذى ذكره عبد الله بن أبىّ ، والذى حضرت عائشة ـ رضى الله عنها ـ على ناقته ، فهو من خيرة الصحابة وشجعانهم ، وكان يعهد إليه فى الحروب بساقة الجيش ، يتخلف عن الجيش ليلتقط ما يسقط من المتاع .

---

(١٦١) فتح البارى لابن حجر ـ كتاب المغازى ، الحديث رقم ٤١٤١ جـ ٧ صـ ٤٩٦

وقيل : إنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ، وهذا هو الذى أخره وكان صحابياً جليلاً حريصاً على الاستفادة من النبى - صلى الله عليه وسلم -

روى أبو هريرة قال : سأل صفوان بن المعطل السلمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إنى سائلك عن أمر أنت به عالم وأنا به جاهل .

قال : ما هو ؟

قال : هل من ساعات الليل والنهار ساعة تكره فيها الصلاة ؟

قال : نعم ، إذا صليت الصبح فدع الصلاة حتى تطلع الشمس ، فإنها تطلع بين قرنى شيطان ، ثم إن الصلاة متقبلة حتى تستوى الشمس على رأسك قيد رمح ، فإذا كانت على رأسك فدع الصلاة تلك الساعة التى تُسجر - توقد - فيها جهنم حتى ترتفع الشمس عن حاجبك الأيمن ، فإذا زالت فصل فالصلاة متقبلة محضورة - تحضرها الملائكة ، حتى تصلى العصر ، ثم دع الصلاة حتى تغرب الشمس .

فحرصه على الاستفادة من النبى - صلى الله عليه وسلم - يدل على حرصه أيضاً على الصلاة فى أوقاتها . وقد ظل صفوان مجاهداً طيلة حياته ، حتى مات شهيداً فى غزوة أرمينية سنة تسع عشرة فى خلافة عمر - رضى الله

عنه ـ وقيل : بل امتد به العمر حتى غزا الروم فى خلافة معاوية ، فاندقت ساقه ثم لم يزل يطاعن حتى مات سنة ثمان وخمسين .

وحين بلغه أن حسان بن ثابت كان من الخائضين فى حديث الإفك ذهب إليه فضربه بالسيف فجرحه وقال :

تلق ذباب السيف منى فإننى   غلام إذا هوجيت ليس بشاعر
ولكننى أحمى حماى وأشتقى   من الباهت الرامى البراءِ الطواهر[١٦٢]

فشكا حسان الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأهدر جرحه واستوهبه إياه . . . . . وهذا يدل على أن حسان كان ممن خاض فى ذلك الحديث .
وقيل : إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عوضه عن جرحه حائطاً من نخل .

النبى ﷺ يحد القاذفين

وبعد أن نزلت الآيات المبرئة لعائشة ـ رضى الله عنها ـ أقام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حد القذف ثمانين جلدة على الذين تولوا كبره . .

فقيل : إنه أقام الحد على عبد الله بن أبى ، ومسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش . وفى ذلك يقول أحد الشعراء المسلمين ـ فيما يذكره القرطبى :

---

(١٦٢) أسد الغابة جـ٣ صـ٣٠

لقد ذاق حسان الذى كان أهله	وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح
وابن سلول ذاق فى الحد خزية	كما خاض فى إفك من القول يفصح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم	وسخطة ذى العرش الكريم فأبرحوا[163]
وآذوا رسول الله فيها فَجُلِّلُوا	مخازى تبقى عُمِّموها وفُضِّحوا
فصُبَّ عليهم محصدات كأنها	شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح

وقال بعض العلماء : لم يحد النبى ـ ﷺ ـ ابن سلول ، لأن الله ـ تعالى ـ قد أعدَّله فى الآخرة عذابا عظيما ، فلو حد فى الدنيا لكان ذلك نقصا من عذابه فى الآخرة ، وتخفيفا عنه . . . . ومع أن الله ـ تعالى ـ قد شهد ببراءة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وبكذب كل من رماها ، فقد حصلت فائدة الحد ، إذ مقصوده إظهار كذب القاذف وبراءة المقذوف كما قال الله ـ تعالى ـ « **فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون** »

وإنما حُدَّ هؤلاء المسلمون ليكفر عنهم إثم ماصدر عنهم من القذف حتى لايبقى عليهم تبعة من ذلك فى الآخرة ، وقد قال ـ ﷺ ـ فى الحدود : « **إنها كفارة لمن أقيمت عليه** »[164] . . . .

---

(١٦٣) أبرحوا : جاءوا بأمر مفرط فى الاثم

(١٦٤) تفسير القرطبى ـ سورة النور ـ

لقد كان حسان بن ثابت شاعراً ، والشاعر يتقلب مع الأهواء والعاطفة أحيانا ـ حتى إنه مال إلى ابن سلول فى قضية جهجاه الغفارى التى سبق أن أشرنا إليه ، ولنقرأ معا ما قاله صاحب مهذب الأغانى فى ذلك :

قال : خرج رجل يقال له جهجاه الغفارى بفرس لرسول الله ـ ﷺ ـ وفرس له يسقيهما ، فأوردهما الماء ، فوجد على الماء فتية من الأنصار فتنازعوا فاقتتلوا . فبلغ ذلك حسان فقال ـ وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ فى الاسلام :

أمسى الخلابيس قد عزوا وقد كثروا   وابن القريعة أمسى بيضة البلد[١٦٥]
يمشون بالقول سرا فى مهادنة   تهدداً لى كأنى لست من أحد

فقال له النبى ـ ﷺ ـ وقد أغضبه كلامه : ياحسان نفست علىَّ إسلام قومى ؟

فغدا صفوان بن المعطل السلمى على حسان فضربه بالسيف ، وقال صفوان :

تلق ذباب السيف عنى فإننى   غلام إذا هوجيت لست بشاعر

---

(١٦٥) فى رواية : أمسى الجلابيب ويقصد به : الطارئين الذين ليس لهم أصل فى البلد ، وابن القريعة يقصد نفسه ، والقريعة : السيد واستعمل بيضة البلد فى الذم .

ـ وعلينا أن نتنبه إلى أن صفوان كان قد امتلأ غيظا من حسان ، فبينا حسان يتناول المهاجرين إذا به يخوض فى الإفك . فكان لابد من الانتقام منه ـ فلما ضربه صفوان وثب قوم حسان على صفوان فحبسوه ، ثم جاءوا سعد ابن عبادة فذكروا له ما فعل صفوان وما فعلوا ، فلامهم أن فعلوا ما فعلوا بغير أمر رسول الله ـ ﷺ ـ ودعا بصفوان وأرضاه .

وغضب رسول الله ـ ﷺ ـ على حسان وأعرض عنه ، فأقبل حسان على النبى ـ ﷺ ـ يستعطفه ، ويقول له : يارسول الله ، احفظ قولى :

هجـوت محمـدا فأجبـت عنه وعنـد الله فى ذاك الجـزاء
فـإن أبـى ووالـده وعرضـى لعـرض محمـد منكم وقـاء

فرضى عنه النبى ـ ﷺ ـ[١٦٦] .

وأراد حسان أن يكفر عن خطيئته فقال فى عائشة ـ رضى الله عنها ـ :

حصـان رزان ماتُزَنُّ بريبـة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل[١٦٧]
حليلة خير الناس دينا ومنصبا نبى الهدى والمكرمات الفواضل
عقيـلة حى من لـؤى بن غالـب كرام المساعى مجدها غير زائل

---

(١٦٦) مهذب الأغانى لمحمد الخضرى جـ ١ صـ ١٥٦

(١٦٧) الحصان : العفيفة ، الرزان : الوقور الثابتة ، تزن : تتهم ، غرثى : جائعة ، الغوافل : الغافلة ، يعنى بذلك أنها لاتخوض فى أعراض الناس

مهـذبة قد طـيب الله خيمها[168] وطهرها من كل شين وباطل
فإن كان مابُلِّغـتِ أنى قلتـه فلا رفعت سوطى إلىَّ أناملى
فكيف وودى ماحييت ونصرق لآل رســول الله زين المحـافل
له رُتَبٌ عال على الناس فضلها تقاصر عنها سورة المتطاول

أما مسطح بن أثاثة فلا تعليل لخوضة إلا الغفلة عن حق الإسلام أولا وحق القرابة ثانيا .

وقد كان يمت بصلة القرابة للنبى - ﷺ - .

ونسبه هو : مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف .

وأمه بنت أبى رُهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها خالة أبى بكر - رضى الله عنه -

فهو قريب للنبى - ﷺ - وقريب لأبى بكر - رضى الله عنه -

وبمقتضى هذا الحق كان يجب أن يعف عن الخوض وأن يكف غيره عنه .

وعلى كل فقد كفَّرت له بدرٌ أولا لأنه شهدها ، ثم الحد الذى أقيم عليه ثانيا -

وقد اعتذر عن نفسه قائلا : إنما كنت أغشى مجالس حسان فأسمع ولا أقول .

---

(١٦٨) الخيم - بكسر الخاء - الشيمة والطبيعة .

فقال له أبو بكر : لقد ضحكت وشاركت فيما قيل .

وأقسم أبو بكر أن يقطع صلته عنه ، فقد كان ينفق عليه لقرابته وحاجته فلما نزلت الأية « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة .... » عاد أبو بكر إلى وصله كما كان . بل أعطاه ضعف ما كان يعطيه ، وكفر عن يمينه ، استجابة لأدب القرآن ، ولقول النبى - ﷺ - : « من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه » ولنذكر هذه الطرفة فى هذا المقام لمناسبتها له :

منع ابن المقرى وهو من العلماء الأجلاء ولده النفقة تأديباً له على أمر وقع منه ، فكتب الابن إلى والده هذه الأبيات : -

لاتقطعنْ عادة بر ولا تجعلْ عقاب المرء فى رزقه
فإن أمر الإفك من مِسْطح يحط قدر النجم عن أُفْقه
وقد جرى منه الذى قد جرى وعُوتب الصِّدِّيق فى حقه

فكتب إليه والده يرحمه الله هذه الأبيات : -

قد يمنع المضطرُ من ميتة إذا عصى بالسير فى طرقه
لأنه يقوى على توبة تكون إيصالا إلى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه ماعوتب الصِّدِّيق فى حقه[169]

أما حمنة فهى بنت جحش بن رباب من بنى أسد ، وأمها أميمة بنت

---

(١٦٩) السيرة الحلبية جـ٢ صـ٦١٢

عبد المطلب عمة رسول الله - ﷺ - وكنيتها أم حبيبة .

فقد دفعها إلى الخوض فى الإفك حميتها على أختها زينب زوج رسول الله - ﷺ - وهى حمية لامبرر لها ، وغَيْرة لاسندلها ، فإن زينب - رضى الله عنها - وكانت هى الأحق بالغيرة من عائشة لم تخض فى الإفك . . . ولكنها قالت : ما علمت عنها إلاخيرا .

وعلى كل فقد كَفَّرت حمنة عن ذنبها بالحد ، والتوبة الصادقة .

الصحابة كانوا يحاولون التسرية عن النبى .

لقد اهتم النبى - ﷺ - من هذا الحديث ، مع تيقنه ببراءة أهله .

ولكنه اهتم وحزن ، لأن هذا الأمر يمس الدين كما يمس شرفه وعفته وعرويته . وكان لايقبل أن يتحدث الناس بمثل هذا الكلام فى حق غيره من الناس . فكيف يكون الحال إذا كان الحديث فى حق أهله المطهربن ؟ . . . . وكان أكثر مقامه - ﷺ - فى تلك الأيام فى البيت ، وكان أصحابه المقربون يدخلون عليه فيسرون عنه .

دخل عليه عمر - رضى الله عنه - فقال : يارسول الله ، أنا أقطع بكذب المنافقين وأَخَذْتُ براءة عائشة - رضى الله عنها - من الذباب ، لأن الذباب لايقرب بدنك فإذا كان الله قد صان بدنك أن يخالطه الذباب فكيف أهلك ؟

ودخل عليه - ﷺ - عثمان فقال له : يارسول الله . أَخَذْتُ براءة عائشة - رضى الله عنها - من ظلك ، إنى رأيت الله - تعالى - صان ظلك أن يقع على الأرض - لئلا يوطأ بالأقدام - فإذا صان الله ظلك فكيف بأهلك ؟

ودخل عليه على - رضى الله عنه - فقال له : أخذت براءة عائشة من شيء آخر - هو أنا صلينا خلفك وأنت تصلى بنعليك ، ثم إنك خلعت إحدى نعليك

وقلت إن جبريل - عليه السلام - أخبرنى أن فى تلك النعل نجاسة فإذا كان جبريل قد أخبرك بنجاسة نعلك فما بالك بأهلك ؟

وعن أبى أيوب الأنصارى - رضى الله عنه - أنه قال لزوجته أم أيوب : ألا ترين مايقال ؟

فقالت له : لوكنت بدل صفوان أكنت تهم بسوء لمحرم رسول الله - ﷺ - ؟

قال : لا .

قالت : ولوكنت أنا بدل عائشة ماخنت رسول الله - ﷺ - فعائشة خير منى ، وصفوان خير منك .

هذا ماوراه بعض العلماء وذكره الحلبى فى سيرته - من أقوال بعض أصحاب

رسول الله المقربين ، وهو مايليق بقوم أحبوا رسولهم - ﷺ - وودوا جميعا لو يفدونه بأرواحهم .

وهو يدلنا على أن القياس لم يكن بعيدا عن أصحاب رسول الله وهم أقوى الناس ملاحظة وأشدهم ذكاء .

دعاء الفرج

روى الدميرى فى كتابه حياة الحيوان . قالت عائشة - رضى الله عنها : لما خاض الناس فى الإفك ، رأيت فى منامى من يقول لى : مالك ؟

قلت : حزينة مما ذكر الناس

قال : ادعى بهذه يفرج الله عنك

قلت : ماهى ؟

قال : قولى : ياسابغ النعم ، ويادافع النقم ، ويافارج الغمم ، وياكاشف الظلم ، ويأعدل من حكم ، وحسيب من ظُلِم ، ويأول بلا بداية ، ويا آخر بلا نهاية ، اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا .

قالت : فقلت ذلك فانتبهت وقد أنزل الله الفرج

لقد كانت براءة عائشة - رضى الله عنها - آية للمسلمين لِتُعْلِمَهم قدر نبيهم ﷺ - ومنزلته عند ربه ، كما تعلمهم كذلك قدر أهل بيته - رضوان الله عليهم - الذين نزل فى حقهم قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »

وهكذا يدفع الله عن أحبائه - فكما دفع عن يوسف التهمة التى وجهت اليه بشاهد من أهل امرأة العزيز - وبرأ موسى من قول اليهود بأنه آدر ، وبرأ مريم بإنطاق ولدها فى المهد ، كذلك برأ عائشة بالآيات القرآنية الباقية أبد الدهر ، يتلوها الناس ويتعبدون بتلاوتها ، ويتأدبون بأدب القرآن فيقولون « سبحانك هذا بهتان عظيم » حين يسمعون الخائضين فى أعراض الناس بغير حق .

لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم

وبما أنه قد يأتى الخير مما يحسبه الناس شرا ، فإن حديث الإفك الذى قال الله فيه « **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم** » قد نجم عنه خير لعائشة - رضى الله عنها -

لقد أصبح هذا الحديث لسان صدق وطهر لها فى الدنيا ورفعة منازل فى الآخرة ، وفيه إظهار شرف لعائشة حيث أنزل الله براءتها فى القرآن العظيم الذى

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾(١٧٠)

---

(١٧٠) فصلت ٤٢

وفى ذلك تشييد لأمر هذا الدين الذى كانت عائشة ـ رضى الله عنها ـ من أكبر رواة سننه ، والسنة هى المصدر الثانى لتشريعات هذا الدين الحنيف .

قال ابن كثير : ـ « ولهذا لما دخل عليها ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وهى فى مرض الموت قال لها أبشرى ، فإنك زوجة رسول الله ـ ﷺ ـ وكان يحبك ، ولم يتزوج بكرا غيرك ، وأنزل الله براءتك من السماء .

وقال ابن جرير فى تفسيره : تفاخرت عائشة وزينب ـ رضى الله عنهما ـ فقالت زينب : أنا التى نزل تزويجى من السماء .

وقالت عائشة : أنا التى نزلت براءتى فى القرآن حين حملنى ابن المعطل على الراحلة

قالت لها زينب : يا عائشة ماقلت حين ركبتها ؟
قالت : قلت حسبى الله ونعم الوكيل .
قالت : قلت كلمة المؤمنين[171]

لقد كانت عائشة ـ رضى الله عنها ـ كثيرا ما تذكر نعمة الله عليها وتقول فى ذلك : لقد أعطيت تسعا ماأعطيتهن امرأة :لقد نزل جبريل بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله أن يتزوجنى ، ولقد تزوجنى بكرا وماتزوج بكرا

---

(١٧١) تفسير ابن كثير جـ ٦ صـ ٢٤ ط دار الشعب

غيرى ، ولقد توفى وإن رأسه فى حجرى ، ولقد قُبر فى بيتى ، وإن الوحى ينزل عليه فى أهله فيفرقون منه ، وإن كان لينزل عليه وأنا معه فلا أفرق وأبى - رضى الله عنه - خليفته وصديقه ، ولقد نزلت براءتى من السماء ، ولقد خلقت طيبة من طيب ، ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما »

وقد اكتسبت عائشة بتبرئة القرآن الكريم لها ميزة وفضلا زائدا على غيرها . . .

فقد برئت من فوق سبع سموات .

آية فى رحمة النبى وعفوه

وعلى الرغم مما حدث من ابن سلول ، من شقاق ونفاق وكيد لرسول الله - ﷺ - إلا أن النبى كان يرفق به كما ذكرنا - من أجل ابنه البار الصادق الذى شهد المشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ -

ولقد ابتلى هذا الابن بأبيه أكثر مما ابتلى به غيره . .

لقد جاء عبد الله الابن إلى النبى - ﷺ - حين مات أبوه ، فقال : يارسول الله ، أعطنى قميصك أكفنه فيه ، وصل عليه واستغفر له ، لعل الله يغفر له . . فأعطاه النبى قميصه . .

فلما أراد أن يصلى عليه قال له عمر - رضى الله عنه : أليس قد نهى الله - عز وجل - أن تصلى على المنافقين ؟

فقال النبى - ﷺ - أنا بين خيرتين : استغفر لهم أولا تستغفر لهم . . فصلى عليه . فأنزل الله - تعالى -

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [١٧٢]

فترك الصلاة عليهم [١٧٣] .

ماأحلمك يارسول الله ، ومارحمك بأمتك ، وماأنبل مشاعرك تجاه أصحابك .

عظات وعبر

لقد حفلت هذه الغزوة كما رأينا بكثير من العبر والأحداث .

فقد حاول المنافقون اختلاق الفتن بغية التأثير على جبهة المسلمين الداخلية ، فلما لم يفلحوا حاولوا اختلاق حديث الإفك للتأثير فى نفس النبى - ﷺ - وتشكيك المسلمين فى أخلاق زوجاته الطاهرات ، ولكن الله برأ ساحة أم المؤمنين عائشة وازداد التفاف المسلمين حول نبيهم ، كما ازداد انكشاف موقف المنافقين الذين أصبحوا موضع ريبة واضحة .

ولقد أثبتت هذه الشائعة شدة صبر النبى - ﷺ - فقد كانت هذه أعظم محنة تعرض لها ، والذى ضاعف من شدتها تأخر الوحى الذى سبب اضطرابا بين الناس ، فلو أن الوحى نزل بسرعة لكشف الحقيقة وفضح أكذوبة المنافقين ولقضى على قالة الناس فى حينها ، ولكن الوحى مكث شهرا أو يزيد فلم يتنزل حتى ثارت الشكوك . .

---

(١٧٢) التوبة ٨٤

(١٧٣) أسد الغابة ٣ / ٢٩٦

ولقد أثبت تأخر الوحى بهذه الصورة أن الوحى ليس طوع النبى - ﷺ - وإنما هو من عند الله يأتى به حسبما يشاء فى الوقت الذى يشاء وفى ذلك دليل على عصمته - ﷺ - وعلى أنه يتلقى من ربه مايفيضه عليه دون أن يكون له فى ذلك أدنى تدخل . .

وقد أشار إلى هذه الحقيقة الدكتور محمد عبد الله دراز حيث قال « ألم يرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة - رضى الله عنها - وأبطأ الوحى وطال الأمر والناس يخوضون حتى بلغت القلوب الحناجر ، وهو - صلى الله عليه وسلم - لا يستطيع الا أن يقول بكل تحفظ واحتراس : إنى لا أعلم عنها الا خيراً ؟

ثم إنه بعد أن بذل جهده فى التحرى والسؤال واستشارة الأصحاب ومضى شهر بأكمله والكل يقولون : ماعلمنا عليها من سوء ، لم يزد على أن قال لها آخر الأمر : ياعائشة أما إنه بلغنى كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله ؟[١٧٤]

وعلى الرغم من ثقة النبى - ﷺ - المطلقة فى صاحبته - رضى الله عنها - إلا أنه مع ذلك بشر تنتابه الأحاسيس التى تنتاب البشر ، ويهتز للمشاعر التى يهتز لها الناس ، فهو يغار كما يغارون - بل هو أشد غيرةً من سواه لتكامل شخصيته واستواء خلقته ، وكان تصرفه فى المحنة هو تصرف

(١٧٤) النبأ العظيم د محمد عبد الله دراز

الانسان السوى ، الذى يستنجد بمشورة أصحابه ويطلب الرأى منهم . . لذلك أقبل عليهم يستشيرهم ، كما أقبلوا عليه يطمئنونه ويخففون عنه .

ومما تشير إليه حادثة الإفك من عبر - تعليم المسلمين كيف يكونون مثلا عليا فى الأخلاق والتصرفات ، فيرتفعون فوق مستوى مايعتمل فى نفوسهم من إحن ، وينسون مايوجه إليهم من طعنات قاسية من بعض المحيطين بهم على الرغم من قدرتهم على الرد على ذلك .

فهذا أبو بكر - رضى الله عنه - طُعن من قريب له كان أبو بكر يعتبر نفسه مسئولا عنه ، ينفق عليه ضمن أهله وعياله ، ومع ذلك فقد عض هذا القريب تلك اليد التى تمتد بالاحسان إليه . ويقسم أبو بكر - كما يقسم الناس فى مثل هذا الموقف على أن يقطع معونته عن هذا الجاحد الذى لم يرع حق القرابة أو الصداقة أو الدين . .

ولكن الاسلام يوجه أبا بكر إلى غير هذا التصرف - لأن هذا التصرف إن صح من عامة الناس فانه لا يصح من الصدِّيق الذى وضعه القرآن بين ذوى الفضل . . . . وذوو الفضل قدوة عليا وقمة شامخة فى التغاضى عن الزلات ، والعفو عند المقدرة والاحسان إلى من يسىء . .

وهكذا نسى أبو بكر ما وجه إليه من مسطح ، ولم يكتف بذلك بل صفح عنه وعاود صلته بماهو أكثر وأعظم . .

● وبعد كل هذا ، وبعد أن فضح القرآن الكريم النفاق وأهله ، وارتد سهم النفاق إلى نحره . هل أقلع النفاق عن عادته في الشقاق ؟ وهل فتح صفحة جديدة نسي فيها كيده ورجسه . . ؟

هل بدأ في التكفير عن سيئاته والتوبة من جرائمه وآثامه ؟

أبداً إنه يبحث عن فرصة أخرى يجرب فيها دسائسه وينفث فيها سمومه ، ويستعرض فيها دخائله . .

ولاحت له هذه الفرصة في معركة الاحزاب .



غزوة الأحزاب

- دور اليهود في تجميع الأحزاب .
- حفر الخندق .
- المواجهة .
- المشركون يفاجأون بالخندق .
- محاولة تفتيت جبهة العدو .
- محاولات للهجوم .
- إصابة سعد بن معاذ .
- اليهود يتخلون عن المشركين .
- غزوة الأحزاب في القرآن الكريم .
- خوارق في غزوة الأحزاب .
- لماذا فشلت غزوة الأحزاب ؟
- دروس من الغزوة .



معركة الأحزاب

سميت بذلك الاسم لأن الأحزاب من أهل الكفر تجمعوا فى صعيد واحد ليستأصلوا شأفة المسلمين ـ كما زعموا ، وكما كانوا يرجون .

فقد اجتمع القرشيون فى أربعة آلاف مقاتل ، ومعهم ستة آلاف من بنى سليم وأسد وفزارة وأشجع وغطفان . ثم انضم اليهم يهود بنى قريظة فى عدد كبير . .

وتعاقد الجميع وتحالفوا على أن يفرغوا من قضية الاسلام نهائيا . . . وتوهموا أنهم سوف يذهبون إلى المدينة فى جمعهم هذا الذى لا مثيل له ، وأنهم لن يرجعوا الا وقد قضوا على محمد وصحبه واستولوا على المدينة ومن فيها ومافيها . . وبذلك يستريحون من ذلك الدين إلى الأبد .

كيف تجمع الأحزاب ؟

بعد أن أُجْلى يهود بنى النضير من المدينة ذهب بعضهم الى الشام ، وذهب بعضهم إلى خيبر .

وكان حُيَيّ بن أخطب ضمن الذين توجهوا إلى خيبر ، وقد انطوى قلبه على حقد دفين وعداوة شديدة للمسلمين .

فكوَّن وفدا من ذويه ـ منهم سلام بن مشكم ـ وكان عظيما فيهم ـ وكنانة بن أبى الحقيق ـ وكان رئيسا من رؤسائهم ـ وهوذة بن قيس ، وانضم اليهم أبو عامر الفاسق ، وتوجهوا الى مكة ، واجتمعوا مع أبى سفيان بن حرب ، وتشاوروا معه فى تكوين جيش كبير من القبائل العربية للانقضاض على

المدينة والتخلص من محمد وصحبه ، وقالوا لأبي سفيان : نحن معكم نؤازركم ونقف معكم ونمدكم بماتحتاجون اليه من سلاح وكراع .

رحب أبو سفيان بالعرض ، ووجدها فرصة سانحة للتخلص من العار الذى لحقه بسبب التخلف عن موعد بدر الصغرى . . . . . حيث ذهب النبى ـ ﷺ ـ والمسلمون معه ، وتخلف هو ومن معه . مع أنه هو الذى كان قد حدد الموعد .

وقال أبو سفيان لحيى ومن معه : مرحبا بكم رأهلا . إن أحب الناس الينا من أعاننا على محمد .

ووجدها أبو سفيان فرصة أيضا لسؤال هؤلاء النفر من أهل الكتاب عن دينهم ودين محمد . فقال : يامعشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم القديم ، أخبرونا عماأصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دين محمد ؟

قالوا : بل دينكم خير ، أنتم أهدى سبيلا ، وأولى بالحق منه ، إنكم تعظمون هذا البيت ، وتقومون على السقاية ، وتنحرون البدن ، وتعبدون ماكان يعبد آباؤكم .

فأنزل الله قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾(١٧٥)

وكأنَّ أبا سفيان أراد أن يزداد وثوقا بأن هؤلاء القوم لم يخدعوه فقال لهم : إنا لن نأمنكم إلا إذا سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن إليكم - ففعلوا - وهكذا باع اليهود دينهم فى سبيل أحقادهم . .

وليس ذلك غريبا عليهم فطالما جحدوا تعاليم دينهم وقتلوا أنبياءهم . .

وكما فعل اليهود مع قريش وتعاقدوا معهم ، أقبلوا على غطفان ففعلوا معها مثل مافعلوا مع قريش ، بل إنهم قالوا لهم : إنا سنكون معكم وإن قريشا قد بايعونا على ذلك ، وقد جعلنا لكم ولهم تمر خيبر سنة إن أنتم ناصرتمونا وخرجتم مع قريش لحرب محمد .

لقد كان هذا التلويح المادى كفيلا بأن يلوى عنق المترددين ، وبخاصة بعد أن نجح الوفد اليهودى فى إفهام قريش - وهى ذات تجارة واسعة - أن مركزها التجارى مهدد ، بل أصبح فى خطر داهم إذا استمر المسلمون فى وضعهم الراهن فى المدينة آمنين مستقرين .

ذلك أن قريشا كانت تسير آمنة إلى الشام ، ولكنها بعد موقعة بدر فقدت طريقها البرى ، واستعاضت عنه بطريق ساحلى ولكنها فقدته أيضا بالسرايا التى كان يبثها المسلمون بين حين وآخر . .

فقررت أن توطد تجارتها مع العراق والبحرين واليمن لتعويض مافقدته من تجارتها فى الشام .

---

(١٧٥) النساء ٥١ ، ٥٢

« ولكن الوفد اليهودى أوضح لقريش مقدار الخطر الذى ستتعرض له تجارة أهل مكة من جراء انتشار الاسلام ، فاذا وصل المسلمون إلى اليمامة فان تجارة قريش ستقتصر على اليمن ، لأن الطرق الى العراق والبحرين ستكون عندئذ فى أيدى المسلمين ، وإن مثل هذا التقلص فى التجارة سوف يكون ضربة اقتصادية لا يمكن لقريش أن تقوم لها قائمة بعدها[176] »

النبى يعلم الخبر

وكانت قبيلة خزاعة تميل الى النبى - ﷺ - فأقبل ركب منهم فى سرعة ، قطع المسافة فى أربع ليال فقط بين مكة والمدينة ، وأخبروا الرسول - ﷺ - بماحدث . فأخذ الأهبة لهذا الهجوم المتوقع .

واستشار النبى - ﷺ - كعادته أصحابه ، فقال لهم : هل نخرج اليهم ، أم نبقى فى المدينة انتظارا لهم ؟

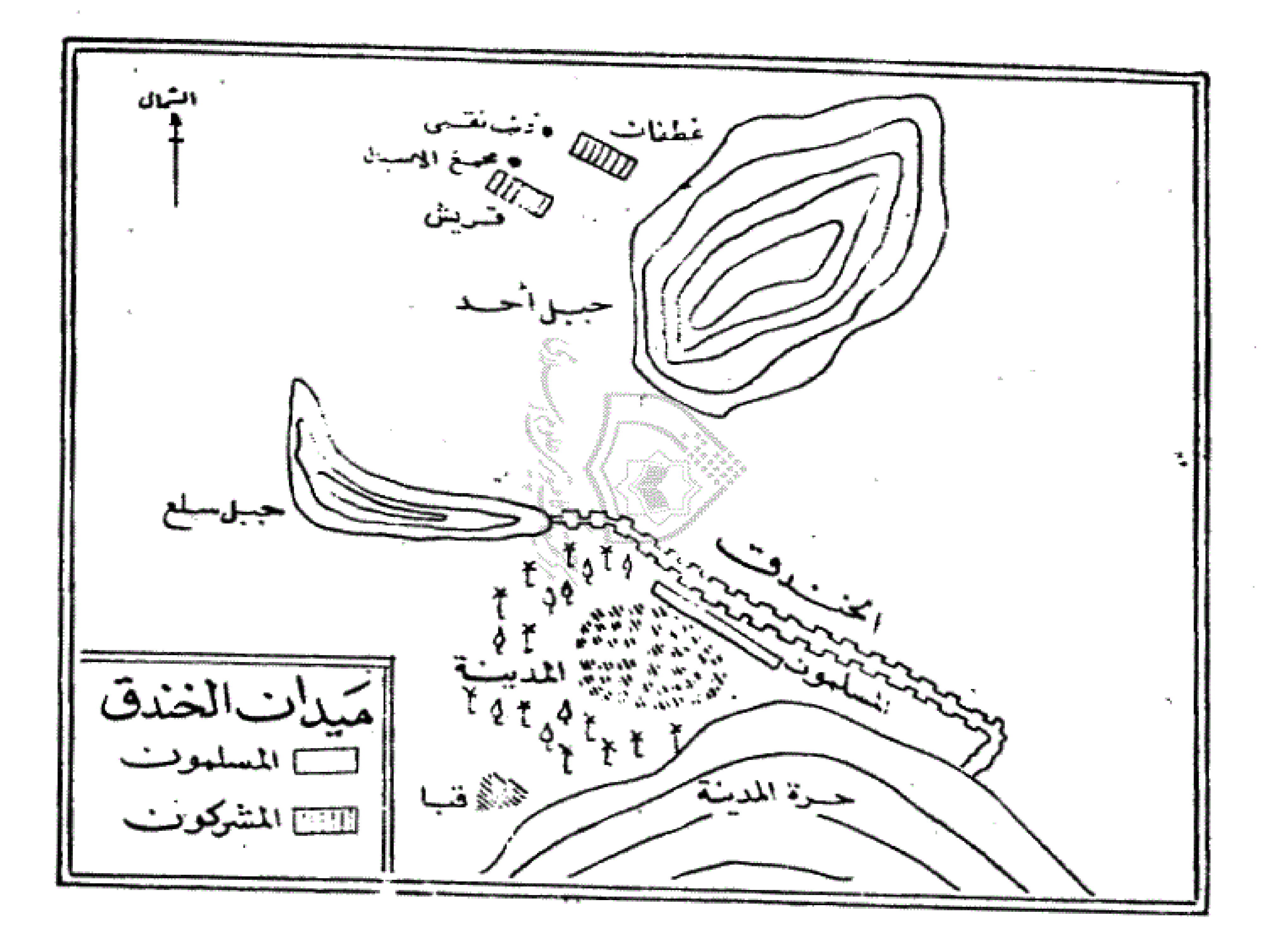
وهنا برز رأى سلمان الفارسى - رضى الله عنه - الذى قال : يارسول الله ، إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا . وأعجب النبى - ﷺ - وصحبه هذا الرأى فأمر بحفر الخندق .

حفر الخندق

قرر المسلمون إذن البقاء فى المدينة وأخذوا يحفرون خندقا عميقا يحيط بشمال المدينة ، ويقع بين حرة المدينة وجبل سلع لأن هذه هى المنطقة الوحيدة المكشوفة - انظر الصورة -

---

(١٧٦) خالد بن الوليد جنرال أ . أكرم صـ ٧٥



الشمال
ذنب نقمى
مجمع الاسيال
قريش
غطفان
جبل أحد
جبل سلع
الخندق
المسلمون
المدينة
قبا
حرة المدينة
ميدان الخندق
المسلمون
المشركون



أما بقية الجهات الأخرى فهى محاطة بالبساتين الكثيفة والحواجز الطبيعية الأخرى ، وذلك يحول دون إمكان إجراء القتال بقوات كبيرة فى أطراف المدينة عدا الشمالية منها . .

وقسم النبى - ﷺ - العمل بين أصحابه ، لكل عشرة منهم أربعون ذراعا ، وشارك النبى - ﷺ - بنفسه فى الحفر تشجيعا لأصحابه ، وحثا لهم على سرعة الفراغ منه .

وكان المسلمون يستعينون بالنبى - ﷺ - اذا واجهتهم صعوبة فى الحفر . كانت الأماكن الصلبة تصير بقدرة الله تحت معول النبى - ﷺ - كثيبا سهلا .

روى أصحاب كتب السيرة قالوا : واجهت الصحابة - رضى الله عنهم - فى حفر الخندق كدية صعبة شاقة ، فشكوا ذلك لرسول الله - ﷺ - فأخذ المعول وضرب فصارت كثيبا أهيل - أى رملا سائلا -

وروى أنه دعا بماء ، ثم دعا بماشاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية . فانهالت حتى عادت كالكثيب ماترد فأسا ولا مسحاة .

وحدث سلمان الفارسى - رضى الله عنه - فقال : ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت علىَّ ، ورسول الله - ﷺ - قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىَّ ، نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة نتفتت المكان وسهل عَلَىَّ .

وكان المسلمون يستعينون على العمل بالأناشيد الدينية الجميلة التى تهون العناء وتذهب الشقاء ، فقد كانوا يرددون قائلين :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا وان أرادوا فتنة أبينا

وهى أبيات لعبد الله بن رواحة ..

وربما شاركهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تلك الأناشيد التى تشجعهم على العمل ..

فقد ورد أن المسلمين كانوا يرتجزون باسم رجل من الصحابة اسمه جعيل ، فغير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اسمه فجعله عمرا . فكانوا يقولون :

سماه من بعد جُعَيْل عمرا وكان للبائس يوما ظهرا

فكانوا إذا قالوا عمراً قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : عمراً .
وإذا قالوا : ظهرا قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : ظهرا .
وكانوا يرددون أيضا قول ابن رواحة .

اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وربما شاركهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الترديد .
لقد تعب المسلمون تعبا شديدا فى حفر الخندق وتعب النبى ـ صلى الله

عليه وسلم ـ معهم حتى كان يحمل التراب على ظهره الشريف ، وحتى امتلأ جسمه بالتراب .

تباطؤ المنافقين

وكان كثير من المسلمين يتفانون فى العمل . ومن هؤلاء عمار بن ياسر الذى كان يحمل من الحجارة فوق ما يطيق ، فكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمسح رأسه ويدعو له .

ومنهم سلمان الفارسى الذى كان يعمل عمل عشرة رجال ، حتى لقد كان يحفر وحده فى اليوم خمسة أذرع فى خمسة أذرع ، حتى بلغ به النصب أقصاه وحتى تنافس فى نسبته إليهم كل من الأنصار والمهاجرين . فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت ، وهو شرف لسلمان ما بعده شرف . .

هذا فى الوقت الذى كان فيه المنافقون يتباطئون فى العمل ، ويلتمسون الأعذار للتملص منه ، وكانوا يتعللون بالضعف ، ويتسللون لواذاً راجعين إلى بيوتهم ، تاركين العمل الذى كلفوا به .

ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا يثيرون الشكوك حول جدوى الخندق فى الدفاع عن المدينة

ويسخرون من الوعود التى كان يبشر بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه ، من أنهم سيمتلكون مفاتيح كسرى وقيصر .

قال معتب بن قشير : ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم ،

وأنتم إنما تحفرون الخندق من الخوف لاتستطيعون أن تبرزوا ؟

وقد رد القرآن الكريم عليه وعلى أمثاله من اليهود والمنافقين والمشركين الذين لايثقون بوعد الله .. فقال تعالى :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١٧٧)

وقال عز شأنه ـ

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (١٧٨)

وصف الخندق

امتد الخندق من جبل « الشيخين » إلى « تل خباب » ومن هناك إلى جبل « بنى عبيد » وكانت جميع هذه التلال ضمن المنطقة المحمية بواسطة الخندق ،

ومن جهة الغرب كان الخندق يتجه جنوبا لتغطية المنطقة اليسرى غربي المنطقة المعروفة باسم جبل بنى عبيد . . .

---

(١٧٧) آل عمران ٢٦

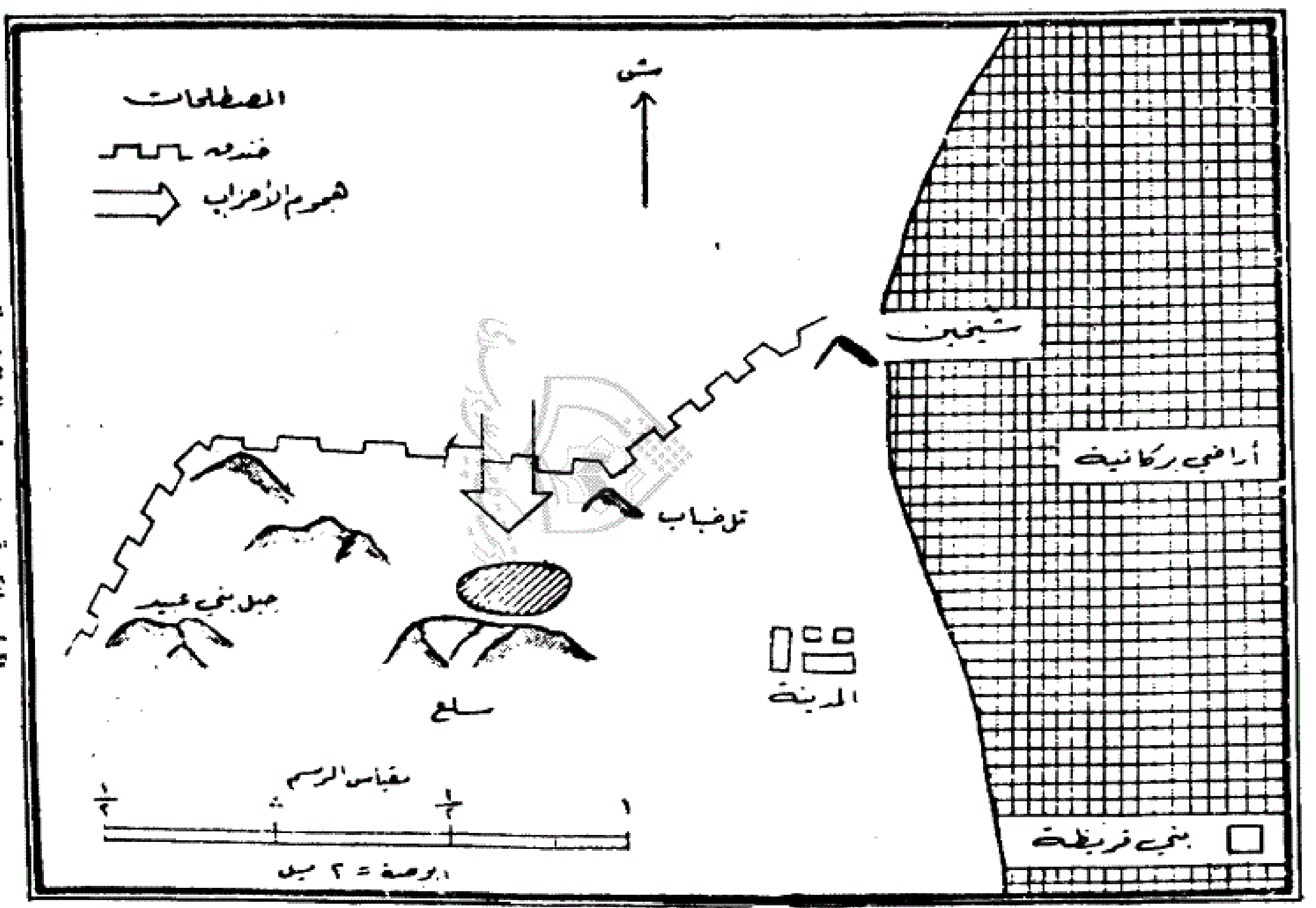
(١٧٨) النور ٥٥

أما إلى الشرق من « الشيخين » وجنوب غرب جبل « بنى عبيد » فتمتد أراض بركانية ، وكانت عبارة عن مناطق ذات أرض متكسرة غير مستوية ومغطاة بصخور كبيرة سوداء غير صالحة لتحرك عسكرى رئيسى ، وإلى الجنوب قليلا من منتصف الخندق كان يقف تل « سلع » المرتفع حوالى ٤٠٠ قدم ، والذى يبلغ طوله قرابة ميل واحد ، وبه نتوءات فى جميع الاتجاهات .

وقيل أيضا : إن الطرف الغربى للخندق كان ينتهى عند « مراد » وهذا صحيح لأن التلال الثلاثة الظاهرة تسمى أيضا مراد[١٧٩] ـ انظر الخريطة ـ



(١٧٩) هذا الوصف مستمد من كتاب خالد بن الوليد صـ ٨٧ والتلال الثلاثة هى : التلان الجنوبيان لجبل بنى عبيد والتل الموجود شمالها .



الخريطة رقم ٢ — غزوة الخندق

المواجهة

وأقبل المشركون بقضهم وقضيضهم فى عشرة آلاف جندى هدفهم القضاء على المسلمين والاستيلاء على المدينة وكان ذلك فى شوال من السنة الخامسة للهجرة .

وكان توزيع قوة المشركين فى قيادتها كالآتى : ـ

كان عدد قريش أربعة آلاف جندى بقيادة أبى سفيان بن حرب بن أمية .

وكانت قيادة غطفان لعيينة بن حصن الفزارى الذى قال عنه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأحمق المطاع . . وكان معه أيضا الحارث بن عوف .

وكانت قيادة أشجع لمسعود بن رخيلة وعدد قواته أربعمائة

وكانت قيادة سليم لسفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية وعدد قواته سبعمائة .

أما قوات بنى أسد فكان يقودها طلحة بن خويلد الأسدى . .

وكانت قيادة بنى قريظة التى نقضت عهدها مع الرسول ، لزعيمها كعب بن أسد ، يظاهره حيى بن أخطب النضيرى . .

وحين انتهى المسلمون من حفر الخندق ، أقاموا معسكرهم أمام جبل « سلع » مباشرة حيث كان الجبل إلى ظهرهم .

وكانت قواتهم الإجمالية ثلاثة آلاف مقاتل من بينهم المنافقون الذى لايعتمد عليهم فى قتال .

وكانت خطة النبى ـ صلى الله عنيه وسلم ـ أن تظل القوة الرئيسية معدة لضرب العدو فى أى بقعة يحاول العدو أن يتسلل منها عبر الخندق .

وجعل لحراسة الخندق مائتين من أصحابه الأشداء الأقوياء كانوا كالأوتاد . فى أماكنهم .

وخصص النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحراسة المدينة وقراها خمسمائة من أصحابه .

ووضعت النساء والاطفال فى الحصون والبيوت البعيدة عن جبهة القتال .

وكانت القيادة فى يد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

المشركون يفاجأون بالخندق

كان المشركون يمنون أنفسهم بعودة سريعة من هذه المهمة التى لن تستغرق فى نظرهم وقتا .

فماذا تجدى قوة المسلمين أمام هذا الجيش العرموم الذى يتحرق شوقا للقضاء على من فى المدينة واغتنام ما فيها ، ومعظم هذا الجيش من الأعراب الذين لاحياة لهم إلا النهب والسلب والإغارة ؟

لقد ظلوا طول وقتهم يسخرون من المسلمين ، ويتصورون هزيمتهم وربما رسم لهم خيالهم المريض أن المسلمين سوف يركعون أمامهم طالبين العفو والصفح ، وليس ببعيد أيضا أن يكونوا قد منّوا أهليهم ونساءهم بما سوف يعودون به إليهم من غنائم وحلى وأسرى . . . . وبدت لهم المدينة من بعيد بأسوارها ، فألهبوا ظهور خيولهم ورواحلهم إسراعا إليها . . . . . طلبا للغنيمة المرتقبة . .

ولم يجدوا فى طريقهم ما يعترضهم فازدادوا يقينا بقرب الحصول على ما يريدون .

واستحثوا أنفسهم وخيولهم أكثر وأكثر .

ويالهول المفاجأة التى وجدوها فى انتظارهم ..

لقد رأوا خندقا عميقا طويلا يحول بينهم وبين التقدم .

ووقفوا فى فزع وحنق وغضب ، وتبخرت أحلام اليقظة التى كانت تراودهم فى لحظة واحدة ..

لقد جاءوا وهم واثقون من نصر سريع مؤكد .. ولكن هذا الخندق وقف فى طريقهم شامخا يحول بينهم وبين التقدم .

وانفجر أبو سفيان فى غضب يقول : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

ماذا كنت تظن يا أبا سفيان ؟

هل كنت تظن أن الطريق إلى دخول المدينة سيكون مفروشا بالورود والأزهار . أو هل كنت تتوهم أن يقابلك الذين جئت لتقتلهم بالاستسلام

ما أشد جهلك إذن حين تتوهم أن المسلمين باتوا نياما وأنت تنسج لهم المؤامرات وتعد لهم الجيوش ، وتشحذ لهم السيوف والحراب .

لم يكن فى ذهن أبى سفيان أبدا أنه سيفاجأ بمثل هذا الذى فوجىء به ..

إنه يرى أمامه تخطيطا عسكريا متقدما ، وما كان يدرى أن الاسلام ضم بين صفوفه خبراء من مختلف الأقطار قلبوا موازين الخطط العسكرية وطوروا

نظم الحروب التقليدية ، فالإسلام يأبى الجمود ويأنف من التقليد ، وهو دين علم وعقل يأخذ بالعقل الإنسانى إلى الأمام . .

وبدت المهمة أمام الأحزاب شاقة .

ولم تعد المسألة مسألة نزهة كما كانوا يتوهمون . .

ولكنهم مع ذلك قرروا المجازفة ، وضربوا حول الخندق حصارا امتد طيلة ثلاثة وعشرين يوما . .

وكان هذا بالنسبة لهم إرهاقا عنيفا ، فهم لم يجيئوا معهم بالمئونة التى تكفيهم هذه المدة . لقد جاءوا وهم يعتقدون أن فى المدينة التى سوف تستسلم لهم مئونتهم وذخيرتهم . .

وقد حاولوا الهجوم على الخندق ولكنهم وجدوا فى انتظارهم نيرانا حامية تصليهم ، فارتدوا خائبين . .

كانت دورياتهم مستمرة تتحين ثغرة تنفذ منها إلى حيث تلتقى مع المسلمين فى الجبهة المقابلة . ولكن الخندق كان عميقا ، وعيون المسلمين يقظة ، وسهامهم جاهزة ، ورماياتهم مسددة . .

ولم تكن حالة المسلمين أفضل ، فقد كانوا يعانون أيضا من وطأة الجوع . ولكنهم استهانوا به . ولم يكن فى المدينة مخازن للطعام . ولكن روح التعاون هى التى كانت تسيطر عليهم . بل بركة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى كان لها أثرها فيما يقدم من طعام . فالقليل يصبح كثيرا .

أما الذى كان يهدد جبهة المسلمين حقا فهو موقف المنافقين ، لقد ظهر

تخاذلهم واضحا ـ كعادتهم ـ وارتفع صوتهم بالانتقاد والتشكيك ، وهذا واحد منهم يقول : كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ، وإن أحدنا اليوم لايأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

وبعضهم يقولون : إن بيوتنا عورة ، وهى عرضة للصوص وللعدوان فلنذهب لحراستها فهى أولى من الوقوف فى هذا المكان . .

ولكن المؤمنين الصادقين لم يعبأوا بضراوة الجوع ولابوطأة العدو ، بل ظلوا صامدين فى مواقعهم واثقين فى وعد ربهم ، ولهم فى رسول الله أسوة حسنة . .

وبعد مرور عشرة أيام من الحصار بدأ الموقف أمام الأحزاب ميئوسا منه وبدأ التذمر والتفكك يظهر فى صفوفهم ، واشتدت وطأة البرد عليهم وهم فى صحراء مكشوفة ، وليس لديهم من المئونة ما يكفى .

ونظر أبو سفيان إلى حيى بن أخطب الذى زين له هذه الرحلة وفرشها أمامه بالزهور . . نظر إليه نظرة ذات معنى . .

بنو قريظة ينقضون العهد مع النبى

تسلل حيى بن أخطب تحت جنح الظلام حتى طرق حصن كعب بن أسد زعيم بنى قريظة .

ولم تكن بنو قريظة إلى ذلك الوقت قد غيرت موقفها مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ودارت مناقشة بين حيى بن أخطب وكعب بن أسد ـ سبق أن تحدثنا عنها فى غزوة بنى قريظة ـ انتهت بنقض بنى قريظة العهد الذى كان بينها وبين النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ونما علم ذلك الى النبى فأرسل سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وخوات بن جبير للتأكد من ذلك ، فعادوا إليه وأخبروه بنقضهم العهد .

ولكن ذلك لم يفت فى عضد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل ازداد يقينا بنصر الله الذى وعده .

وتدخلت عناية الله لتفتيت جبهة الأحزاب ، وذلك بأن ساقت نعيم بن مسعود الذى جاء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسلما ، وقال للنبى : مرنى بأمرك .

فقال له : وماذا تستطيع ، إنما أنت رجل واحد ، إن استطعت فخذِّل عنا فإنما الحرب خدعة .

واستطاع نعيم بن مسعود أن يقوم بمهمة كانت لها نتائج طيبة ، فقد أفسد الجو بين اليهود والأحزاب . .

محاولة لتفتيت جبهة العدو

حين اشتد على الناس البلاء بعث النبى ـ ﷺ ـ إلى عيينه بن حصن والحارث بن عوف ، وهما قائدا غطفان . وعرض عليهما أن ينسحبا بجيوشهما فى نظير أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة .

لقد جاء هذان الرجلان إلى النبى - ﷺ - مستخفيين عن أبي سفيان . ورحبا بالعرض الذى عرض عليهما . .

وطلبا أن تكتب صحيفة بذلك ، فكتبت ، ولكن قبل توقيعها أرسل النبى - ﷺ - إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة - رضى الله عنهما - وذكر لهما ماحدث .

فقالا : يارسول الله ، أهذا أمر تحب أن تفعله ؟ أم هذا أمر من عند الله أمرت به فلابدمن العمل به ؟ أم هو شيء تصنعه لنا ؟

فقال النبى - ﷺ - لو كان ذلك أمرا من الله ماشاورتكما ، وماهذا شيء أحب أن أصنعه ، ولكنه شيء صنعته لكم . لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وجاءوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر شوكتهم إلى حين .

فقال سعد بن معاذ - رضى الله عنه - : يارسول الله ، قد كنا وهؤلاء القوم - يقصد غطفان - على الشرك وعبادة الأوثان ، لانعبد الله ولانعرفه ، وهم لايطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو بيعا ، وإن كانوا ليأكلون العِلهز(١٨٠) فى الجاهلية من الجهد . أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له ، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ، ونعطى الدنية ؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لانعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

---

(١٨٠) العلهز : وبر يخلط بدماء ثم يشوى بالنار كانت العرب تأكله فى الجدب وقيل : هو نبات ينبت ببلاد بنى سليم وقيل : هو القراد الضخم - لسان العرب -

فقال النبى - ﷺ - : أنت وذاك .

فأخذ سعد - رضى الله عنه - الصحيفة وشقها ومحا ما فيها من كتابة .

وقال النبى - ﷺ - لعيينة بن حصن والحارث : ارجعا ، بيننا وبينكم السيف رافعا بهذا صوته . وقال سعد : فليجهدوا علينا . .

المشركون يحاولون الهجوم

وحاولت طائفة من المشركين الهجوم من منطقة ضيقة استطاعوا اكتشافها ، وكان من المهاجمين عكرمة بن أبى جهل ، وهبيرة بن وهب زوج أم هانىء - أخت على بن أبى طالب - ، وضرار بن الخطاب أخو عمر - رضى الله عنه - وعمرو بن عبد ود . فارس العرب المشهور ، وكان العرب يبالغون فى وصف شجاعة عمرو بن ود ، وينسجون حوله الأساطير فيقولون : إنه يعدل خمسمائة فارس ، وإنه يستطيع رفع فرس بيديه ويلقيها على الأرض[١٨١] .

وتقدم هذا الفارس متحديا المسلمين قائلا : هل من مبارز ؟

فلم يجبه أحد . ولكن علياً خرج إلى النبى - ﷺ - ليأذن له فى مبارزته .

فقال له النبى - ﷺ - إنه عمرو بن عبد ود .

وكرر عمرو النداء متحديا المسلمين ساخرا منهم : هل من مبارز ؟

فطلب علىٌّ من النبى - ﷺ - أن يسمح له بمبارزته . فقال له النبى - ﷺ - : لا ، إنه عمرو بن عبد ود .

---

(١٨١) خالد بن الوليد صـ ٨٧

وأخذ عمرو بن عبد ود يقهقه ساخرا من المسلمين ، : أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا تبرزون لى رجلا ؟ وأخذ ينشد :

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز ؟

ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجز

وكذاك إنى لم أزل متسرعا قبل الهزاهز

إن الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

وهنا لم يستطع على - رضى الله عنه - صبرا ، وتقدم للنبى - ﷺ - طالبا أن يأذن له بمبارزته - فقال له : إنه عمرو بن عبد ود

فقال على : وإن كان عمرا .

فأذن له رسول الله - ﷺ -

وأعطاه سيفه ذا الفقار ، وألبسه درعه الحديد ، وقال : اللهم أعنه عليه .. وفى رواية قال : اللهم هذا أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين ..

فخرج علىٌ إليه وهو ينشد مجيبا إياه على ماأنشده سابقا :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب قولك غير عاجز .

ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز

إنى لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

---

(١٨٢) الروض الأنف للسهيل جـ٣ صـ٢٧٩

(١٨٣) المرجع السابق

ولنترك أحد القادة العسكريين يحدثنا عن هذا اللقاء الذى تم بين على وعمرو بن عبد ود .

قال : كان السيف الذى أعطاه النبى - ﷺ - لعلى ملكا لمشرك اسمه منبه ابن الحجاج قتل فى معركة بدر ، ووصل السيف إلى المسلمين ضمن الغنائم ، وأخذه النبى - ﷺ - ، وبعد أن أصبح هذا السيف بيد النبى صار أشهر سيف فى الإسلام .

وكان هذا السيف يسمى « ذو الفقار » وفيه المثل المشهور : « لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علىٌّ »

خرج على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فى نفر معه من المسلمين ، وسار باتجاه المشركين الذين يقتحمون الخندق ، ووقف النفر على مسافة من عمرو ، وتقدم علىٌّ إلى مسافة المبارزة منه .

كان عمرو يعرف عليا جيدا إذ كان صديقا لوالده أبى طالب ، فضحك عمرو لدى مشاهدته عليا ، مثلما يضحك الرجل من الصبى .

فنادى علىٌّ : ياعمرو ، إنك كنت قد عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه .

قال عمرو : أجل .

قال له على : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام - وكأن عليا - رضى الله عنه - كان يطمع فى إسلامه .

قال عمرو : لا حاجة لى بذلك .

قال على : فإنى أدعوك إلى النزال .

فقال عمرو : لم يابن أخى ؟ فوالله ماأحب أن أقتلك .

قال على : ولكنى والله أحب أن أقتلك .

فحمى عمرو بن عبد ود عند ذلك . . وأقبل على علىّ بن أبي طالب ، ويدأ القتال . . . . ضرب عمر عليا عدة ضربات ، ولكن عليا لم يصب بأذى .

كان يتلقى الضربة بسيفه أو بترسه ، أو يتحرك جانبا ليتفادى ضربات عمرو . وأخيرا بدأ عمرو يتراجع ويتفادى ضربات على .

وتعجب عمرو كيف يحدث هذا ؟ فهو لم يصمد أمامه أى رجل سبق أن بارزه هذا الصمود الطويل .

ثم تتابعت الضربات بسرعة ، واندفع علىٌّ كالسهم ، وبضربة بارعة أخلت بتوازن عمرو سقط عمرو على الأرض . وقد حدث ذلك كله فى ثوان .

وجلس علىٌّ على صدر عمرو وأخذ يضغط على عنق عمرو بشدة .

ويدأ الهمس يدور فى صفوف الجيشين ، وحبس الجميع أنفاسهم .

وتحول الارتباك البادى فى وجه عمرو إلى غضب ، فهو مستلق على الأرض . وفوق صدره هذا الشاب الصغير الذى يقل حجمه عن نصف حجم عمرو ، لكن عمرا لم ينته ، فهو مازال مصرا على كسب المبارزة واستعادة مركزه كمحارب فذ ، وهو سيلقى بهذا الفتى فى الهواء كورقة تذروها الرياح .

احمر وجه عمرو ، وانتفخت أوداجه ، وأخذت عضلات جسمه تهتز عندما ضغط عَلَىَ قبضة عليٌّ ليبعدها عن عنقه ، لكنه لم يستطع زحزحة قبضة عليّ قيد أنملة .

وهنا قال له على : اعلم ياعمرو أن النصر والهزيمة من عند الله ، وإنى أدعوك إلى الاسلام ، وبذلك لن تنجو من الموت فقط ، ولكنك ستكسب رضا الله فى الحياة الدنيا والآخرة .

ثم استل عليٌّ فى خفة خنجرا حادا من نطاقه ووضعه قريبا من عنق عمرو . لكن هذا كان فوق طاقة عمرو .

فهل عليه أن يعيش بقية حياته تحت ظل الهزيمة والعار ؟

لقد اعتبرته الجزيرة العربية واحدا من أعظم أبطالها فهل يرضى أن يقال عنه إنه قبل إنقاذ حياته فى مبارزة لقاء خضوعه واستسلامه لشروط خصمه ؟

كلا - إنه عمرو بن عبد ود عاش بالسيف وسيموت بالسيف .

كان عمرو رجلا شجاعا يستطيع أن يواجه الموت بدون وجل ، فقوس ظهره ورفع ذقنه ليقدم عنقه إلى عليّ .

لكن ماحدث إثر ذلك تركه فى حيرة شديدة . .

لقد نهض عليٌّ بهدوء من فوق صدر عمرو وقف على بضع خطوات منه وقال له :

اعلم ياعمرو أنى أقتلك فقط فى سبيل الله وليس لدافع آخر ، وبعد أن عرفت أنى قادر عليك فإنى أعفو عنك ، انهض وعد إلى قومك وفكر فى الإسلام .

ـ ما أعظمها من فروسية ، وما أنبله من موقف لعلى ، وما أكرمه من جهاد فى سبيل الله لا تسيطر عليه إلا المثل العليا والأهداف النبيلة . ونهض عمرو متخاذلا ، وتدبر موقفه جيدا . ما معنى رجوعه إلىٰ قومه خاسرا ؟

إنه يرغب أن يعيش منتصرا أو لا يعيش أبدا . .

والتقط سيفه فى محاولة أخيرة لإحراز النصر ، وهجم على علىٍّ فى سرعة عله أن يصيبه حين غرة .

ولكن عليا كان لديه الوقت الكافى لالتقاط سيفه وترسه والاستعداد لمفاجأة خصمه ، وتلقى ضربته . .

كانت الضربة التى سددها عمرو الآن وهو فى حالة من اليأس والغضب أشد ضربة فى المبارزة من أولها .

لقد حطم بسيفه ترس على ، لكنه لم يستطع أن يصيبه بأكثر من جرح غير عميق فى صدغه .

وكان هذا الجرح أقل من أن يزعج عليا ، وقبل أن يتمكن عمرو من رفع سيفه مرة أخرى كان ذو الفقار قد تلألأ فى ضوء الشمس وهوى على عمرو محدثا جرحا عميقا فى عنقه ، وتدفق الدم من عمرو كالنافورة .

ووقف عمرو لحظات دون حراك ثم بدأ جسمه يترنح كالثمل ثم انكفأ على وجهه جثة هامدة .

لم تهتز الأرض عند اصطدام هذا الجسد الضخم بها ، فالأرض ثابتة جداً ، لكن جبل سلع اهتز من صيحة « الله أكبر » . . التى انطلقت من

حناجر ألفين من المسلمين كانوا يرقبون المبارزة ، وسمع صدى صيحة النصر فى طول الوادى وعرضه ، قبل أن تهدأ فى قلب الصحراء .

عند ذلك انقضت مجموعة من المسلمين على الستة الباقين من قريش الذى اقتحموا الخندق مع عمرو بن عبد ود ، وحدث التحام سقط فيه شهيد من المسلمين وقتيل من المشركين ، وسقطت حربة عكرمة ، وتعثر نوفل بن عبدالله ـ وهو ابن عم خالد بن الوليد ـ فسقط فى الخندق فانهالت فوقه الحجارة من المسلمين فنادى : يامعشر العرب قتلة أحسن من هذه ـ فنزل إليه أحد المسلمين فقتله .. »[١٨٤]

لقد قال حسان بن ثابت واصفا هروب عكرمة وسقوط حربته :

فـر وألقـى لنـا رمحـه لعلـك عكـرم لـم تفعـل
ووليـت تعـدو كعـدو الظليـم مـا إن تجـور عـن المعـدل
ولـم تلـق ظـهرك مستأنسـا كـأن قفـاك قفـا فـرعل[١٨٥]

أما على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فقد تحدث عن انتصاره على عمرو بن عبد ود قائلاً :

فى أبيات منها :

ألا يفـر ولا يـهلل فالتقى رجـلان يلتقيـان كـل ضـراب
نصـر الحجارة مـن سفاهة رأيـه ونصـرت رب محمـد بصـوابى

---

(١٨٤) خالد بن الوليد صـ ٨٨

(١٨٥) سيرة ابن هشام جـ ٣ صـ ٢٦٣ ، والفرعل : صغير الضباع

فصـــدوت حيـن تركتـه متجـدلا كالجـذع بيـــن دكـادك وروابـــى
وعففـت عـن أثوابـه ولـو أننـــى كنـت المقطر بزّنـى أثوابـــى[186]
لا تحسبـن اللـــه خـــاذل دينـــــه ونبيـه يـــامعشر الأحــــــزاب[187]

لقد عف علىٌّ كرم الله وجهه - عن أن يسلب عمراً أثوابه وسلاحه . وقد قيل له فى ذلك - حين عاد إلى النبى - ﷺ - متهللا مشرق الوجه : لِمَ لَمْ تسلبه درعه فإنه ليس فى العرب درع خير منها ؟
قال له ذلك عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - .

فقال على : إنى حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت أن أسلبه .
وأرسل المشركون إلى النبى - ﷺ - يعرضون أن يشتروا جثة عمرو بن عبد ود بعشرة آلاف .
فقال لهم - رسول الله - ﷺ - : هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى .

إصابة سعد بن معاذ

وحدث تناوش بين المسلمين والمشركين . أصيب من خلاله سعد بن معاذ بسهم فى أكحله .
وقد روت عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - قصة ذلك . فقد كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ، وكانت أم سعد معها فى الحصن . قالت عائشة - فمر سعد وعليه درع له مقلصة

---

(١٨٦) الدكادك - أرض غليظة - والمقطر : القتيل ، وبزنى : سلبنى
(١٨٧) الروض الأنف جـ ٣ صـ ٧٩

وقد خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرقل بها ويقول :

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل   لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت له أمه : أسرع أى بنى ، فقد والله أخرت .

قالت عائشة : فقلت لها : يأم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مماهى .

قالت : وخفت أن يصاب فى الموضع الذى أصيب فيه .

وقد رُمِىَ سعد بن معاذ بسهم فقطع ، منه الأكحل ، رماه - كما حدثنى عاصم بن قتادة - حبان بن قيس بن العرقة - أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العرقة .

فقال له سعد : عرق الله وجهك فى النار . اللهم إن كنت قد أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحب إلىَّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا فاجعله لى شهادة ، ولا تمتنى حتى تقرعينى من بنى قريظة .[188]

وقد عرفنا فى قصة غزوة بنى قريظة . أن جرح سعد بن معاذ قد انفجر بعد أن كان قد اندمل ، وذلك بعد أن حكم فى قضية بنى قريظة .

يأس المشركين

طال الأمر على المشركين ونفدت مئونتهم ، ولم تُجْد الحيل التى احتالها لهم حيى بن أخطب فى جلب القوت لهم . فقد حَدَث أن طائفة من الأنصار

---

(١٨٨) سيرة ابن هشام جـ٣ صـ ٢٦٤

خرجوا ليدفنوا ميتا منهم بالمدينة ، فصادفوا عشرين بعيرا لقريش محملة شعيرا وتمراً حمّلها ذلك حيى بن أخطب تشديدا وتقوية لقريش ، فأتوا بها رسول الله - ﷺ - فوسع بها على أهل الخندق .

ولما بلغ ذلك أبا سفيان قال : إن حييا لمشئوم ، قطع بنا ، مانجد ما نحمل عليه إذا رجعنا .

وحاول خالد بن الوليد أن يفعل شيئا فى الحرب فلم يستطع ، فقد كرَّبطائفة من المشركين يطلب غرة للمسلمين ، فصادف أسيد بن حضير فى مائتين من المسلمين فناوشوهم ، وردوهم على أعقابهم .

لقد تحرك خالد بسريته الى الخلف وكأنه تخلى عن فكرته فى العبور وأدخل فى روع المسلمين فعلا أنه عدل عن فكرته فانسحبوا إلى الوراء ، ولكن خالدا كان قد هجم مرة أخرى بسريته - إلا أن المسلمين استطاعوا أنْ يوقفوا خالدا عند رأس الجسر الذى استطاع أن يحتله - ولم يتمكن من التقدم خطوة أخرى .

لقد كانت مقاومة المسلمين شديدة ، واستطاع أحد جنود خالد أن يقتل أحد المسلمين . ولكن ذلك لم يؤثر فى الموقف شيئا ، فقد ازداد إصرار المسلمين على المقاومة التى خشى خالد من نتيجتها فقرر الانسحاب ، وكان هذا آخر عمل عسكرى فى المعركة .

اليهود يتخلون عن المشركين

حاول المشركون الاستعانة بجبهة اليهود الداخلية لوضع المسلمين بين فكى الرحا . ولكن خطة نعيم بن مسعود التى سبق أن تحدثنا عنها أثناء

حديثنا عن غزوة بنى قريظة قد أفشلت خطة المشركين وأوقعت الخلاف والريبة فيما بينهم .

فقد ذهب وفد المشركين لبنى قريظة وقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه .

فأرسلوا إليهم قائلين : إن اليوم الذى يلى هذه الليلة هو يوم السبت ، وقد علمتم ما أصابنا من تعدى السبت ، ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا : سبعين رجلا منكم ، يكونون تحت أيدينا ، حتى لا تتخلوا عنا وتسلمونا إلى محمد وصحبه .

وهنا صدقت قريش ما قاله لهم نعيم بن مسعود من أن بنى قريظة نفضت يدها من قريش وحلفائها .

فقررت قريش العودة . .

جندالله

وكان النبى - ﷺ - قد أقبل على الله يدعوه على الأحزاب الذين روعوا المسلمين .

أخذ يقول : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم ، وانصرنا عليهم .

ويقبل على أصحابه يثبتهم ويقويهم قائلا :

يأيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإن لقيتم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف .

ثم عاد إلى الدعاء مرة أخرى فأخذ يقول :

يامغيث المكروبين ، يامجيب المضطرين ، اكشف همي وغمي وكربي ، فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي .

وقال المسلمون لرسول الله - ﷺ - : يارسول الله ، هل من شيء نقوله ، فقد بلغت القلوب الحناجر ؟

قال : نعم ، قولوا : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا . .

وهنا تدخلت السماء لنصرة جند الله ،

لقد استجاب الله لتضرع النبي - ﷺ - وأصحابه .

ونزل جبريل من السماء يبشر النبي - ﷺ - بالنصر ، ورأى النبي علامات ذلك ، فأخذ يبشر أصحابه ، ويرفع يديه إلى السماء قائلا :

الحمد لله

وكيف لا ينصر الله أولياءه الذين نصروا دينه ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله ؟

لقد تحملوا عناء الجوع الشديد الذي حل بهم بعد أن فنيت الأزواد ، ومع ذلك صبروا محتسبين ذلك عند الله - تعالى - فكان حقاً على الله أن يرفع عنهم هذا البلاء وأن يذهب عنهم الروع وأن يشتت جمع عدوهم .

أليس هو القائل :

« وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ؟

وأليس هو القائل

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » ؟

واستجابت السماء لدعاء النبى ﷺ والمسلمين فبعث الله البرد على العدو ، كما أرسل عليهم الريح ، وقذف فى قلوبهم الرعب . وفرق كلمتهم . .

وبلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختلاف كلمة العدو ، فقال من يأتينا بخبر العدو ؟

وكانت ليلة شديدة البرد شديدة الريح . ولكنها كانت فى جانب الكفار عاتية مزلزلة .

وكان المنافقون قد تسللوا لواذا فلم يبق منهم أحد قائلين : إن بيوتنا عورة . فحين قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من يأتينا بخبر القوم ؟ قال الزبير بن العوام : أنا . .

فسكت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم نظر إلى أصحابه مرة أخرى فقال : ألا رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ؟

فسكت القوم . . من شدة البرد والجوع . .

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أين حذيفة بن اليمان ؟

قال حذيفة : فلم أجد بداً من القيام حيث نطق باسمى .

قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحذيفة : عليك أن تأتى بخبر القوم .

فقلت : والذى بعثك بالحق ما سَكَتُّ إلا خوفاً من شدة البرد .

قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلىَّ .

فقلت : والله ما بى أن أقتل ، ولكن أخشى أن أوسر .

فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنك لن تؤسر ، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته .

قال حذيفة : فمضيت مطمئناً مستريحاً .

فلما ولَّيت نادانى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلا : لا تحدثن شيئاً لا ترم بسهم ولا حجر ، ولا تضربن بسيف حتى تأتينى .

قال : فجئت إليهم واقتربت منهم ، ودخلت فيهم والظلام شديد ، فسمعت أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ، ليتعرف كل منكم جليسه ، واحذروا الجواسيس والعيون .

فأخذت بيد جليسى عن يمينى وقلت : من أنت ؟ فقال : معاوية بن أبى سفيان . وقبضت يد من على يسارى وقلت : من أنت ؟ فقال : عمرو ابن العاص .

قال حذيفة : لقد فعلت ذلك خشية أن يفطن بى . . كان ذلك ذكاء منه ، فحين بدأ بسؤال من بجواره أكد لهم بأنه منهم وأنه يخشى أن يكونوا من جند المسلمين ـ

ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، والله إنكم لستم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ووثب على جمله قبل أن يحل عقاله ، لقد ركب جمله - من شدة العجلة - وهو معقول ، فلما ضربه وثب على ثلاثة قوائم ، فنزل ثم حل عقاله بعد ذلك .

فقال له عكرمة بن أبى جهل : إنك رأس القوم وقائدهم ، تذهب وتترك الناس ؟

فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله ، وأخذ بزمامه وهو يقوده ، وقال : ارحلوا .

فجعل الناس يرحلون وهو قائم .

ثم نظر إلى عمرو بن العاص وقال : يا أبا عبد الله ، تقيم فى مجموعة من الفرسان الخيل بإزاء محمد ﷺ وأصحابه فإنا لا نأمن أن نُطلب .

فقال : أنا أقيم .

وقال لخالد بن الوليد : ما ترى يا ابن الوليد ؟

فقال خالد : أنا أيضاً أقيم .

فأقام خالد وعمرو فى مائتى فارس ، ورحل جميع الجيش . .

قال حذيفة : لولا عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلىَّ حين بعثنى ألا أحدث شيئاً لقتلته . .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فارتحلوا كذلك .

وفى رواية : قال حذيفة : فدخلت العسكر فإذا الناس فى عسكرهم يقولون : الرحيل ، الرحيل ، لا مقام لكم .... والريح تشتد عليهم لا تجاوز عسكرهم .

قال حذيفة : ثم رجعت فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجدته قائماً يصلى . فخبرته ، فحمد الله - تعالى - وأثنى عليه .

قال : وعاودنى البرد ، فجعلت أنتفض ، فأومأ إلىَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدنوت منه ، فسدل عَلَىَّ فضل شملته ، فنمت ولم أزل نائماً حتى طلوع الفجر .

فلما أصبحت نادانى قائلاً : قم يا نومان ..

لقد كان حذيفة حكيماً فى مهمته .. وقد نفذ تعليمات النبى - صلى الله عليه وسلم - حرفياً - وقد عرف النبى - صلى الله عليه وسلم - عنه ذلك ولهذا اختاره على الزبير ، مع شجاعة الزبير وتلبيته وتزكية النبى - صلى الله عليه وسلم - له ، لأن الزبير - رضى الله عنه - كانت فيه حدة وشدة وقد لا يملك نفسه أن يحدث بالقوم ما نهى النبى - صلى الله عليه وسلم - عنه حذيفة .

لقد كانت الريح الشديدة هى جند الله التى قلعت الأوتاد وألقت عليهم الخيام وكفأت القدور ، وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصا لقد كانت الريح التى نصرت النبى - صلى الله عليه وسلم - هى الصبا ، التى قال فيها : نُصرت بالصَّبا ، وأهلكت عاد بالدبور ..

القرآن يتحدث عن هذه الغزوة

لقد نزلت سورة الأحزاب وفيها آيات تتحدث عن هذه الغزوة . . . منها ما يفضح موقف المنافقين المتخاذلين الذين لقى المؤمنون منهم أشد مما لقوا من كفار الأحزاب : ومن هذه الآيات : ـ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) ۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ

﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (١٨٩)

لقد صورت الآيات موقف المنافقين أدق تصوير . .

● فقد اعتبروا وعد النبى - ﷺ - أصحابه بالفتوح التى سوف تفتح عليهم - غرورا وباطلا .

● وحاول بعضهم مثل أوس بن قيظى وغيره الرجوع من جبهة القتال ، بحجة أنه لا موضع لهم فيها ، أو بحجة أن بيوتهم عورة - أى معرضة للسرقة ومكشوفة - وما هى بعورة . .

وقد اغتر هؤلاء بقول اليهود لهم : ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان وأصحابه ، فارجعوا إلى المدينة ، لتأمنوا على أنفسكم وتحموا بيوتكم . .

---

(١٨٩) الأحزاب ٩ : ٢٠

ولا صحة لجميع حجج المنافقين ، ولكنه الجبن والخوف من العدو ، والرغبة فى التخلى عن المعركة ، والنكوص بعهدهم مع رسول الله - ﷺ - حين عاهدهم على عدم الفرار من وجه العدو . ولو فهم هؤلاء لعرفوا أن الفرار لا ينجى من الموت .

● وكان عبدالله بن أبى بن سلول يحاول تثبيط المؤمنين عن المعركة وإعاقتهم عن الذهاب إلى جبهة القتال ، قائلا لهم : تعالوا إلينا وفارقوا محمدا فإنه هالك ، وإن أبا سفيان إن ظفر بكم فلن يبقى منكم أحدا .

حكى القرطبى فى تفسيره قال : انطلق رجل من عند النبى - ﷺ - فوجد أخاه يمسك بين يديه رغيفا وشواء فقال له : أنت فى هذا ونحن بين الرماح والسيوف ؟

فقال له أخوه : هلم إلىّ فقد أحيط بك وبأصحابك - والذى تحلف به لا يستقل بها محمد أبدا .

فقال : كذبت ، وذهب الرجل الى النبى - ﷺ - ليخبره فوجد جبريل قد نزل بقوله تعالى :

« قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا »

● لقد كان هؤلاء المنافقون أشحاء بخلاء جبناء فى ساحات الحروب . يتكلمون بألسنتهم فقط فى وقت السلم .

● ولقد بقى هؤلاء على خوفهم حتى بعد ذهاب الأحزاب ظنا منهم أن الأحزاب باقون فى مواقعهم حول المدينة .

وكم تمنوا أن لو كانوا مقيمين فى البادية بعيداً عن المدينة يسألون عن أخبار المسلمين ، ولا يتعرضون لغارات الأحزاب .

موقف المؤمنين

أما المؤمنون فقد وصفتهم الآيات الكريمة بما يليق بهم من الشجاعة والبطولة والكرامة والعزة والاقتداء برسولهم الكريم - ﷺ - قال تعالى :

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ (١٩٠)

أما المشركون فقد فروا دون أن يجنوا أية نتيجة أو ثمرة . . قال تعالى :

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ (١٩١)

---

(١٩٠) الأحزاب ٢١ : ٢٤

(١٩١) الأحزاب ٢٥

كما أشارت الأيات إلى نهاية بني قريظة وهلاكهم على يد المسلمين جزاء غدرهم ومظاهرتهم العدو ونقضهم العهد الذى أبرموه مع النبى - ﷺ - فقالت : -

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (١٩٢)

أمور خارقة للعادة فى غزوة الأحزاب

تعرض المسلمون فى هذه الغزوة لضراوة الجوع كما تعرضوا لكثرة الأعداء وغدر اليهود . وبذلك أصبحوا فى محنة قاسية عنيفة أحكم القرآن تصويرها حين قال .. « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً »

وقاوم المسلمون الجوع ببسالة فائقة ، وكانت شجاعتهم فى مقاومته أقوى من اليأس فقد فضلوا الموت جوعا على الاستسلام للمشركين ..

وهنا كانت تظهر بعض الأمور الخارقة للعادة التى تعين على مجابهة هذه الحالة - فكان هذا يعطى إشعاعا قويا فى نفوس المسلمين يشجعهم على الاستمرار فى مواقعهم دون شكوى .

ذكر الرواة أن ابنة لبشير بن سعد - وهى أخت النعمان بن بشير قالت :

---

(١٩٢) الأحزاب ٢٦ ، ٢٧

دعتنى أمى عمرة بنت رواحة ـ أخت عبدالله بن رواحة ـ فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى .

ثم قالت : أى بنية اذهبى إلى أبيك وخالك عبدالله بن رواحة بهذا التمر

قالت : فأخذتها فانطلقت بها ، فمررت برسول الله ـ ﷺ ـ وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال لى : تعالى يابنية ، ما هذا الذى معك ؟

قالت : قلت : يارسول الله . هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى : بشير بن سعد ، وخالى عبدالله بن رواحة يتغديانه .

قال : هاتيه .

قالت : فصببته فى كفى رسول الله ـ ﷺ ـ ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم بسط التمر عليه ثم قال لرجل عنده : ادع القوم ، أن هلم إلى الغداء ، فاجتمع القوم عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى أكل جميع من حضروا . .(١٩٣)

قال الحلبى فى سيرته بعد أن ساق هذا الخبر أيضا : لقد أصابت أهل الخندق مجاعة حتى قال بعض الصحابة : لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زاداً ، وربط النبى ـ ﷺ ـ الحجر على بطنه من الجوع .(١٩٤)

ومن الخوارق أيضا ما يقصه جابر بن عبدالله :

قال : لما حفر الخندق رأيت بالنبى ـ ﷺ ـ خمصا ـ جوعا ـ شديداً

---

(١٩٣) انظر من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ـ عبدالعزيز المحمد السلمان صـ ١٩ مكتبة دار التقوى

(١٩٤) السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٦٥٥

فانكفأت إلى امرأتى فقلت : هل عندك شيء فإنى رأيت برسول الله - ﷺ - خمصا شديدا ؟

فأخرجت إلىَّ جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن - صغار الضأن أو الماعز - فذبحناها وطحنت الشعير ، ثم وليت إلى رسول الله - ﷺ -

فقالت زوجتى : ادع رسول الله وواحدا أو اثنين معه فالطعام قليل لا يكفى لأكثر من ذلك .

قال جابر : فجئته ، فقلت سرًّا : يارسول الله ، ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك .

فقال النبى - ﷺ - : ياأهل الخندق ، إن جابرا قد صنع لكم طعاما . فهيا . قال جابر : فقال رسول الله - ﷺ - : لاتخبزن عجينكم حتى أجيء .

فجئت ، وجاء رسول الله - ﷺ - يقدم الناس . .

- وفزعت امرأتى من العدد القادم - فقالت : بك وبك(١٩٥)

قال جابر : فقلت : قد فعلت الذى قلت . .

- فلما عرفت أنه أخبر النبى - ﷺ - بالحال اطمأنت وسكن ما بها من جزع وخوف من الافتضاح بسبب قلة الطعام .

فأخرجت - للنبى - ﷺ - الطعام .

---

(١٩٥) بك وبك - كناية عن عبارات تفيد الثورة على زوجها لأنه جاء بكل هذا العدد الذى ليس هناك استعداد لاكرامه .

فقال - ﷺ - لرجل : ادع لى عشرة عشرة ، فجعلوا يدخلون ويأكلون وينصرفون ويدخل غيرهم - حتى أكل كل من حضر ويبقى عندنا طعام .(١٩٦)

كان لابد والحال هذه أن تتدخل عناية الله ورعايته لأوليائه ، وأن تظهر معجزات النبى - ﷺ - لتثبت أقدام المجاهدين فى سبيل الله ، وتطمئنهم إلى تحقق وعد الله لهم بالنصر ، وهذا من جملة قوله - تعالى - :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ ﴾(١٩٧)

ومن ذلك أيضا ما يروى أن أم عامر الأشهلية أرسلت بقصعة فيها حيس إلى رسول الله - ﷺ - وهو فى القبة التى ضربت له ، وعنده أم سلمة رضى الله عنها - فأكلت أم سلمة حاجتها ، ثم خرج النبى - ﷺ - بالقصعة ، ونادى مناديه : هلموا إلى العشاء .. فأكل الناس منها حتى شبعوا(١٩٨)

وأم عامر الأشهلية اسمها فكيهة وقيل : هى أسماء بنت يزيد بن السكن من بنى عبد الأشهل ، وهى من النساء المبايعات .

رسالة من أبى سفيان :

ذكر بعض الرواة أن أبا سفيان أرسل كتابا لرسول الله - ﷺ - عقب رحيله قال فيه : باسمك اللهم - فإنى أحلف باللات والعزى ، لقد سرت

---

(١٩٦) انظر السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٦٥٥

(١٩٧) الأحزاب ٩

(١٩٨) السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٦٥٦

إليك فى جمع وأنا أريد أن لا أعود ، أبدا حتى أستأصلكم ، فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بمكيدة ماكانت العرب تعرفها ، وإنما تعرف العرب الرماح والسيوف ، ومافعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ، ولك منى يوم كيوم أحد .

فكتب إليه النبى - ﷺ -

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد من محمد رسول الله إلى أبي سفيان صخر بن حرب فقد أتانى كتابك ، وقديما غرك بالله الغرور ، أما ذكرت أنك سرت الينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة ، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى ونائلة وهبل ..[199]

لقد قال النبى - ﷺ - عقب موقعة الأحزاب : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا » .

وروى البخارى عن سليمان بن صرد : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول حين أجلى الأحزاب عنه : الآن نغزوهم ولايغزوننا ، نحن نسير إليهم وفى ذلك علم من أعلام نبوته[200]

لما فشل الأحزاب ؟

ينظر العسكريون إلى المعارك دائما نظرة تقيس الأمور بالأسباب

---

(١٩٩) السيرة الحلبية جـ ٢ صـ ٦٥٧

(٢٠٠) المواهب اللدنية للقسطلانى جـ ٢ صـ ١٢٦

والمسببات ، ويحللون المواقف ويستخلصون أحكامهم بناء على هذا التحليل . . . .

وهم يقولون فى ضوء دراستهم لمعركة الأحزاب ان أسباب فشل الأحزاب يرجع إلى ماياتى :

● لم تكن للأحزاب قيادة موحدة تستطيع السيطرة على جميع القوات المتجمعة وتوجيهها للعمل الحاسم فى الوقت الحاسم .

فقد كان لكل قبيلة قائد بل أكثر من قائد ، ولم يستطع هؤلاء القادة تنظيم خطة موحدة للهجوم على المسلمين ، وقد كان من المستحيل اتفاقهم على قائد منهم ليسيطر على الجميع ، لأن هذا القائد سينال شرفا عظيما يمتاز به على الآخرين ، ولا يمكن للآخرين أن يرضوا بهذا الامتياز .

لقد كانت النعرة الجاهلية لا الهدف المشترك هى التى تسيطر على القيادة .

● ومن ذلك أيضا مباغتة الأعداء بحفر الخندق ، ولم يكن العرب على دراية بمثل هذا الأسلوب فى القتال ، ولذلك لم يضعوا فى خطتهم مايمكن أن يواجهوا به هذا الموقف لو حدث .

● تقلبات الجو . . والعسكريون يقولون : إن موسم القتال كان شتاء ، وكان الأحزاب فى العراء يعيشون فى غير مواطنهم التى يستفيدون فيها من موادهم المتسيرة عندهم للتدفئة والاعاشة وللسكنى .

هذا مايقوله العسكريون بشأن الطقس . أما القرآن الكريم فيخبرنا بأن ذلك كان مددا من السماء حيث أرسل الله ريحاً عاتية غير معتادة أو متوقعة

قلبت القدور والخيام وأثارت الرمال فأوقعت الرعب فى القلوب والارتباك فى الصفوف . .

● ومن الأسباب التى أدت إلى الفشل أيضا انعدام الثقة بين الأحزاب ، فيما بينهم من جهة ، وفيما بينهم وبين اليهود من جهة أخرى .

وانعدام الثقة من أهم الأسباب التى تؤدى إلى الفشل والاضطراب والتخبط .

● ومن الأسباب أيضا قدرة المسلمين على الصبر والتحمل وعدم قدرة الاحزاب على ذلك لأن للمسلمين قيادتهم المسيطرة ، وأهدافهم السامية .

أما هذه القبائل المتنافرة فلا صبر لها ، لأنها تعودت كثرة الحركة والتنقل ، ولم تعتد الصبر على فراق وطنها وأهلها فترة طويلة[201]

الدروس المستفادة من الغزوة .

لقد أمدت المسلمين بروح جديدة وثقة زائدة وإيمان عميق . . وأدركوا أن الله معهم يرقبهم فى جهادهم ويمدهم بعونه ونصره . وقد زادهم ذلك إصرارا على الجهاد فى سبيل الله والمضى قدما للتبشير بكلمة الله .

وإلى جانب ذلك ، فقد استفاد المسلمون خبرة جديدة بفنون الحرب ، فقد كان حفر الخندق أسلوبا جديدا لم يكونوا يعرفونه .

وعملوا فى حفره بأسلوب منظم متعاون تحت قيادة واعية رشيدة ، وكان

---

(٢٠١) الرسول القائد اللواء الركن محمود شيت خطاب صـ ٢٢٤

النبى - ﷺ - يعمل بنفسه مع جنوده وهو القائد الأعلى لهم - فكان خير قدوة لجنوده . ومثلا أعلى فى التغلب على المشكلات والمتاعب .

● وكما استخدم النبى - ﷺ - أسلوبا جديدا فى القتال ، استخدم سلاحا جديدا أيضا فى تفتيت جبهة الأعداء ، هو سلاح الدبلوماسية ، حيث أشار إلى نعيم بن مسعود قائلا له : خذل عنا فإن الحرب خدعة .

واستطاع نعيم بن مسعود وهو فرد واحد أن يخذل الأعداء وأن يفرق جمعهم ، وأن يبدد الثقة بينهم .

وحين أراد النبى - ﷺ - أن يستوثق من غدر اليهود أرسل أصحابه قائلا لهم : إن وجدتم الأمر كما يقال فأخبرونى بطريق الكناية : يعنى لا تصرحوا بغدرهم . وفى ذلك دلالة على رغبة النبى - ﷺ - فى الاحتفاظ بالروح المعنوية قوية بين جنوده .

وفى ذلك إشارة أيضا إلى استعمال أسلوب الشفرة الذى استعمله الدبلوماسيون والعسكريون فيمابعد ، فحين عاد سعد بن معاذ وسعد بن عبادة من مهمتهما لدى بنى قريظة ، وقد أدركا غدرهم فعلا ، قالا للنبى - ﷺ - : عضل والقارة .

وهو أسلوب كنائى غير صريح بغدر هؤلاء . ولكنه فيه تلميح بأن القوم غدروا كغدر أهل عضل والقارة بأصحاب رسول الله - ﷺ -

● وكانت غزوة الأحزاب نهاية لمبادأة قريش بالهجوم .

ذلك أن فشل عشرة آلاف جندى فى اقتحام المدينة ولايوجد فيها من

المقاتلين إلا نحو ثلث هذا العدد . . معناه فشلهم فيما بعد فى أى هجوم آخر يقومون به .

هذا بالإضافة إلى استحالة تكوين مثل هذا العدد الضخم مرة أخرى لفقدان الاسباب المهيئة له كما تهيأت فى هذه المرة . .

وبذلك أصبحت الكرة فى أيدى المسلمين . وأصبحت المبادأة لهم بعد ذلك . وانتقل المسلمون إلى مرحلة الهجوم بعد مرحلة الدفاع .

وأصبح الوقت فى صالح المسلمين فبدأوا بتطهير المدينة من يهود بنى قريظة لقطع دابر الفتنة نهائيا فى داخل المدينة المنورة . . . . وقد سبق أن تحدثنا عن هذه الغزوة .

مثالية الرسول

من الدروس المستفادة من هذه الغزوة التأمل فى شخصية الرسول - ﷺ - والاقتداء به والتأسى بأخلاقه الكريمة وصفاته النبيلة ، وقد أنزل الله فى هذه الغزوة آية تحثنا على وجوب التأسى به . . قال - تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٢٠٢)

فقد قال المفسرون : إن هذه الآية لتدعونا إلى ضرورة التأسى بالنبى - ﷺ - فى أقواله وأفعاله وأحواله .

---

(٢٠٢) الأحزاب ٢١

وعلى قادة المسلمين أن يتخذوا من موقفه - ﷺ - يوم الأحزاب نموذجا لهم . . فقد كان - ﷺ - قدوة عليا فى الصبر والمصابرة والجهاد وانتظار الفرج من ربه .

ذكر القرطبى عن أنس بن مالك عن أبى طلحة قال : شكونا إلى رسول الله - ﷺ - الجوع وكان الجميع ومعهم رسول الله - ﷺ - قد ربطوا على بطونهم الحجارة من شدة الجوع .

ولقد أتيحت له - ﷺ - فرصة لأن يطعم وحده ولكنه أبى ، وذلك حين جاء جابر يدعوه هو ونفرا معه ، لأن طعامه لا يكفى لعدد كبير .

« ولكن كيف يتصور أن يترك النبى - ﷺ - أصحابه فى غمرة العمل وهم يتضورون مثله جوعا لينفرد عنهم مع ثلاثة أو أربعة من أصحابه يستريحون ويأكلون . . . إنه - صلى الله عليه وسلم - أشفق على أصحابه من شفقة الأم على أولادها ؟

« أما جابر فقد كان مضطرا إلى مافعل ، وكان ذلك منه طبيعيا ، إذا أنه لم يكن يملك إلا أن يتصرف حسب مالديه من الأسباب المادية ، والطعام الذى لديه لا يكفى إلا لعدد يسير ، فليخص به إذن رسول الله - ﷺ - ومن يشاء من بعض أصحابه فى حدود ضيقة .

« ولكنه - ﷺ - لم يكن من شأنه أن يتأثر بنظرة جابر هذه ، فهو أولا لا يمكن أن يتميز عن أصحابه بشىء من النعمة أو الراحة .

وهو ثانيا لايمكن أن يأسر نفسه تحت سلطان الأسباب المادية وحدودها التى ألفها البشر ، فالله وحده مسبب الأسباب وخالقها ، ومن اليسير عليه ـ سبحانه ـ أن يجعل من الطعام اليسير كثيراً ، وأن يبارك فى القليل منه حتى يكفى الكثير .

ومهما يكن فقد رأى النبى ـ ﷺ ـ أنه وأصحابه متضامنون متكافلون يتقاسمون النعمة بينهم مهما قلت ، كما يتقاسمون بينهم المحنة مهما عظمت وكثرت »(٢٠٣)

ولننظر إلى درس آخر من هذه الغزوة .

ذاك هو ضرورة اللجوء إلى الله ، والاعتصام بحبله ، فإن الأسباب المادية وحدها لا تكفى فى تحقيق النصر . .

ولو كانت الأسباب المادية وحدها محققة للنصر لأمكن لهذا الحشد الهائل من الأحزاب أن ينتصروا على المسلمين وهم قلة . .

لقد لجأ النبى ـ ﷺ ـ بعد أن اتخذ الأسباب من حفر الخندق وتوزيع العمل بين أصحابه ـ لجأ إلى الله يتضرع إليه ، ويستنصره . .

وكان يفعل ذلك فى حروبه كلها ، فكان الله يستجيب له . .

وكان يعلّم أصحابه دعوات يلجأون بها إلى الله ، ولاشك أن الدعاء مخ العبادة ، والله تعالى يقول :

« ادعونى استجب لكم »

---

(٢٠٣) فقه السيرة د . محمد سعيد رمضان البوطى صـ ٢٣٢

وهو سبحانه يحب أن يسأل ، وسؤاله معناه الافتقار إليه والاعتماد عليه .

وهو سبحانه يجيب سؤال من دعاه بصدق وإخلاص .

وليس معنى ذلك أن يلجأ المسلمون إلى الدعاء فحسب ويتركون الأسباب المادية التى يجب الاستعداد بها . .

بل معناه أن من وسائل الإعداد للعدو أيضا صدق الالتجاء إلى الله واخلاص العبودية له ، فباللجوء إلى الله يظهر الفرق بين المؤمن وغيره وبين الذى يعتمد على أسبابه وحدها والذى يعتمد على الله مع أخذ الأسباب . .

إن بركة الاعتماد على الله والصدق فى الالتجاء اليه هى التى زلزلت أقدام الأعداء وقوضت خيامهم وجعلتهم يصرخون من الرعب قائلين : النجاء النجاء . .

لقد أرسل الله على الأعداء ريحا شديدة وقد كان المسلمون على قيد خطوات من أعدائهم ، ومع ذلك فقد كانت هذه الريح دمارا فى معسكر الأعداء ، ولكنها كانت هادئة فى معسكر المسلمين .

أليس ذلك من المعجزات التى أيد الله بها القلوب الراغبة فيه والنفوس المطمئنة إلى وعده ؟ ؟

ولايجب أن ننهى الحديث فى تلك الغزوة قبل أن نتعرف على شخصية ذلك الصحابى الجليل الذى كان لرأيه أكبر الأثر فى تحقيق النصر . .

وهو سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ صاحب فكرة الخندق .

سلمان الفارسى

- من سلمان الفارسى الذى أشار بحفر الخندق ؟
- بداية النور بالنسبة لسلمان .
- هروبه إلى الشام .
- لقاؤه بأسقف الشام .
- سلمان فى الموصل .
- كيف عرف سلمان بهجرة النبى ؟
- إسلام سلمان .
- زواجه .
- موقفه من الإمارة .
- الإسلام دين ودنيا .
- سلمان العالم بأمور دينه .
- هل نزل فى شأن سلمان قرآن ؟

سلمان الفارسى

هو أبو عبد الله المعروف بسلمان الفارسى ، أو سلمان الخير ، وقد سئل عن نسبه فقال : أنا ابن الاسلام .

كان اسمه قبل الاسلام : مابه بن بوذخشان بن مورسلان بن بهبوذان بن فيروز بن سهرك ، من ولد آب الملك .

وهو أحد السباق الأربعة كما روى أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « السباق أربعة ـ أى إلى الإسلام : أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبشة »(٢٠٤)

وقد شرفه النبى ـ ﷺ ـ بقوله : سلمان منا آل البيت »(٢٠٥) وقال عنه كعب الأحبار : سلمان حُشى علما وحكمة .

أصله من فارس ، من مدينة رامهرمز .

وقيل : من جَىّ وهى اسم مدينة أصبهان فى أصلها القديم ، وتسمى عند العجم شهرستان .

وهى مدينة مشهورة بحسنها وجمال طبيعتها . .

وكان أبوه دهقان مدينة جَىّ ، وكان يملك ضياعا يقوم على زراعتها . ورزق بسلمان بعد طول انتظار فأحبه كل الحب ، وآثره على نفسه ، وقدم له

---

(٢٠٤) حلية الأولياء لأبى نعيم الاصفهانى جـ ١ صـ ١٨٥

(٢٠٥) طبقات ابن سعد جـ ٤ صـ ٨٣

كل مايمكن أن يقدمه الوالد الثرى لولده الوحيد من رغد الحياة وخصبها ، وأعده ليكون خادما للإله ، وإلههم فى ذلك الوقت النار التى يقدسونها ويعبدونها من دون الله .

فجعل من سلمان خادما للنار يقدم لها وقودها حتى لا تخبو أبداً . وأخلص سلمان لهذه المهمة المقدسة ، التى لايُعَدُّ لها إلا أولاد الخاصة من الناس .

وأحسن سلمان اختيار أصدقائه . . . . . . يقول الطبرى : إن صديقه المخلص الذى لا يكاد يفارقه ـ كان ابن الملك[1] .

الباحث عن الحقيقة

ولنستمع إلى سلمان يقص علينا قصة بحثه عن الحقيقة واهتدائه إليها ، كما أوردها ابن هشام فى سيرته وأبو نعيم فى خليته ، وغيرهما من الرواة :

قال سلمان : كان أبى دهقان قريته ـ والدهقان هو الموكل بأمر الدين عند الفرس .

وكنت أحب إليه من كل شيء ، ومن شدة حبه إياى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية .

ـ وهو لون من الحب يعمد إليه بعض الآباء تخوفا على أبنائهم من مساوىء الاختلاطْ بين الأنداد ، وذلك شطط من الحب ، ولكن تعليله أن سلمان كان وحيد والده ، وكان يعده لتقاليد مهنته ، وميراث ضياعه وأملاكه .

---

(١) تفسير الطبرى جـ ١ صـ ١٥٤

وهذا لايمنع أن ينتقى له أصدقاءه ومخالطيه ، فقد مر أنه كان صديقا لابن الملك .

قال سلمان : واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار[٢٠٦] الذى يوقدها ولا يتركها تخبو ساعة .

ـ وقد استولت عليه هذه العقيدة فترة من الزمن ، ولكن عقله المتفتح كان يفكر فى شأنه هذا أحيانا ، وربما راودته بعض الخواطر : أتلك النار التى إذا تركها بدون وقود انطفأت يمكن أن تكون إلها يمد الكون بالحياة ؟

أتلك النار التى لا يمكن لأحد الاقتراب منها لأنها مخوفة دائماً ، ومحرقة دائماً ، وإذا أتت على شىء أكلته ولم تبق منه شيئاً ـ يمكن أن تكون إلها يعبد ؟ ـ

ـ لعلّ بعض هذه الخواطر راودت ذهن سلمان . . والا لما وصل إلى هذه النتائج من الرشد والهداية .

ـ وأخيرا لاحت الفرصة التى أتاحت لسلمان أن يفكر مليا فى أمره ـ

قال سلمان : وكانت لأبى ضيعة عظيمة ، فشغل فى بنيان له يوما ، فقال لى : يابنى إنى قد شغلت فى بُنْيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب اليها فراقبها .

---

(٢٠٦) القطن : الخادم

وأمرني - أبي - ببعض مايريد .

ثم قال لي : لاتحتبس عني ، فإنك إن احتبست عني كنت أهم إليَّ من ضيعتي ، وشغلتني عن كل شيء من أمري .

أول النور

- وطمأن سلمان أباه ، ووعده خيرا ، وسار في طريقه إلى الضيعة يدبر في نفسه مايفعله فيها من أمور تسر والده وتجعله يزداد ثقة بحسن تصرفه ، فيسلم إليه الأمور دون توجس أو خوف أو قلق -

قال سلمان : فخرجت أريد الضيعة التي بعثني اليها أبي ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم وهم يصلون ، وكنت لا أدري شيئا عن أمور الناس وأحوالهم ، لحبس أبي إياي في بيته ،

فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر مايصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم . .

- لقد تيقظ الهدى في ضمير سلمان ، وثارت الخواطر التي كانت تراوده أحيانا في عقله حول صلاحية هذه النار المحرقة لأن تكون ربا .

وكيف يكون المعبود مهلكا لعابده إن اقترب منه ؟

إن من شأن المعبود أن يكون رحيما بخلقه عطوفا عليهم ، كلما اقتربوا منه أمدهم بعونه وأظلهم بأمنه ، وشملهم برحمته .

أما هذه النار فلايستطيع أحد من الخلق الاقتراب منها والا أحرقته ودمرته . .

والرب معطاء لعباده وهو مصدر الخير والعطاء . وهو يحتفظ دائما بقوته وبقائه دون أن يمده غيره بالقوة والبقاء . أما هذه النار إن كف سدنتها عن إمدادها بالوقود خمدت وانطفأت وأصبحت رمادا لا يصلح إلا لأن يذوب بين طيات التراب ، أو تذروه الرياح فى جنبات الأرض . فبقاؤها منوط بغيرها مستمد من الوقود والموقد ، وماهكذا ينبغى أن يكون الإله الذى يجب أن يكون غنيا عن غيره ، مستقلا وحده بالبقاء .

كيف يناجى الانسان رباً لايملك من مقومات الربوبية شيئا ؟
لعل سلمان جالت فى نفسه هذه الخواطر . .
والا فكيف مال إلى هؤلاء القوم الذين رآهم فى الكنيسة يصلون ؟
إنهم يناجون الله بعبارات فيها خشية وضراعة ملكت عليه شغاف قلبه .
ولذلك نسمعه يقول : -

« فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذين نحن فيه وعليه .
فوالله مابرحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبى فلم أذهب إليها » .

- عجبا لشأن الدين إنه إذا خامر العقل استولى عليه ، وأسلم الإنسان أمره إليه ، وهان كل صغير وكبير لديه ، ومن أجله يهجر الانسان أمه وأباه ،

ويترك ثروته وجاهه طائعا مختارا فى ذات الله ، لقد هانت الضيعة ، وهان أمر الأب . الذى أمره أن يذهب لرعاية الضيعة ، إن ذلك كله من حطام الدنيا الذى لا يغنى المرء شيئا ، ولا يقدم له الزاد الروحى الذى يرضى عقله وضميره ومشاعره . .

وسأل سلمان أصحاب هذه الكنيسة فقال لهم فيمايرويه عن نفسه :

أين أصل هذا الدين ؟

قالوا : بالشام . .

قال سلمان : فرجعت إلى أبى ، وقد بعث فى طلبى ، وشغلته عن عمله كله .

فلما جئته قال : أى بنى ، أين كنت ؟ أو لم أكن عهدت إليك بكذا وكذا ؟

قلت له : يا أبت ، مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم ، فأعجبنى ما رأيت من دينهم ، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس .

ـ وكأن صاعقة قد نزلت على رأس الأب ، لقد فوجىء بجواب غير متوقع . . إن ما أخبره به ابنه لهو آخر ما كان يتوقعه منه . .

ـ أيقبل سلمان على دين آخر غير ذلك الدين الذى نذره أبوه له ؟

ـ أيمكن أن يترك سلمان النار المقدسة فلا يقدم لها غذاءها ويتجه إلى ديانة أخرى لا صلة لفارس بها ؟

ـ كيف ينحرف سلمان عن طريق درج عليه هو وآباؤه من قبله منذ مئات السنين ، فلا يعرفون لهم عملاً إلا إشعال النار المقدسة ، وإن ذلك العمل هو الذى خلع عليهم قدسية وجعل لهم منزلة خاصة فى قلوب الناس ؟

ـ إن لهم مهابة فى العيون ومنزلة فى القلوب ، والفضل فى اكتسابها يعود إلى ذلك العمل المقدس الذى يقومون به . فما بال سلمان يهجره ويتركه ، ويقبل على غيره ؟

ـ لقد ضاع مجدنا إلى الأبد .. هكذا قال أبو سلمان ـ

ـ وأراد الأب أن ينصح ابنه بالحسنى فقال له :

« أى بنى ـ ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، ولكن سلمان كان قد فكر ووعى .

فقال لأبيه : كلا والله ، إنه لخير من ديننا ..

أجل ، فأين عبادة النار من عبادة الله ؟

وأين عقيدة المادة من عقيدة الروح ؟

قال سلمان : فخافنى ، فجعل فى رجلى قيداً ، ثم حبسنى فى بيته .

الهروب إلى الشام

ولكن سلمان كان قد اقتنع بعبادة الله ، وصمم على المضى فى هذا الطريق الذى سيعرضه لا محالة لكثير من المتاعب والمشاق ..

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾(٢٠٧)

---

(٢٠٧) العنكبوت ٢ ، ٣

لقد بدأ الصراع بين الأب والابن . أب حريص على مكانته الدينية والاجتماعية ولو كانت مستمدة من الباطل ، وابن تكشفت أمامه الطرق لمعرفة الحق ، وظهرت أمامه أشعة النور فأراد أن يقتفى أثرها عله أن يصل إلى الحقيقة الكاملة التى بدأ يتعطش لها .

إن للكون إلهاً قادراً حكيماً مدبراً غير تلك النار . ولكن كيف الطريق إلى معرفته ؟

لابد أن يسافر إذن إلى الشام بحثاً عن هذا الدين الذى رأى شعاعه بين أولئك الذين يرتلون صلواتهم فى الكنيسة . ولكن أنى له ذلك وهو مقيد محبوس ؟

ولكنه احتال فى أن يوصل رسالة إلى أولئك الذين التقى بهم فى الكنيسة . قال سلمان : « وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم . .

ـ ولاحت هذه الفرصة ـ فقد قدم عليهم ركب من الشام ، قوم تجار من النصارى فأخبرونى بهم . فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلي بلادهم فآذنونى بهم .

قال سلمان : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبرونى بذلك فاحتلت حتى تخلصت من قيدى ، ثم خرجت معهم ، حتى قدمت الشام . .

ـ وكان سلمان توّاقاً للمعرفة ، لا يكتفى بأول ما يلوح له من طلائع ، ولكنه يريد أن يصيب كبد الحقيقة .

فسأل من اصطحبهم إلى الشام ، أو من التقى بهم هناك : من أفضل أهل هذا الدين علماً ؟

فأجابوه قائلين : إنه أسقف الكنيسة .

ـ لقد لاحت له فى عقله استفهامات كثيرة أراد أن يسأل عنها ، ورأى أنه لن يشفى غليله فى الإجابة عنها أولئك الذين التقى بهم مصادفة فى الكنيسة ، أو اصطحبهم فى الطريق ،

ويبدو أنه ناقشهم فلم يجد عندهم شفاء نفسه ، وكابدهم فلم يجد عندهم ذلك الوجدان الإيمانى الذى يخالط بشاشة القلب فيملؤه سكينة واطمئناناً . .

إن كثيراً منهم يرددون عبارات قد لا يفهمون لها معنى ، ويحاكونها محاكاة المقلد ، ولا تصدر عباراتهم عن روح ذائقة وعقل عارف .

من أجل ذلك سأل عن أعظم أهل هذا الدين علما . . . .

مع الأسقف

والتقى بالأسقف . قال سلمان : فجئته ، فقلت له : إنى قد رغبت فى هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك ، وأخدمك فى كنيستك ، فأتعلم منك ، وأصلى معك .

ـ عجباً لك يا سلمان . . لقد اخترت طريقاً شاقاً . . إنك تركت ضياع أبيك وميراثه العريض ، وجاهه الذى ينتظرك فى بلدك . . وآثرت الضرب فى الأرض ، ووصل بك الأمر أن تكون خادماً فى كنيسة ! !

ولكنه الحب للمعرفة ، والتطلع إلى الحقائق ، والرغبة فى الوصول إلى هدف نبيل ، ومثل هذا تهون فى سبيله المتاعب ، وتستلذ المصاعب .

قال له الأسقف : ادخل .

قال سلمان : فدخلت معه . .

ولكن سلمان يصرح بأنه قد انخدع فيه ، فلم يجده كما كان يظن ، وربما لم يجد فيه القدوة التى ينتظرها ، أو القيم التى كان يتوق إليها فقد أخبر سلمان بأن الأسقف كان يأمر الناس بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورِق ـ فضة .

قال : فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع .

ـ وكيف لا يبغضه سلمان وهو قد هجر بلاده ودينه غضباً ممن يسلكون هذا السلوك وساح فى الأرض باحثاً عن المثل العليا . .

أتستحق الدنيا هذا العناء الذى حبس هذا الأسقف نفسه له ؟

إن الدنيا أهون شيء فى نظر العارف . ومن هوانها عليه يزهد فيها حقيقة . .

وإذا كان الإمساك فى الدنيا والشح بها كريه بالنسبة لعامة الناس فهو بالنسبة لرجل الدين والداعى إليه ينبغى أن يكون أشد كراهة . .

ولكن هذا الأسقف لم يكن على مستوى الأمر الذى يتولاه . . . .

وما أصدق تصوير القرآن لأمثال هذا الأمر بالمعروف التارك له :

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢٠٨)

وما أصدق وعيده لهؤلاء حيث قال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢٠٩)

قال سلمان : ثم مات هذا الأسقف .

فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه ويمجدوه . . . فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ، ولم يعط المساكين منها شيئاً ،

فقالوا لي : وما علمك بذلك ؟

فقلت لهم : أنا أدلكم على كنزه . .

---

(٢٠٨) البقرة ٤٤

(٢٠٩) التوبة ٣٤ ، ٣٥

قالوا : فدلنا عليه . فأريتهم موضعه ، فاستخرجوه ، وكان سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً .

فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً . .
فصلبوه ورجموه بالحجارة . .

لقد خُدع الناس فى هذا الرجل زمناً طويلاً . . وأمثال هؤلاء الخداعين يضللون الشعوب ويهلكون الناس . فإنما يؤتى الناس من قبل علمائهم وأئمتهم ، فإنهم يقلدونهم ويفعلون مثلهم ظناً منهم أن الذى يفعله هؤلاء الأئمة العلماء هو الصواب . ومن هنا قال الحكماء : إذا زل العالِم زَلَّ بزلَّته عالَم . .

مع الأسقف الجديد

قال سلمان : وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه . وكان رجلاً زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة يدأب فى الطاعة .

وأحب سلمان هذا الأسقف حباً شديداً لانه رأى فيه صورة صحيحة للعالِم العامل ، وعن طريقه تكشفت له بعض الأنوار التى أضاءت له الطريق .

ومن خصائص المعرفة أنها ليست دروسا تلقن ، أو مناهج تدرس . ولكنها تقوى وسلوك واقتداء . .

وليس ذلك عجيبا فكتابنا الكريم يقول :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ

سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢١٠)

ويقول :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ (٢١١)

ويقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢١٢)

ونبينا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم

ومن هنا كان الصحابة الأجلاء إذانزل شيء من القرآن يتقنونه حفظا وعملا ، فكانوا أنوار هدى وشموس معرفة .

قال سلمان : فأقمت مع الأسقف الجديد زمانا ، ثم حضرته الوفاة ـ فقلت له : يا فلان إنى كنت معك ، وأحببتك حبا كثيرا ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله ـ تعالى ـ ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟

قال الرجل : أى بنى ، والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه ، فقد هلك الناس ، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل . هو على ما كنت عليه فالحق به .

---

(٢١٠) الأنفال ٢٩
(٢١١) البقرة ٢٨٢
(٢١٢) الحديد ٢٨

سلمان فى الموصل

ويستبد الشوق إلى المعرفة بسلمان ، فهو لم يهجر وطنه ويترك أهله ، ويزهد فى المال والجاه ليقف عند هذا الحد . إنه يتعطش إلى معرفة الواحد المعبود .

إنه حتى الآن لم يجد هذه الطُّلبْة وإن كان قد وضع قدمه على أول الطريق ، ولابد أن يكمل المسيرة حتى يصل .

ومات الأسقف الذى كان يحبه سلمان ، فشمر عن ساقه ليلتحق بصاحب الموصل الذى أخبره الأسقف عنه .

والتقى به فقال : يا فلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أنِ ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره .

فقال له الرجل : أقم عندى .

قال سلمان : فأقمت عنده ، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه .. ولكنه لم يلبث أن حضرته الوفاة ..

وشعر سلمان بالحزن الشديد . لاللموت ـ فالموت حق على رقاب العباد ـ ولكن لما سيفوته من الخير على يد الرجل ، ولأنه لم يحقق الهدف الذى يسعى من أجله بعد ، وأين الذى سيكمل معه الطريق ، ويعينه على الوصول إلى ما يريد .

فقال لصاحبه ـ وهو يحتضر ـ : يا فلان ، إن فلانا أوصلنى إليك وأمرنى أن ألحق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟

قال الرجل الصالح : يا بنى والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه إلا رجلا بنصيبين . وهو فلان فالحق به .

سلمان يرحل إلى نصيبين

ولم ينزعج سلمان من كثرة التجوال ، فالسياحة مرحلة من مراحل الوصول إلى المعرفة ، والهجرة ركن أساسى من أركان الطريق إليها . .

وما أن دفن ذلك الرجل الصالح حتى جد سلمان فى طريقه إلى نصيبين ، والتقى بذلك الرجل الذى وصف له . .

قال له : إن فلانا أمرنى باللحوق بك ، وأوصى بى إليك . . وأخبره خبره .

فقال له : مرحبا بك ، أقم عندى . .

قال سلمان : فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه .

ولكن القدر لم يمهل هذا الرجل أيضا .

وارتاع سلمان حين رآه على وشك الموت . .

قال له : يا فلان ، إن فلانا كان قد أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، والآن قد حضرك ما ترى من أمر الله الغالب الذى لايرد ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟

قال الرجل : يا بنى والله ما أعلم أنه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا .

يا سبحان الله . . فى كل قطر واحد فقط يعرف الله حق المعرفة ويعبده

حق العبادة . . . لقد فسد الزمان حقا . . وتقلص ظل الحقيقة حتى لم يعد يعرفها سوى واحد فى عمورية هو ذلك الذى سوف يقصده سلمان . .

ولئن هلك هذا الرجل قبل أن يصل سلمان إليه ، فربما ضل سلمان الطريق وتاهت المعالم منه . . هذه خواطر ربما تكون قد جالت بذهن سلمان الذى يبحث عن الحقيقة . ومن يدرى ؟ فلعله هتف من أعماقه أن يبقى الله هذا الرجل على قيد الحياة حتى يصل إليه ليرشده إلى الحق الذى يبحث عنه . .

أى ظمأ إلى المعرفة يتغلغل فى صدر سلمان ؟ وأى شوق يعتمل فى جوانحه إلى طريق الايمان الحق ؟ . .

إن هذا الوجود الذى يموج بالحركة والحياة له رب حكيم قادر . .

كيف يصل إلى معرفة هذا الحكيم القادر ؟ من يدله عليه ؟ من يوصله إليه ؟ . .

لقد هجر عبادة النار لأنها ضلال ، وصحب هؤلاء الأساقفة لأنه وجد فى كلامهم من النور ما يمكن أن يهديه إلى الطريق الذى يبحث عنه ، ولكن ما زال فى قلبه ظمأ ، وفى وجدانه تعطش ، وفى روحه شوق . . فمن الذى يروى ظمأه وتعطشه ؟ ومن الذى يطفىء نار شوقه إلى الحقيقة ؟

فى عمورية

وأخيرا وصل سلمان إلى عمورية . . والتقى بأسقفها . . وأخبره خبره . .

فرحب به الرجل ، وقال له : أقم عندى . .

وما جاء سلمان إلا ليقيم عنده ، وإلا فلماذا كان هذا التعب والنصب

والتجوال الطويل ؟ .

قال سلمان : فأقمت عند رجل على هدى أصحابه وأمرهم . .

ولم يكن سلمان يعيش فى كنف هؤلاء الرجال عالة ، ولكنه كان يحترف حرفة يقتات منها

ـ يقول : واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمات . .

لقد وجد فى العمل لونا من العبادة أعانه على مزيد من التأمل والتفكير ، إنه يقلب التربة بفأسه ، ويلقى فيها البذر ، فتنتج نباتا يكبر ويزدهر ويثمر ، ثم يذبل ، وتعود الحركة من جديد ، حركة الحياة ثم الموت ثم البعث فلماذا إذن ينكر الناس ما أخبر به الرسل من البعث ؟

لقد جاء الرسل للهداية إلى الله ، وكشف الران عن قلوب الناس ، وجلاء الغشاوة عن عيونهم ، وبعث الطمأنينة فى نفوسهم عن طريق هدايتهم إلى الله الخالق القادر المبدع الحكيم . .

ولم يدم له الحال طويلا مع ذلك الرجل الذى وجد فى ظله مزيدا من المعرفة ، فقد حضره الموت كما حضر أصحابه السابقين .

ولما حضرته الوفاة قال له سلمان والألم يعتصر قلبه : يا فلان ، إنى كنت مع فلان فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟

قال الرجل : أى بنى ، والله ما أعلم أنه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تذهب إليه . . . ولكنى أحدثك بأمر عظيم . . . لقد أظل زمان نبى ، وهو مبعوث بدين إبراهيم ـ عليه السلام ـ يخرج بأرض

العرب ، مهاجره إلى أرض بين حَرَّتين ، بينهما نخل ، به علامات لاتخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل . .

انظر كيف استطاع هذا الرجل أن يحدد أوصاف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه الدقة البالغة . وما ذلك إلا لأنهم أخلصوا فى استخلاص مكنونات الكتب القديمة الخالية من التحريف والتبديل ، ولم يخضعوا أنفسهم ـ كما خضع غيرهم ـ لشهواتهم وأحقادهم . .

ومن أجل ذلك كانوا قلة . . فى كل قطر واحد ، بالرغم من كثرة دور العبادة الخاصة بالأحبار والرهبان فى كل مكان . .

ولكن المسألة ليست مسألة كثرة ، ولكنها مسألة علم وإخلاص فى طلبه . . ومن أجل ذلك كان سلمان حريصا على أن يسأل منذ البداية عن الأفضل ،

سلمان فى وادى القرى

ولم يُضيِّع سلمان وقته ، فلابد من أن يهاجر إلى موطن النور . . لقد أعطاه الرجل الصالح علامات ، وعليه أن يجتهد هو فى تحرى هذه العلامات حتى يصل إلى مكان النبى المبعوث فى هذا الزمان . . فهو وحده الذى سوف يجد عنده غذاء روحه وشفاء نفسه ورواء ظمئه . .

إنه الآن فى عمورية ، وما أبعد المسافة بين عمورية وبلاد العرب ، وكيف يصل إلى هذه البلاد وليس معه دليل . .

وما زال يتحين الفرصة ليعثر على من يهديه إلى طريق المدينة ذات الحرتين اللتين بينهما نخل . .

ولاحت هذه الفرصة أخيرا ، فقد عثر على ركب من التجار العرب ، إنهم رجال من قبيلة كلب كانوا فى تجارة فى عمورية ، وها هم قافلون إلى أرضهم .

عرض عليهم سلمان أن يحملوه معهم إلى بلادهم على أن يعطيهم بقراته وغنيماته . .

ووافقوا على الفور واصطحبوه .

ولكنهم كانوا رفاق سوء ، فما أن وصلوا به إلى وادى القرى حتى ظلموه وباعوه على أنه عبد رقيق لهم .

قال سلمان : . . حتى إذا وصلوا بى وادى القرى ظلمونى فباعونى لرجل يهودى فكنت عنده ، ورأيت النخل فرجوت أن يكون ذلك البلد الذى وصف لى صاحبى .

ولكن سرعان ما تبدد هذا الرجاء حين تبين له أنه ليس فى المدينة . ولكنه فى وادى القرى بين قوم يهود . ما أروعك يا سلمان : كم تحملت من مشقات فى سبيل الوصول إلى المعرفة .

ومع ذلك لم تلن لك قناة ، ولم تضعف لك عزيمة ، بل ظللت صامدا شجاعا قويا جلدا تستهين بالصعاب وتسخر من العقبات . .

وفى سبيل المعرفة التى تطلبها أصبحت رقيقا مملوكا ، ومع ذلك لم ينل ذلك من همتك ، فالرق الحقيقى هو رق النفس ، أما رق الجسد فهو شيء هين ضئيل ، وكم من أحرار فى الظاهر وهم أسرى النفوس والعقول

والقلوب . وكم من أرقاء فى الظاهر ولكنهم أحرار من شهواتهم ونزواتهم وتطلعاتهم ومطامحهم المادية الرخيصة .

استطاعوا أن يحطموا الأغلال التى أحاطت بعقولهم وأرواحهم فهم سادة حقا وإن كان الناس يطلقون عليهم لقب العبيد . . والشاعر الحكيم يقول :

الحر عبد ماطمع والعبد حر ما قنع

لم يذهل سلمان الرق عما جاء من أجله . . لقد كان يشعر أن فى داخله روحا حرة متطلعة إلى الكمال لايثنيها عن عزمها أى شىء ، ولديه إرادة قوية تتحدى كل صعب . .

وكما يتفجر الماء من الصخر ، والنور من الظلمة ، والعسر من اليسر ، وكما يجىء الفرج بعد الشدة والأمل بعد اليأس كان الأمر كذلك بالنسبة لسلمان .

فقد جاء يهود من بنى قريظة أقرباء لهذا اليهودى الذى اشترى سلمان فى زيارة له ، ورأوا سلمان فى قوة جسمية وعقل مستنير ورأى صائب فأغراهم ذلك بشرائه من قريبهم .

فابتاعوه وساروا به إلى المدينة . .

سلمان فى المدينة

وهكذا تبددت آلام سلمان فقد أصبح فى ذلك الموطن الذى وصفه له أسقف عمورية . . هذه هى يثرب بين حرتين بينهما نخل ، وإنه ليعمل فى هذا النخل لصاحبه الذى اشتراه .

وهو سعيد بهذا العمل لم يضق به ذرعا على الرغم من صعوبته .. لقد تنشق عبير ذلك المكان الذى سوف يهاجر إليه نبى آخر الزمان ..

ومن يدرى لعله يلقاه بين آونة وأخرى .. ألم يقل له صاحب عمورية : لقد أظلنا زمانه ؟

قال سلمان : واحتملنى صاحبى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى ، فأقمت بها ، وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر بسبب ما أنا فيه من شغل الرق .

هجرة النبى

وحانت اللحظة التى يرتقبها سلمان ..

فقد هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ...... أما كيف عرف سلمان ذلك .. فهذا ما يحكيه هو بنفسه .. يقول : ـ

فوالله إنى لفى رأس نخلة . لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس تحت النخلة ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال : يا فلان ، قاتل الله بنى قَيْلَة[٢١٣] ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة يزعمون أنه نبى ...

وما أشد فرحة سلمان حينذاك ..

إنه بعد هذه السنين الطويلة التى جوّب خلالها فى الآفاق باحثا عن الحقيقة يعثر عليها الآن .. وهى فى متناول يده .

---

(٢١٣) قيلة : أم الأوس والخزرج

وانتابته حالة من الفرحة الغامرة أوشكت أن تطيح به من رأس النخلة . .

يقول سلمان : فلما سمعت ما قال الرجل أخذتنى العروراء ـ الرعدة ـ حتى ظننت أنى سأسقط على سيدى .

فنزلت عن النخلة ـ فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ لقد زايله تحفظه من الفرحة ، فأقحم نفسه فى الخطاب دون استئذان . .

قال : فغضب سيدى ، فلكمنى لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك . .

ولم يغضب سلمان بل احتمل ذلك ، وتوجه إلى عمله ، ولكنه كان قد أسرَّ فى نفسه شيئا ، ولقد وعى ما قال ذلك الرجل وهذا يكفيه .

إسلام سلمان

وما أن جاء المساء حتى استعد سلمان للذهاب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بين أنصاره وأصحابه فى قباء ، وقد أراد أن يستوثق من العلامات التى ذكرها له أسقف عمورية . .

كان قد جمع شيئا من التمر وحمله معه . .

واستأذن على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودخل . . وملأت طلعة الرسول البهية روحه أمنا ورضا ، وكأن عذاب السنين الطويلة كله ذهب فى لحظة ، وبعد أن ملأ عينيه منه وحياه ، قال له : قد بلغنى أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شىء كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحق الناس به من غيركم . . ثم قربته إليه .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : كلوا . وأمسك يده فلم تمتد إليه ولم يأكل .

قال سلمان : فقلت : هذه واحدة . ثم انصرفت . .

وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد تحول إلى المدينة ، فذهب إليه سلمان مرة ثانية وقد جمع بعض التمر ، وقال له : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . .

فأقبل عليها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأكل منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه . . . . إلى هنا كان سلمان قد تأكد من علامتين من العلامات الثلاث التى ذكرها له صاحب عمورية فى نبى آخر الزمان ـ صلى الله عليه وسلم ـ

هاتان العلامتان هما : أنه لا يأكل من الصدقة ، ويأكل من الهدية . .

بقيت العلامة الثالثة ، وهى خاتم النبوة بين كتفيه ، فكيف يعرفها ؟

قال سلمان : ثم توفى كلثوم بن الهدم أحد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتبع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم جنازته ، وسار خلفه حتى بقيع الغرقد ، وجلس مع صحابته . .

فجئت وسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى ؟

فلما رآنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقف وراءه ، عرف أنى أريد أن أتثبت من شىء وصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله وأبكى .

فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : تحول ..

فتحولت ، فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى كله ..

ـ وهنا أعلن سلمان إسلامه .. ولمَ لا وقد وجد ضالته التى يبحث عنها ؟

لقد طوف ما شاء الله له أن يطوف فى الآفاق، وتناوبت عليه أحداث الزمن من الحرية إلى الرق ، وهو يستعذب كل مشقه فى طريقه بحثا عن الحق الذى لمعت طلائعه فى جوانحه ذات يوم ..

ومن أجل ذلك هجر أهله وذويه وجاهه ووطنه .. وسار متنقلا فى الأرض ..

وها هو ذا الآن يلتقى بطلبته ، يلتقى بنبى آخر الزمان الذى سيروى ظمأ فؤاده بالمعرفة التى يبحث عنها ، وهو الذى سيضع يده على الحقيقة التى يطلبها ...

إن الطريق إلى المعرفة هو ذلك النبى الذى سيأخذ بأيدى الناس إليها .. وها هو ذا الآن بين يديه ..

ما أعظم سعادة سلمان حين تبخرت كل متاعبه فى لحظة ، وتحققت كل أمانيه فى نفس اللحظة ..

لم يعد يشغل بال سلمان منذ الآن إلا شىء واحد ، هو الرق .. لأنه لن يستطيع أن يخلص بوقته كله إلى إرواء ظمئه من ذلك النور الذى يجلس الآن فى حضرته . إنه رقيق ولسيده عليه حق لايستطيع التفريط فيه ..

وكيف يتمكن من أداء شعائر هذا الدين الذى اعتنقه وهو فى قبضة

يهودى يثقل كاهله بالعمل ويكلفه ما لايطيق ؟

ووجد الحل لهذه المشكلة فى كلمة مضيئة من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد قال له ـ ذات يوم ـ : كاتب يا سلمان . .

ويمضى سلمان إلى صاحبه اليهودى فيفاوضه فى شأن كتابته ، ويقبل اليهودى أن يحرر سلمان إذا أدى له ثلثمائة نخلة يزرعها له وأربعين أوقية من الذهب .

سلمان يحرر نفسه

ولكن هذا ثمن باهظ ، ومن أين لسلمان البائس الفقير بذلك كله ؟ إلا أن الرحمة المهداة ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايتركه هكذا غريقا فى بحر لجى تفترسه الهموم . فأخذ بيده إلى الشاطىء ، وقال لأصحابه : أعينوا أخاكم .

قال سلمان : فأعانونى بالنخل ، الرجل بثلاثين وَدِيَّة[٢١٤] ، والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلثمائة ودية .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اذهب يا سلمان فاحفر لها . فإذا فرغت فائتنى أكن أنا أضعها بيدى .

قال سلمان : فحفرت وأعاننى أصحابى .

حتى إذا فرغت جئته فأخبرته .

فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معى إليها . . فجعلنا نقرب

---

(٢١٤) الودية ـ بوزن هدية ـ النخلة بعد أن تخرج من النواة ثم تكبر شيئا فشيئا وهى فراخ النخل .

إليه الودى ، ويضعه رسول الله ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ بيده ، حتى فرغنا ، فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة .

لقد أدى سلمان النخل ، ويبقى المال وهو المشكلة الكبرى . .

كيف يؤدى سلمان أربعين أوقية من الذهب ؟ إنه لثمن باهظ لحريتك يا سلمان وأنت فى هذه الحال . .

حقاً إن حريتك لا تقدر بمال ، وإنه لا يعادلها شيء سوى الحياة نفسها ، فالحرية والحياة مترادفان . ولكن أين المال الذى يدفعه من أجل حريته وحياته ؟

وتتدخل سماحة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه المشكلة أيضاً لحلها . وليست السماحة وحدها ، بل السماحة والبركة معاً . .

قال سلمان : فأديت النخل ، وبقى علىَّ المال ، فساعدنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطلب إلى أصحابه مساعدتى حتى أديت ما علىَّ .

وتحرر سلمان . . وأصبح ملك نفسه ، لا بل أصبح ملك الإسلام ، فقد وهب نفسه للإسلام ـ أعطاه حياته كلها ، ولذلك كان يفتخر قائلاً : أنا ابن الإسلام . .

لقد نسى أباه وأمه ، ونسى نسبه وأصله ، ولم يتذكر إلا شيئاً واحداً هو ذلك الدين الذى هداه إلى الحقيقة ، وأراه قيمة نفسه ، وكشف الغطاء عن قلبه وعينه ، فرأى نور المعرفة أمامه سافراً مشرقاً . . هذه هى الولادة الحقيقية التى يفخر الانسان بالإنتساب إليها . . لقد تبدلت حالة سلمان تماماً ، وتمتع بالحرية الكاملة حين رأت عينه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

إنه ذلك الرجل الذى بشر به كل من التقى بهم فى رحلته الطويلة التى جاب فيها الآفاق . .

سلمان فى معية الاسلام

وسار سلمان فى معية الاسلام مجاهداً .

وكان أعظم عمل له فى الجهاد موقفه يوم الأحزاب ، حيث أشار على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحفر الخندق . .

قال الرواة : حين نما إلى علم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تجمع الأحزاب فى زحفهم على المدينة ، جمع أصحابه للتشاور معهم فى هذا الأمر . .

ولم يحضر سلمان الاجتماع ، بل جلس فوق هضبة عالية وأخذ يتفحص المدينة ويتعرف على مداخلها ، وهاله وسره فى نفس الوقت أن وجدها محصنة بالجبال والصخور ما عدا فجوة واسعة يستطيع الجيش المغير من طريقها أن يقتحم المدينة . .

ونزل مسرعاً وانضم إلى مجلس الحرب الذى عقده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأشار عليهم بحفر الخندق فى المنطقة المنبسطة أمام مدخل المدينة(٢١٥) .

واشترك سلمان فى حفر الخندق مع المسلمين .

وكان ذا قوة ونشاط وجلد ودأب حتى أعجب به المسلمون وأراد كثيرون

---

(٢١٥) رجال أنزل الله فيهم قرآنا د عبدالرحمن عميرة جـ ٢ صـ ٢٣ .

أن ينسبوه إليهم . . كل يريد أن ينسبه إلى قومه فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سلمان منا أهل البيت . .

فكان هذا فخاراً ما بعده فخار لسلمان ـ رضى الله عنه ـ

وقد حدَّث سلمان أنه فى أثناء الحفر اشتدت عليه صخرة لم يستطع أن يفتتها ، فذكر ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخذ النبى ﷺ المعول من سلمان وقال : بسم الله ـ وضرب ضربة فكسر ثلثها ، ثم ضرب الثانية فكسر ثلثاً آخر ، ثم ضرب الثالثة فكسر بقيتها . .

ثم كبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال يا سلمان : تفتح بعدى بلاد اليمن ، والشام ، وفارس ، وجعل يصف لى بلاد فارس . وأنا أقول : صدقت يا رسول الله[٢١٦] » .

ويمضى سلمان مجاهداً مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومع أصحابه من بعده ـ رضوان الله عليهم ـ

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحبه ويقربه .

زواج سلمان

ويحدثنا أبو نعيم الأصفهانى عن زواج سلمان فيقول :

تزوج سلمان امرأة من كندة فبنى بها فى بيتها .

ـ ويبدو أنها كانت من أسرة ثرية تعيش فى ترف من الحياة ـ وفى ليلة الزواج مشى معه أصحابه حتى أتى بيت امرأته ، فلما بلغ البيت قال لهم : ارجعوا آجركم الله .

---

(٢١٦) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ صـ ١٠٠

ـ ونظر سلمان إلى البيت فإذا مظاهر البذخ والسرف بادية ظاهرة ، وهو لم يألف ذلك ولا يحبه ، إنه يعشق الزهد والتقشف ـ قال أبو نعيم : فلما نظر الى البيت والبيت منجد ـ أى تعلوه الستائر ـ قال : أمحموم بيتكم ؟ أم تحولت الكعبة فى كندة ؟

قالوا : ما بيتنا بمحموم ، ولا تحولت الكعبة فى كندة . .

فلم يدخل البيت حتى نزع كل مظاهر البذخ والسرف .

فلما دخل رأى متاعاً كثيراً .

فقال : لمن هذا المتاع ؟

قالوا : متاعك ومتاع امرأتك .

قال : ما بهذا أوصانى خليلى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوصانى خليلى ألا يكون متاعى فى الدنيا إلا كزاد الراكب . . ورأى سلمان ـ رضى الله عنه ـ خدماً فى البيت . فقال : لمن هؤلاء الخدم ؟

فقالوا : خدمك وخدم امرأتك .

فقال : ما بهذا أوصانى خليلى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

لقد كان سلمان ـ رضى الله عنه ـ مثالاً فى الزهد والعفة . . كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد آخى بين أبى الدرداء وسلمان ، وسكن أبو الدرداء الشام ، أما سلمان فقد سكن العراق .

وكتب أبو الدرداء إلى أخيه سلمان كتاباً يقول فيه :

« سلام عليك ، أما بعد ، فإن الله رزقنى بعدك مالاً وولداً ، ونزلت الأرض المقدسة .

فكتب إليه سلمان يقول له :

« سلام عليكم ، أما بعد ، فإنك كتبت إلىَّ أن الله رزقك مالاً وولداً ، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد ، ولكن الخير أن يكثر عملك ، وأن ينفعك علمك .

وكتبت إلىَّ أنك نزلت الأرض المقدسة ، وإن الأرض لا تعمل لأحد ، اعمل كأنك ترى ، واعدد نفسك فى الموتى[٢١٧] » .

ما أحكمك يا سلمان وأبعد نظرك ، وما أتقاك وأخشاك ، وما أحرصك على وصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لك ولغيرك من المسلمين .

كان عطاء سلمان خمسة آلاف ، فإذا خرج عطاؤه فرقه ، وأكل من كسب يده . كان يسف ـ ينسج ـ الخوص . .

الوالى على المدائن

وكان سلمان يفر من الإمارة ولايحبها

واذا جاءه من يستشيره فى ذلك يشير عليه بعدم قبولها كان يقول : كل من عملك وكسب يدك ولاتكونن أميرا على اثنين ، واتق دعوة المظلوم والمضطر فإنها لاتحجب[٢١٨]

لماذا يذكر المظلوم والمضطر فى هذا المقام ؟

لأن الوالى أكثر رواد بابه من المظلومين والمضطرين فإذا لم ينصف المظلوم ويجيب المضطر دعا عليه كل منهما ، فأجاب الله دعاءهما فيه . . . ومن

---

(٢١٧) أسد الغابة جـ ٢ صـ ٤٢٠

(٢١٨) حلية الأولياء جـ ١ صـ ١٨٥

الذى يستطيع الصمود أمام هذا الامتحان الصعب ؟

ولكن عمر بن الخطاب أراد أن يولى سلمان المدائن ، فأرسل إليه ، فرفض سلمان بشدة ، ولكن عمر أمر ، وطاعة أمير المؤمنين تكليف لايستطيع النكوص دونه

وقبل سلمان على مضض . . . . ولكن هل غيرت الولاية من سلوكه فى الحياة ؟

هل أصابته بالزهو والعجب الذى يصيب الولاة ؟

يتحدث أحد الرواة عنه أثناء ذهابه لتولى عمله . فيقول : « رأيت سلمان الفارس على حمار وعليه قميص قصير وكان رجلا طويل الساقين كثير الشعر . ورأيت الصبيان يحضرون خلفه . فقلت : ألا تتنحون عن الأمير ؟ فقال : دعهم فإنما الخير والشر فيها بعد اليوم »

ورتب الخليفة عطاء لسلمان ـ خمسة آلاف كما سبقت الاشارة الى ذلك ، ولكنه كان يوزعها على الرعية ويعمل فى جدل الخوص . .

كان عدد إمارته ثلاثين ألفا من الناس . . وكانت له عباءة يفترشها ليجلس عليها

قال النعمان بن حميد : دخلت مع خالى على سلمان بالمدائن ، وهو يعمل فى جدل الخوص فسمعته يقول : أشترى خوصا بدرهم ، ثم أعمله فأبيعه بثلاثة دراهم ، فأعيد درهما فيه ، وأنفق درهما على عيالى ، وأتصدق بدرهم . ولو أن عمر بن الخطاب نهانى عنه ماانتهيت .

وكان يخرج كل يوم فى إمارته فيختلط بالناس ، ويتعرف على مطالبهم وفوقه تلك العباءة التى لا يملك غيرها . .

لقيه رجل قادم من الشام ومعه حِمْل تين وتمر وكان الحمل يثقل على الرجل الشامى ويتعبه . فلم يكد يبصر أمامه رجلا يبدو عليه أنه من عامة الناس وفقرائهم . حتى أشار اليه فدنا منه ، فقال له : احمل عنى هذا . فحمله ومضيا معا . . وسارا فى الطريق فكلما لقيا جمعا ألقى سلمان السلام . فيجيب الجمع واقفين وعلى الأمير السلام . .

كل ذلك والشامى يتعجب من كلمة الأمير . أى أمير يعنون ؟ وازدادت دهشة الشامى حين رأى بعض الناس يسارعون صوب سلمان يحملون عنه مايحمله قائلين : نحن نكفيك أيها الأمير . عند ذلك علم الشامى أن هذا الرجل الذى حمل عنه حمله إنما هو سلمان الفارسى أمير المدائن . .

وحاول الرجل أن يعتذر ، أو أن يأخذ متاعه من سلمان ، ولكن سلمان أصر على أن يبلغه منزله .(٢١٩)

هذه هى القدوة الطيبة ، وتلك هى تعاليم المدرسة المحمدية العالية التى لايمكن أن تساميها تعاليم أخرى مهما وضعت من مناهج ورسمت من طرق . .

---

(٢١٩) رجال أنزل الله فيهم قرآنا جـ ٢ صـ ٢٨

علم سلمان :

كان سلمان رضى الله عنه ـ آية فى الفقه والعلم ، لقد ورث علم الكتاب الأول ، وعلم الكتاب الآخر ـ كما قال عنه ـ على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

سئل عنه فقال : علم عِلْمَ الكتاب الأول والكتاب الآخر وهو بحر لاينزف وهو منا أهل البيت ، :

وكان حريصا على العمل ـ والعمل طريق للعلم ، فمن عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم .

حدث الحارث بن غميرة قال : انطلقت حتى أتيت المدائن . فإذا أنا برجل عليه ثياب خلقان ومعه أديم أحمر يعركه ، فالتفت فنظر إلىَّ فأومى بيده ـ مكانك ياعبد الله فقمت ، وقلت لمن كان عندى : من هذا الرجل ؟

قالوا : هذا سلمان .

فدخل بيته فلبس ثوبا أبيض ، ثم أقبلْ وأخذ بيدى ، أو صافحنى وسألنى ـ عن أمور . . . .

فقلت : ياعبد الله ، مارأيتنى فيما مضى ولارأيتك ، ولاعرفتنى ولاعرفتك .

قال : بلى والذى نفسى بيده لقد عرفت روحى روحك حين رأيتك ، ألست الحارث بن عميرة ؟

فقلت : بلى .

قال : فانى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف[٢٢٠]

فهل هناك علم أفضل من هذا .

زهده :

أما زهده فحدث عنه ولاحرج ، وقد عرضنا طرفا منه . ولطالما كان يحدث عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « إن أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا فى الآخرة ، ياسلمان إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »

وقد ظل حريصا على هذه الوصية ، ووعاها وأحسن تنفيذها .

دخل سعد بن أبى وقاص على سلمان يعوده فى مرضه . فبكى سلمان .

فقال له سعد : مايبكيك ، تلقى أصحابك ، وترد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحوض ، وتوفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو عنك راض ؟

فقال سلمان : ماأبكى جزعا من الموت ، ولاحرصا على الدنيا ، ولكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهد الينا فقال : « ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب »

فقال سعد : اعهد إلينا عهدا نأخذ به بعدل .

---

(٢٢٠) حلية الأولياء جـ ١ صـ ١٩٨

فقال له : اذكر ربك عند همك إذا هممت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت .[221]

حياة راضية مرضية :

على الرغم من حياة الشظف التى عاشها سلمان إلا أنه كان عنها راضيا ، ومرضيا عنه بها . .

لم تفتنه الدنيا كما فتنت غيره .

ظل طول حياته مجاهدا باحثا عن العلم والمعرفة حتى أفاض الله عليه من لدنه علما ، وأسبغ عليه رحمة ، وأنعم عليه بصحبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وقد كان سلمان من المعمرين ذكر أنه عاش مائتين وخمسين سنة ـ مات فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنه سنة خمس وثلاثين[222]

هل نزل قرآن فى شأن سلمان :

قال العلماء : لقد نزل قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[223]

فى شأن سلمان الفارسى .

---

(٢٢١) حلية الأولياء جـ١ صـ ١٩٥

(٢٢٢) اسد الغابة جـ ٢ صـ ٤٢١

(٢٢٣) البقرة ٦٣

ويذكر العلماء أسباب نزول هذه الآية فيقولون :

قال الواجدى :

عن ابن عباس - رضى الله عنهما ، وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - : ان هذه الآية نزلت فى شأن سلمان الفارسى[٢٢٤]

وعن الإمام السدى : إن الذين آمنوا والذين هادوا . . . الآية نزلت فى أصحاب سلمان الفارسى .

لما قدم سلمان على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل يخبر عن عبادتهم واجتهادهم وقال : يا رسول الله ، كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك تبعث نبيا ورسولا . .

فأنزل الله - تعالى - قوله :

« إن الذين آمنوا والذين هادوا . .

وتلا إلى قوله - تعالى - ولاهم يحزنون »

وقال الطبرى : هذه الآية نزلت فى أصحاب سلمان الفارسى ، وكان سلمان صديقا لابن الملك ، لايقضى أحدهما أمرا دون صاحبه ، وكانا يركبان الى الصيد ، وفى احدى رحلات الصيد رَأيا خيمة على بعد فأتياها ، فإذا هما

---

(٢٢٤) انظر فتح القدير جـ ١ ص ٩٤

برجل بين يديه كتاب يقرأ فيه ويبكى ، فسألاه ما هذا ؟

فقال : الذى يريد أن يعلم هذا لايقف موقفكما ، فإن كنتما تريدان أن تعلما ما فيه ، فانزلا حتى أعلمكما ، فنزلا إليه فقال لهما : هذا كتاب جاء من عند الله ، أمر فيه بطاعته ، ونهى عن معصيته :

فيه أن لاتزنى ، ولا تسرق ولا تأخذ أموال الناس بالباطل . وقص عليهما بعض ما فيه ـ وكان هذا الكتاب هو الانجيل ـ الذى أنزله الله على عيسى . . . فوقع فى قلبيهما وتابعاه فآمنا ، وقال لهما : إن ذبيحة قومكما عليكما حرام ، فلم يزالا معه كذلك يتعلمان منه . . . ثم كان عيد للملك ، فصنع طعاما ثم جمع الناس والأشراف ، وأرسل الملك إلى صديق ابنه فدعاه ليأكل مع الناس فأبى الفتى ، كما أبى ابن الملك أن يأكل أيضا .

وقال : إنا لانأكل من ذبائحكم ، إنكم كفار ليس تحل ذبائحكم

فقال الملك : من أمرك بهذا ؟

فأخبره أن الراهب أمره بذلك ، فدعا الراهب فقال : ماذا يقول ابنى هذا ؟

قال الراهب : صدق ابنك

قال له الملك : لولا أن الدم فينا عظيم لقتلتك ، ولكن اخرج من أرضنا فأجله أجلا .

فقال سلمان : فقمنا نبكى عليه

فقال لهما : إن كنتما صادقين فأنا فى بيعة بالموصل مع ستين رجلا نعبد الله .

فلما التقى سلمان برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبره خبرهم فقال له :
كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستبعث نبيا ولو أدركوك صدقوك واتبعوك . فأنزل الله هذه الآية

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

ثم دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سلمان فقال : نزلت هذه الآية فى أصحابك ، ثم قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من مات على دين عيسى قبل أن يسمع بى فهو على خير ، ومن سمع بى اليوم ولم يؤمن بى فقد هلك(٢٢٥)

آية أخرى

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ﴾(٢٢٦)

---

(٢٢٥) انظر رجال أنزل الله فيهم قرآنا نقلا عن تفسير الطبرى والدر المنثور للسيوطى

(٢٢٦) الجمعة ٣

جاء فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبى - صلى الله عليه وسلم - إذ نزلت سورة الجمعة ، فلما قرأ .

« وآخرين منهم لما يلحقوا بهم »

قال رجل : مَنْ هؤلاء يا رسول الله ؟

فلم يراجعه النبى - صلى الله عليه وسلم - حتى سأله مرتين أو ثلاثا .

قال : وفينا سلمان الفارسى .

قال : فوضع النبى - صلى الله عليه وسلم - يده على سلمان ، ثم قال :

« لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء »

وفى رواية « لو كان الدين عند الثريا لناله رجل من فارس »

أو قال : من أبناء فارس(٢٢٧)

وبعد

فهذا هو سلمان الفارسى الذى جاهد فى الله حق جهاده ، وقضى حياته المديدة على تقوى من الله ورضوان .

فى حياته مثل للمسلم الصادق . والمؤمن الواثق . .

كانت مشورته يوم الأحزاب بركة على الاسلام والمسلمين فرضى الله عنه وأرضاه . .

---

(٢٢٧) تفسير القرطبى - سورة الجمعة وانظر فتح القدير حـ ٥ صـ ٢٢٦

هذا وبعد معركة الأحزاب أصبح الجو مهيئا لفتح مكة . .

وقد سبق ذلك بعض الأعمال التى لابد منها ليخلص طريق المسلمين إليها . .

وسنحاول فى الأعداد القادمة بمشيئة الله . عرض مايدور حول ذلك من أحداث . . والله ولى التوفيق . .



الفهــرس

ويشتمل على :



تم بحمد الله

المجلد

الثانى عشر